الجامعـــــــة الإســـــــلامية – غــــــزة
عمـــــــــادة الدراســــــــات العليـــــــا
كليـــــــــــــة التربيـــــــــــــة
أصـــول التربيـــة – التربيـــة الإســـلامية



بحث بعنوان

الآراء التربوية للشيخ محمد قطب من خلال كتاباته

إعداد

الطالب/أسامة عبدالرحمن جودة

إشراف

الدكتور/ فايز كمال شلدان

قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في أصول التربية / تربية إسلامية

1432هـ - 2011م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

(آل عمران، الآية: 104)

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾

(الأحزاب، الآية: 23)

أخي، ذلك اللفظُ الذي في حروفه	رمـوزٌ وألغـازٌ لشـتى العـواطفِ
أخي ، ذلك اللحنُ الذي في رنينه	ترانيـــمُ إخــلاصٍ و ريّا تآلــفِ
أخي أنت نفسي حينما أنت صورة	لآمالي القصوى التي لمّا تُشارفِ
فأنت عزائي في حيـاة قصيـــرة	وأنت امتدادي في الحياة وخالِفِي

الشهيد سيد قطب

الإهداء

إلى والدي الحبيب حفظه الله، وجعلني لعمله الصالح امتداداً .

إلى صاحبة القلب الحنون، التي لطالما ناجت ربها بجوف الليل دعاءً لي . . والدتي الحبيبة .

إلى زوجتي وفاءً لعطائها ، والتي تعتبر نجاحي نجاحاً لها ، جزاها الله عني خير الجزاء .

إلى أبنائي الأعزاء زهرة حياتي (سنا ، أنس ، محمد) هداهم الله ووفقهم لكل خير .

إلى إخوتي، وأخواتي وجميع أفراد عائلتي، لحرصهم على السؤال الدائم عني والدعاء لي .

إلى كل أصدقائي وزملائي الأعزاء، من كانوا يشاركونني هموم بحثي ويشجعونني، ولم يبخلوا بمساعدتي بالتوجيه والنصح ما استطاعوا .

إلى من كرّمه الله بالشهادة، شيخنا نظير اللوقا "أبو خليل" فارس الكلمة والمنبر، صاحب القلب الكبير، الذي كان لنا ناصحاً وموجهاً ومرشداً .

وإلى جميع شهداء أمتنا الإسلامية، الأكرم منا جميعاً .

إليكم جميعاً . . أهدي ثمار جهدي المتواضع، وفقنا الله جميعاً إلى ما يحبه ويرضاه .

والله من وراء القصد

الشكر والتقدير

الحمد لله رب العالمين، المنعم المتفضل، القائل في كتابه العزيز:﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (إبراهيم، الآية:٧) والصلاة والسلام علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وحجة على الخلائق أجمعين، محمد رسول الله ﷺ القائل: "**لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ**" (البخاري، 22١٤هـ، ص٥٣)، فالشكر لله تعالى، الذي وفقني وأعانني على إتمام هذه الدراسة، فله الفضل أولاً وآخراً.

واعترافاً لأهل الفضل بالفضل، ولأهل الإحسان بالإحسان، أقدم وافر شكري وتقديري لكل من:

– أستاذي ومشرفي الفاضل، سعادة الدكتور/فايز كمال شلدان– حفظه الله – لقبوله الإشراف على بحثي، وتيسير إجراءات إنهاء متطلباته، فقد كان لي نِعم الموجه ونِعم المعلم، ولطالما شد من أزري وقوّم من اعوجاجي، بحسن النصح والإرشاد، فجزاه الله خيراً .

– والشكر الجزيل لعضوي لجنة المناقشة والحكم، سعادة الدكتور الفاضل/ حمدان عبد الله الصوفي، أستاذ أصول التربية، وسعادة الدكتور الفاضل/ زياد إبراهيم مقداد، عميد الدراسات العليا، على تفضلهما بمناقشة هذه الرسالة، وإثرائها بالملاحظات والتوجيهات القيمة، لهما مني خالص الشكر والتقدير.

– الجامعة الإسلامية بغزة، التي هيأت لي ولطلبة العلم فرصة الدراسة، ولكل أساتذتها الأفاضل، الذين تشرفت بالدراسة على أيديهم، ولكل المسئولين فيها.

– كلية التربية، وعميدها الأستاذ الدكتور/عليان الحولي، وقسم أصول التربية، وهيئته التدريسية.

– مكتبة الجامعة الإسلامية، التي لم تبخل عليّ بكل ما يفيد بحثي، ويقدم لي العون على إنجازه.

– مكتبة مسجد بلال، والعاملين فيها، لهم كل الحب والتقدير، على تفانيهم لخدمة طلبة العلم.

– والباحث يتقدم بالشكر الجزيل لكل من أمده وأعانه بنصح، أو إرشاد، أو مشورة علمية، أو بذل معه جهداً أو وقتاً، أو دعوة، أو ساهم في إنجاز هذا العمل.

الباحث

ملخص الدراسة

هدفت الدراسة للتعرف إلى شخصية محمد قطب، وبيان منابع فكره، وآرائه التربوية في مجالات متعددة، مثل خصائص التربية الإسلامية، والتأصيل التربوي، والكفايات الأساسية للمربي، وبيان أهم آرائه في إيضاح معالم النظرية التربوية، وتوضيح التطبيقات التربوية لآراء محمد قطب في المدرسة المعاصرة، ومن ثم الخروج بمجموعة من النتائج والتوصيات التي تسهم في النهوض بواقع حياتنا التربوية .

استخدم الباحث منهج أسلوب تحليل المحتوى من الناحية الكيفية، كأحد تقنيات المنهج الوصفي.

<u>فصول الدراسة:</u> تكونت الدراسة من سبعة فصول، وذلك على النحو التالي:

<u>الفصل الأول:</u> التمهيدي وتضمن الإطار العام للدراسة. **<u>الفصل الثاني:</u>** تناول حياة محمد قطب ومنابع فكره **<u>الفصل الثالث:</u>** تناول خصائص التربية الإسلامية التي بينها محمد قطب. **<u>الفصل الرابع:</u>** تناول مجالات التأصيل التربوي لدى محمد قطب. **<u>الفصل الخامس:</u>** تناول الكفايات الأساسية للمربي من وجهة نظر محمد قطب. **<u>الفصل السادس:</u>** يوضح معالم النظرية التربوية في كتابات محمد قطب. **<u>أما الفصل السابع:</u>** فقد خُصص هذا الفصل للنتائج والتوصيات التي توصلت إليها الدراسة .

<u>وكان من أهم النتائج المستخلصة من هذه الدراسة، ما يلي:</u>

1- البيئة التي عاش ونشأ فيها محمد قطب، أثرت في بناء شخصيته، وفي تشكيل فكره، وأهمها تأثره بشقيقه سيد قطب، ونشاطه السياسي وسجنه، وانتقاله إلى السعودية للعمل الأكاديمي .

2- محمد قطب تخرج من قسم اللغة الإنجليزية، إلا أنه برع في مجال الفكر الإسلامي والمذاهب الفكرية المعاصرة، التي كانت موضع اهتمامه قبل دراسته الجامعية لأسباب متعددة ومتداخلة .

3- جميع مؤلفات وأعمال محمد قطب ونتاجه الفكري، لا تخلو من نقد للغرب وحضارته ومناهجه، وهو يقدم الحلول لهذه المشكلات التي انتشر كثير منها في بلاد المسلمين .

4- أكد محمد قطب على أهمية التربية الإسلامية لتحقيق نهضة ورقي الأمة الإسلامية، وذلك بالعمل على بناء الشخصية الإسلامية، من خلال التربية السليمة، وغرس المبادئ والقيم الإسلامية.

5- يبين محمد قطب أن الإسلام يساير الفطرة، ويطابقها مطابقة كاملة، ويوضح محمد قطب طريقة الإسلام في تربية النفس البشرية، أنه يشملها كلها من جميع جوانبها في آن واحد .

6- يعتبر محمد قطب أن خصائص التربية الإسلامية، تعتبر من أبرز سمات الإنسان الصالح، الذي يسعى المنهج الإسلامي لتحقيقه في واقع الأرض .

7- أوضح محمد قطب المفهوم الشامل للعبادة، وبيّن أن العبادة في الإسلام، تشمل كل الأفعال والأعمال التي يقوم بها الإنسان في حياته، وأن حياة الإنسان تعتبر كلها عبادة .

وفي ضوء ما توصلت إليه الدراسة من نتائج، فقد أوصى الباحث بما يلي:

1- العناية بمؤلفات الأستاذ محمد قطب، والاستفادة منها، وذلك بإبراز آرائه التربوية بشكل أوسع، مع التركيز على الآراء التي ما زالت حاضرة في واقع الأمة وما تواجهه من مخاطر .

2- أن تركز التربية الإسلامية على تصحيح المفاهيم الخاطئة لدى أبناء الأمة الإسلامية، مثل مفهوم لا إله إلا الله، ومفهوم العبادة وغيرهما .

3- ضرورة التصدي للغزو الفكري والثقافي من خلال إصلاح المناهج الدراسية، والعمل على توجيهها توجيهاً إسلامياً، وإزالة ما يتعارض فيها مع المبادئ الإسلامية .

4- يجب أن يكون المربي مثقفاً من جميع النواحي، وذلك من خلال إطلاعه على ما توصل إليه العلم الحديث، وتطوير قدراته في استخدام أحدث الوسائل التكنولوجية كالإنترنت .

5- التأكيد على أن المرجعية الإسلامية للمنهاج التربوي المعاصر، من المصادر الثابتة، القرآن والسنة، وآراء علماء المسلمين .

6- ضرورة التعرف إلى التوجيه التربوي النبوي، ومعرفة الأساليب التربوية التي استخدمها النبيﷺ، في المجالات المتعددة، والتي يمكن استخدامها لإيجاد العديد من الحلول لبعض المشكلات التعليمية والتربوية المعاصرة التي تواجه المربي المسلم .

7- ضرورة التزام الآباء والمربين بالقدوة الحسنة في الأقوال والأعمال، وأن يتحلوا بالأخلاق الفاضلة ليكونوا خير قدوة حسنة لأبنائهم كما كان النبي صلى الله عليه وسلم.

Abstract

This study aimed at spotting light on the character of Muhammad Qutb, and stating the sources of his ideas and educational opinions in different areas, such as; the properties of Islamic education, educational roots, educator's basic skills, stating his most important views in clarifying the parameters of educational theory, and clarifying the educational applications of his opinions in contemporary school.

The researcher adopted content analysis approach, as one of the techniques of descriptive method.

Chapters of the study: The study consisted of seven chapters, as follows:
Chapter One: Introductory including the study plan.

Chapter Two: Life of Muhammad Qutb and the headwaters of his idea.
Chapter III: Addresses the characteristics of Islamic education according to Muhammad Qutb.

Chapter IV: Addresses areas of educational roots of Mohammed Qutb.

Chapter V: Addresses educator's basic skills from the standpoint of Muhammad Qutb.

Chapter Six: Outlines educational theory in the writings of Muhammad Qutb.

Chapter VII: Findings and recommendations of the study.

One of the main findings of this study, the following:

1 - Muhammad Qutb was influenced by the environment in which he lived which affected his character, and the formation of his idea. He was also most notably influenced by his brother Sayyid Qutb, besides, his political activism and imprisonment, and his move to Saudi Arabia.

2 - Muhammad Qutb was graduated from the Department of English, but excelled in the field of Islamic philosophy and contemporary schools, which was the subject of his interest.

3 - All his works and intellectual writings contained criticism of the Western civilization and curriculum. On the other hand he provides solutions to these problems, many of which spread in a Muslim country.

4 - Muhammad Qutb emphasized on the importance of Islamic education to achieve progress and advancement of the Islamic Nation, by working to build the Islamic personality through sound education and to instill Islamic principles and values.

5 - Muhammad Qutb shows that Islam kept pace with instinct, and match them to fully identical, and explains the Islamic method in educating the human soul that covered all aspects of all at once.

6 - Muhammad Qutb believed that the characteristics of Islamic education are one of the most striking features of a good human.

7 - Muhammad Qutb explained the overall concept of worship and indicated that worship in Islam includes all acts and actions of human life. In one word human life is all worship.

In the light of the findings of the study results, the researcher recommended the following points:

1 – We should care of the works of Professor Muhammad Qutb and take advantage of them through highlighting his educational views and focusing on his ideas and opinions.

2 - Islamic education should focus on correcting misconceptions of the Islamic nation, such as the concept of "No God but Allah", and the concept of worship.

3 - Need to address the intellectual and cultural invasion through curriculum reform, Islamic guidance, and eliminating all that contradict the Islamic principles.

4 – Educator must be well sophisticated in all respects, this can be done through informing him on the findings of modern science, and develop his capabilities in the use of the latest technological means such as the Internet.

5 - Emphasizing that the Islamic contemporary educational curriculum sources should be taken from Qur'an and Sunnah, and the views of Muslim scholars.

6 - The need to identify the Prophetic education, and studying his educational methods and techniques which can be used to solve some educational problems facing the contemporary Muslim educator.

7 - Parents and educators should be a good model in words and actions in order to be the best models for their children as the Prophet peace be upon him was.

فهرس الموضوعات

إهداء.	ب
شكر وتقدير.	ج
ملخص الدراسة.	د
فهرس الموضوعات.	ح
الفصل الأول **الإطار العام للدراسة**	
مقدمة البحث.	2
مشكلة البحث.	5
أهداف البحث.	5
أهمية البحث.	6
حدود البحث.	6
منهج البحث.	7
مصطلحات البحث.	7
الدراسات السابقة.	8
التعقيب على الدراسات السابقة.	13
الفصل الثاني **منابع فكر محمد قطب وآرائه التربوية**	
أولاً: حياة الأستاذ محمد قطب:	16
1- مولده ونشأته.	16
2- نبذة عن حياته وشخصيته.	16
3- أسرته ومكانتها في القرية.	17
4- أفراد أسرته.	18
ثانياً : حياته العلمية والعملية:	21
1- دراسته وتحصيله العلمي.	21
2- مهنته.	21
3- تلاميذه ومن تأثروا بفكره.	22
4- مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.	22

ثالثاً : العوامل المؤثرة في شخصيته وفكره:	23
1- العوامل السياسية.	23
2- العوامل الثقافية.	24
3- شخصيات تأثر بها.	25
رابعاً : منهجه الفكري والقضايا التي اهتم فيها:	27
1- منهجه في مجال الأدب والشعر.	27
2- في العلوم الإنسانية وعلم النفس.	28
3- منهجه في التربية.	28
خامساً : جهوده العلمية:	29
1- الكتب المنشورة.	29
2- المقالات المنشورة.	31
3- الدروس العلمية والمحاضرات المسجلة.	32
4- المشاركات العلمية (ندوات، مؤتمرات).	33
5- الإشراف على الرسائل الجامعية.	33
الفصل الثالث **خصائص التربية الإسلامية التي بينها محمد قطب**	
تمهيد.	36
أولاً: الربانية.	37
ثانياً: الشمول والتكامل.	39
ثالثاً: التوازن.	41
رابعاً: الإيجابية السوية.	42
خامساً: الواقعية المثالية.	45
الفصل الرابع **تأصيل العلوم التربوية لدى محمد قطب**	
تمهيد.	50
لمحة عن التأصيل الإسلامي.	52
التعريف بمصطلح التأصيل الإسلامي.	53
نماذج من التأصيل الإسلامي لدى محمد قطب	54
أولاً: التأصيل الإسلامي لعلم النفس	55

ثانياً: التأصيل الإسلامي لعلم الاجتماع	56
ثالثاً: التأصيل الإسلامي للتربية	58
الفصل الخامس **مجالات بناء الشخصية المسلمة عند محمد قطب**	
تمهيد	62
تعريف الشخصية	63
أولاً:– المجال العقائدي:	64
أ– إعداد القاعدة الصلبة.	64
ب – الدعوة إلى التوحيد الخالص من الشرك.	65
ج – معرفة الغاية من خلق الإنسان واستخلافه في الأرض.	67
د – ترسيخ الإيمان سلوكاً واقعياً في الحياة.	68
ثانياً:– المجال العقلي:	69
أ– تدبر آيات الله في الكون.	70
ب– تدبر السنن الربانية.	71
ج– تدبر الحكم التشريعي والاجتهاد.	73
د– تدبر التاريخ البشري.	68
هـ– استخلاص الطاقة المادية.	75
ثالثاَ:– المجال الجسمي:	77
أ– أهداف التربية الجسمية.	77
ب– تربية الجسم في التصور الإسلامي.	78
ج– التربية البدنية للجسم.	79
د– وظائف الجسم في التصور الإسلامي.	80
هـ– تربية الإسلام لطاقات ودوافع الجسم.	81
و– ضبط دوافع الجسم الفطرية.	81
الفصل السادس **الكفايات الأساسية للمربي من وجهة نظر محمد قطب**	
تمهيد	85
1– شخصية المربي أعلى من شخصية المتلقي.	87
2– الجمع بين الجانب المعرفي والخبرة العملية	88

3- حسن الطريقة في تربيته.	89
4- المقدرة على الاهتمام بمن يربيهم.	90
5- القدرة على المتابعة و التوجيه المستمر.	92
6- القدرة على القيادة.	94
الفصل السابع **معالم النظرية التربوية في كتابات محمد قطب**	
تمهيد.	97
جهود محمد قطب في التأسيس لنظرية تربوية.	98
مفهوم النظرية التربوية الإسلامية.	99
تعريفات النظرية.	99
مصادر النظرية التربوية الإسلامية:	101
أولاً: القرآن الكريم.	102
ثانياً: السنة النبوية.	102
أهداف النظرية التربوية الإسلامية:	103
أولاً: تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى.	104
ثانياً: إعداد الإنسان الصالح.	108
سمات الإنسان المؤمن الصالح الذي يربيه الإسلام.	109
الفصل الثامن **التطبيقات التربوية لآراء محمد قطب في المدرسة التربوية المعاصرة**	
أولاً: الأهداف والغايات.	115
ثانياً: المنهج.	116
ثالثاً: المعلم.	116
رابعاً: المتعلم.	117
الخاتمة.	118
النتائج.	118
التوصيات.	120
مقترحات الدراسة	121
قائمة المصادر والمراجع.	122

الفصل الأول

الإطار العام للدراسة

- مقدمة البحث
- مشكلة البحث
- أهداف البحث
- أهمية البحث
- حدود البحث
- منهج البحث
- مصطلحات البحث
- الدراسات السابقة
- التعقيب على الدراسات السابقة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين خير الدعاة والمربين ، وبعد:

إن التربية هي وسيلة المجتمع للمحافظة على بقائه واستمراره وثبات نظمه ومعاييره وقيمه الاجتماعية ، كما وتعتبر التربية من أهم العوامل التي تزيد من تماسك وتقوية المجتمعات ، وهي مطلب كل الأمم في كل زمان ومكان، وتتأثر التربية بالمعتقدات والثقافات وتأخذ أشكالها ، وتسعى إلى تحقيق أهدافها وغاياتها .

وإن دراسة تاريخ الأمم والشعوب تؤكد انه لم تنهض أمة من الأمم إلا من خلال الأجيال التي تعد لقيادة تلك الأمة ، ومن أهم جوانب إعداد الجيل هو الإعداد التربوي المناسب لهذا الجيل.

"و لو نظرنا إلى هذه الأمة أو تلك لوجدنا أن سر قوتها وتمكينها كان بتربية الفرد الصالح ، الذي يبدي استعداده للتضحية في سبيل هذا المبدأ أو العقيدة التي يدين بها، وفي سبيل هذه الأمة التي ينتمي إليها"(العودة ، 2007،ص5).

وكان من الطبيعي لنا بوصفنا أمة إسلامية أن نعود إلى ينبوع التربية وأصلها الثابت وهو ما أتى به دستورنا العظيم القران الكريم وأن نقتدي بمعلمنا الأول محمد ﷺ الذي ترك لنا منهاجا قويما سويا نهتدي به في حياتنا لإقامة مجتمع فاضل ، فكان لزاما علينا ونحن ندرس أصول التربية أن نعود لهذا الأصل الثابت لأن البداية الحقيقية لتربية وإعداد الجيل تبدأ من هذا الينبوع الخالد ألا وهو ديننا الحنيف ، إنها عود حميد إلى الأصالة في زمن الحداثة، انه عود إلى القيم الدينية والروحية في الإسلام لإعادة المسار الخلقي السليم للأفراد والمجتمعات .

وقد قامت التربية الإسلامية منذ بدء ظهورها على القرآن والسنة ، فالقرآن كتاب الله عز وجل والسنة عمل النبي ﷺ وأحاديثه ، ولما كان القرآن كتاباً كاملاً منذ أُنزل حتى اليوم يحفظه المسلمون ويرجعون إلى أحكامه ويهتدون بآياته ، وكانت سنة الرسول ﷺ مدونة كذلك ويحفظها أئمة المسلمين وهي تعد مبينة للكتاب ونبراسا يهتدي به المسلمون في سلوكهم ، فلا غرابة أن يمتاز الإسلام بتربية خاصة تختلف في أهدافها ووسائلها عن ألوان التربية التي سادت حضارات شتى على مر الزمان واعتمدت على دعائم مغايرة لتعاليم الإسلام (الأهواني ، 2002، ص8).

وكان النبي ﷺ هو المربي الأول، حيث أدرك عليه السلام، بتوجيه من ربه، أهمية التربية وأثرها البالغ في تكوين أمة الإسلام، فكان المثل الأعلى في التربية والأخلاق والتوجيه والإرشاد، وقد أشاد القرآن الكريم بهذا، فقال ﷻ: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾(القلم،الآية: 4)، وقال ﷻ: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً**﴾ (الأحزاب،الآية: 21).

وقد عمل المسلمون عبر التاريخ بمبادئ الهدي الإسلامي في هذا المجال، فأبدعوا تراثاً تربوياً عظيماً، أثبت جدارته في تخريج الأجيال المتتالية من المؤمنين الصالحين الأقوياء، الذين ينطبق عليهم قول الله ﷻ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾(البقرة، الآية:177).

بهذا نصل إلى حقيقة مؤداها أن المسلمين قد وضعوا القواعد والأسس التربوية على ضوء المنهج الإسلامي، ولكن الذي حجب ذلك عن أعين الناس برهة من الزمن هو بريق التقدم والتطور الصناعي الأجوف في العالم الغربي، وتوقف حركة البحث العلمي في الجوانب التربوية خاصة، وفي الجوانب التقنية والفنية عامة، مما جعل الغرب يستحوذ على هذا المضمار، فتقدم علمياً وطبياً وهندسياً، وتوسعت القاعدة الثقافية بين أفراده، وهذا حدا بالبعض إلى الاتجاه صوب العلوم الغربية في الكثير من المجالات(الحازمي،1420هـ، ص11).

ونحن نرى ماذا فعلت بنا المدنية والحضارة الحديثة، وكيف باعدت بيننا وبين صفاء فطرتنا الإسلامية، من خلال تغذية الجيل بنظم ومناهج مستعارة، فصلت بيننا وبين ثقافتنا الإسلامية الأولى، وبين تراثنا الإسلامي وحضارتنا، في استهداف منهجي مباشر لإفساد الجيل وحرفه عن المسار القيمي والأخلاقي الثابت لهذه الأمة .

ولما حصلت الصحوة الإسلامية المباركة التي نعيشها اليوم، عاد المهتمون بالتربية إلى المصادر الإسلامية، التي أثبتت عبر القرون انه ما انتصر المسلمون ولا سادوا العالم إلّا بالتربية الإسلامية، وما غابت أو ضعفت هذه التربية في حقبة ماضية، إلّا وانحط المسلمون وعلا شأن غيرهم عليهم (الحازمي،1420هـ، ص11).

وتاريخنا الإسلامي يزخر بأمجاد تربوية خلّدها علماء أفاضل على مر العصور، ولابد أن نعود إلى تراث هؤلاء العلماء الأفاضل، لكي نستنير بأفكارهم ونقتبس من آرائهم، هؤلاء منهم الصحابة ﷺ كأمثال الخلفاء الراشدين، ومنهم التابعين وسلف هذه الأمة، مثل الأئمة أحمد بن حنبل وأبي حنيفة والشافعي وابن تيمية، كما نذكر من هؤلاء العلماء ابن سحنون، وابن عبد البر الأندلسي، وابن خلدون، وغيرهم الكثير .

ومن العلماء المعاصرين نجد إسهامات كبيرة في التربية وفي الفكر التربوي الإسلامي، نذكر منهم المفكر الشهيد سيد قطب صاحب مدرسة الظلال، والمودودي والندوي ومحمد رشيد رضا والكواكبي والأستاذ سعيد حوى وفتحي يكن وماجد عرسان الكيلاني، وغيرهم، ومنهم القادة، الإمام الشهيد حسن البنّا والشيخ الشهيد احمد ياسين، وعبدالله عزام، وغيرهم ممن أخذوا على عاتقهم مهمة بناء وإعداد الجيل الإسلامي لقيادة هذه الأمة، وكانت لهم أفكارٌ وآراءٌ تربوية استنبطوها من القران الكريم والسنة النبوية الشريفة، فهم يجاهدون حق الجهاد في تعريفنا بأصول ثقافتنا وحضارتنا، وكشف الغطاء عن أصالتها وقيمتها لتعود فاعلة في حياتنا وسلوكنا .

وعند البحث في مسيرة هؤلاء العظماء، نجد دراسات كثيرة، فيها الكثير من تجارب إسلاميين، منحوا وجودهم، وطاقاتهم في شتى الحقول، من أجل أن يصوغوا ساحة الحياة، صياغة إسلامية خالصة، صياغة أناس عاشوا(إسلامهم) بعقولهم، وأرواحهم وأعصابهم وأفئدتهم، ووجدانهم، فهؤلاء يمكن أن نجد لديهم شواهد وإجابات لا حصر لها، عن كثير مما يحيرنا ويشغل بالنا(خليل،1987، ص8).

وقد اختار الباحث في هذه الدراسة أحد هؤلاء العلماء المعاصرين، وهو الشيخ الأستاذ محمد قطب، الذي تربى تلك التربية الربانية، وعاش في كنف ينابيعها ونادى بها، وأنتج علمًا وفكرًا، فكان نموذجًا يُحتذى به في علمه وفكره ومنهجه، وكرّس حياته للذود عن دين الله ﷻ، وتصحيح المفاهيم الإسلامية، التي علقت بها الكثير من الشوائب، نتيجة الغزو الفكري والهجمة الغربية على أمتنا، فأمضى عمره وبذل وقته للإسلام، كاتباً وداعياً ومربياً، تربّى عدد كبير من الشباب والدعاة على كتاباته وعلمه.

قال عنه الدكتور صلاح الخالدي في حينه(الخالدي،1994م، ص40): "يعتبر الأستاذ محمد قطب الآن في طليعة الدعاة الإسلاميين والمفكرين الحركيين، وقد شارك في العديد من المؤتمرات داخل البلاد الإسلامية وخارجها وقدّم العديد من الأبحاث الإسلامية وألقى العديد من المحاضرات القيمة".

أما الأستاذ كمال حبيب فيعتبر الشيخ محمد قطب علامة فكرية وحركية بارزة بالنسبة للحركة الإسلامية المعاصرة، فهو صاحب مؤلفات هامة تؤسس للفكر الإسلامي المعاصر من منطلق معرفي إسلامي مخالف لنظرية المعرفة الغربية، وهو يربط بين الفكر والواقع عبر العديد من مؤلفاته التي حاولت تفسير الواقع أيضاً من منظور إسلامي، ويرجع الفضل لمحمد قطب في تأسيس مدرسة إسلامية ذات طابع حركي داخل الجامعات السعودية، عبر إشرافه على العديد من الرسائل الجامعية التي رسخت العلاقة بين مدرسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وبين المشاكل الفكرية والحركية المعاصرة، وقدر لهذه الرسائل الجامعية أن تتجاوز في تأثيرها المملكة العربية السعودية لبقية العالم الإسلامي بعد طبعها في كتب (2002/7م ، موقع إسلام ويب).

ولمحمد قطب مؤلفات متنوعة في التربية والفكر ومعالجة قضايا الأمة والدفاع عن مطاعنها، منها كتابه الكبير "مذاهب فكرية معاصرة"، والذي يقدّم رؤية معرفية نقديّة لهذه المذاهب وأصبح الكتاب مرجعاً أساسياً لطلاب العلم، وقد اعتمدته العديد من كليات الشريعة في العالم العربي والإسلامي، كما ألّف الشيخ كتاب"واقعنا المعاصر"، والذي يعتبر هادياً ومرشداً حقيقياً للشباب المسلم بالدرجة الأولى، حيث قدّم فيه المعاني الأساسية لعقيدة الإسلام كما فهمها وتلقّاها الصحابة ﷺ، ومن مؤلفاته: كتاب"حول تطبيق الشريعة" و "العلمانيون والإسلام" و "كيف ندعو الناس" و "لا إله إلاّ الله شريعة ومنهج حياة" و "هلمّ نخرج من ظلمات التيه"، بالإضافة إلى الكتب التي تشرح مفاهيم الإسلام وتصححها في أذهان الناس، وتبين مناهجه في مختلف الجوانب، مثل:

"مفاهيم ينبغي أن تصحّح" و "قبسات من حياة الرسول" و "منهج التربية الإسلامية" و "منهج الفن الإسلامي" و "كيف نكتب التاريخ الإسلامي" ...

وإذا كانت هذه مجموعة من مؤلفات العلاّمة محمد قطب التي تزخر بها المكتبة الإسلامية، فإنّ هذا الرصيد الفكري يوازيه رصيد عملي في ميادين الدعوة والتربية، وقد درّس الشيخ وأشرف على عدد كبير من العلماء والدعاة العاملين، من أبرزهم: الشيخ سفر الحوالي، محمد القحطاني، وغيرهم كثيرون يدرّسون اليوم في كليات الشريعة في أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي.

وقد وجد الباحث من خلال الاطلاع على هذا التراث الكبير للشيخ قطب، أن له فكره التربوي المميز الذي يتصل بأصول التربية وأهدافها، ومنهجها، وأن له آراءً تربويةً مميزة تعالج واقع الأمة، قام الباحث بتوضيح بعض هذه الآراء التربوية من خلال تحليل محتوى كتاباته وفكره التربوي للتعرف على مدى إمكانية الإفادة من تلك الآراء، والخروج بمجموعة من النتائج والتوصيات التي يمكن أن تسهم في النهوض بواقع حياتنا التربوية، وتأصيل التربية الإسلامية وتصحيح مسارها في العالم الإسلامي.

مشكلة البحث:

في ضوء ما سبق يمكن صياغة مشكلة البحث في السؤال الرئيس التالي:

- ما الآراء التربوية للأستاذ محمد قطب من خلال كتاباته؟

ويتفرع من التساؤل الرئيس الأسئلة الفرعية التالية :

1- ما منابع فكر محمد قطب وآرائه التربوية؟

2- ما خصائص التربية الإسلامية التي بينها محمد قطب؟

3- ما مجالات التأصيل التربوي لدى محمد قطب؟

4- ما الكفايات الأساسية للمربي من وجهة نظر محمد قطب؟

5- ما معالم النظرية التربوية في كتابات محمد قطب؟

6- ما التطبيقات التربوية لآراء محمد قطب في المدرسة التربوية المعاصرة؟

أهداف البحث:

1- بيان منابع فكر محمد قطب وآرائه التربوية.

2- التعرف إلى خصائص التربية الإسلامية التي بينها محمد قطب.

3- إبراز مجالات التأصيل التربوي لدى محمد قطب من خلال كتاباته.

4- تحديد الكفايات الأساسية للمربي، من وجهة نظر محمد قطب.

5- بيان معالم النظرية التربوية التي وضحها محمد قطب من خلال كتاباته.

6- توضيح التطبيقات التربوية لآراء للشيخ محمد قطب في المدرسة المعاصرة.

7- الخروج بمجموعة من النتائج والتوصيات التي تسهم في النهوض بواقع حياتنا التربوية.

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث في أنه من الدراسات التي تسعى إلى تأصيل التربية الإسلامية، والرجوع بها إلى مصدرها من الكتاب والسنة وتراث العلماء المسلمين، من نتاج فكري ارتبط بالكتاب والسنة في جميع المجالات، ومن ضمنها المجال التربوي، ويمكن توضيح أهمية دراسة الآراء التربوية للشيخ محمد قطب في النقاط التالية:

1- أن الشيخ محمد قطب له إسهامات في عدة ميادين منها فكرية، دعوية، تربوية .

2- أن الشيخ محمد قطب قد مارس التعليم والتدريس فترة طويلة في حياته، مما يجعل لآرائه التربوية أهمية خاصة، لأنها جمعت بين الجانب الفكري النظري، والجانب التطبيقي العملي.

3- كون الشيخ محمد قطب يعد من العلماء الذين يسعون إلى إبراز أهمية الحفاظ على الهوية الإسلامية، والعودة إلى المنابع الأصيلة للدين الإسلامي في كافة ميادين الحياة.

4- في حدود علم الباحث، لم يسبق أن أُعدت دراسة علمية تتناول الفكر التربوي لمحمد قطب، توضح آراءَه وجهوده .

5- استخلاص بعض التطبيقات التربوية التي يمكن الاستفادة منها في مجالات التربية المعاصرة.

6- قد يفيد من هذه الدراسة فئاتٌ منهم :

- المربون والمعلمون وأولياء الأمور، وذلك بالالتزام بما حثهم عليه محمد قطب من آداب المربي المستقاة من التربية الإسلامية القويمة.

- المهتمون بتأصيل العلوم التربوية، من خلال العودة إلى المنابع الأصيلة للعملية التربوية .

- الدعاة والمهتمون بتربية الجيل المؤمن، بالاقتداء بالشيخ محمد قطب واتّباع الطريقة المتميزة لمحمد قطب في تربية وإعداد الأجيال.

- الباحثون في العلوم الشرعية، باتباع منهج محمد قطب في البحث العلمي والتأليف.

- طلاب العلم الذين يرون في محمد قطب قدوة لهم في طلب العلم والتحلي بأخلاق وصفات العلماء.

حدود البحث:

لما كان موضوع البحث هو: الآراء التربوية للأستاذ محمد قطب من خلال كتاباته، فقد اقتصر هذا البحث على الآراء التربوية المستنبطة من كتابات محمد قطب، ذات الاهتمام بالجانب الفكري التربوي، وهي الكتب الآتية :

1- منهج التربية الإسلامية، الجزء الأول النظرية، والجزء الثاني التطبيق.

2- حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية.
3- قبسات من السيرة النبوية .
4- في النفس والمجتمع.
5- واقعنا المعاصر.
6- ركائز الإيمان.
7- مذاهب فكرية معاصرة.
8- مفاهيم ينبغي أن تصحح .
9- لا يأتون بمثله.
10- جاهلية القرن العشرين.
11- النظرية التربوية الإسلامية.
12- الإنسان بين المادية والإسلام.
13- دراسات في النفس الإنسانية.

وكذلك من خلال بعض محاضراته، والتي تناولت جوانب عديدة و مهمة في حياة الإنسان المسلم، في حدود ما يخدم القضايا التربوية.

منهج البحث:

استخدم الباحث في دراسته المنهج الوصفي التحليلي، وأسلوب تحليل المحتوى من الناحية الكيفية، كأحد مداخل وتقنيات المنهج الوصفي، الذي يعتمد على تجميع الحقائق والمعلومات، ثم تفسيرها وتحليل محتواها من الناحية الكيفية وتصنيفها للوصول إلى الدروس والعبر المستفادة(أبو دف، والوصيفي، 2007، ص15)، حيث قام الباحث بدراسة سيرة الأستاذ محمد قطب، والعوامل المؤثرة في تكوينه الفكري، ودراسة كتاباته وتحليل محتوى هذه الكتابات، لاستنباط وإبراز الآراء والتوجيهات التربوية التي تضمنتها هذه الكتابات .

مصطلحات الدراسة:

1- الآراء التربوية: هي الأفكار والتصورات المتكاملة لتنمية الإنسان من جميع جوانبه المختلفة (أحمد، 1425هـ، ص11) .

2- التربية الإسلامية: تنشئة الفرد، وإعداده على نحو متكامل في جميع الجوانب العقدية والعبادية والأخلاقية والعقلية والصحية، وتنظيم سلوكه وعواطفه، في إطار كلي يستند إلى شريعة الإسلام، من خلال الطرق والإجراءات التي تقبلها الشريعة(الشريف، 2006، ص13) .

3- التأصيل الإسلامي: هو إعادة بناء العلوم، في ضوء التصور الإسلامي للإنسان والمجتمع والوجود، وذلك باستخدام منهج يتكامل فيه الوحي الصحيح مع الواقع المشاهد، بوصفهما مصدرين للمعرفة، بحيث يستخدم ذلك التصور الإسلامي إطاراً نظرياً لتفسير المشاهدات الجزئية المحققة والتعميمات الواقعية، وفي بناء النظريات في تلك العلوم بصفة عامة(رجب، 1412، ص41).

ويمكن تعريف التأصيل إجرائياً بأنه: "تأسيس العلوم على ما يناسبها في الشريعة الإسلامية، من أدلة نصية أو قواعد كلية أو اجتهادات مبنية عليها" .

4- النظرية التربوية الإسلامية: هي مجموعة مترابطة من المبادئ والقواعد والمفاهيم التربوية المستمدة من القرآن الكريم والسنة المطهرة، تكون الأساس المتين الذي يقوم عليه بناء تربوي صالح (التوم، 1400هـ، ص32) .

ويعرّفها(الخياط، 1424هـ، ص20) بأنها: المبادئ المستقاة من الكتاب والسنة، أو أنها مجموع آراء المفكرين المسلمين منذ عهد الخلفاء الراشدين وحتى وقتنا الحاضر.

ويعرّف الباحث النظرية التربوية الإسلامية تعريفاً إجرائياً بأنها: "المبادئ والقيم والتوجيهات، التي أمر بها الإسلام، بهدف تحقيق كمال العبودية لله سبحانه وتعالى، وتوجيه سلوك المسلم".

الدراسات السابقة:

في حدود اطلاع الباحث على الملخصات والرسائل الأكاديمية في التربية الإسلامية، ومن خلال مراكز الأبحاث والمجلات المحكمة، لم يجد الباحث أي دراسة تتناول الآراء التربوية للأستاذ محمد قطب، وعليه فانه لايوجد دراسات سابقة تناولت الآراء التربوية عند الأستاذ محمد قطب، ولكن هناك بعض المقالات في بعض الصحف والمجلات، تناولت مآثر الأستاذ محمد قطب وجهوده، وقد استفاد الباحث من تلك الكتابات بالرجوع إليها في فصول البحث، وهناك دراسات لها علاقة غير مباشرة بموضوعات البحث، وكذلك دراسات مماثلة تناولت شخصيات إسلامية أخرى.

يقدم الباحث عرضاً موجزاً لبعض هذه الدراسات بهدف الاستفادة منها قدر الإمكان، وهي مرتبة حسب تاريخ النشر بدءاً بالأقدم، كما يلي:

1- دراسة الخالدي(1994) بعنوان: "سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد" .

هدفت الدراسة إلى تقديم معلومات عن سيد قطب، وأخبارٍ عن حياته، لتكون مرجعاً لمن أراد أن يتعرف على حياة هذا المفكر، كما جاءت هذه الدراسة الواسعة بعد كتاب أول كتبه المؤلف عن سيد قطب، وقد زاد عليه الكثير من المعلومات والتعديلات، وهو تفصيل لحياة سيد قطب وترجمة لشخصيته وتسجيل لوقائع حياته وحياة أسرته، وقد توصل الكاتب في نهاية دراسته التي جاءت في أكثر من ستمائة صفحة إلى أن مسيرة حياة الشهيد قطب التي استمرت ستين عاما، كانت كلها جادة وقد أمضاها بجد وهمة وعصامية، وان حياته معطاءة، وأن سيد قطب كان رائداً في عالم النقد

والأدب، وصار رائداً في الفكر الإسلامي، ثم رائداً في الدعوة والمواجهة والجهاد، وأخيراً ختم حياته رائداً في الثبات والاستشهاد .

2- دراسة عبدالمعطي(1998) بعنوان:" تربية المسلم في عالم معاصر،منطلقات للتطوير"

وقد عالج فيه الباحث موضوع تربية المسلم على هدي الشريعة في مواجهة التحديات المعاصرة، وهي منطلق للتطوير في تربية المسلم، وهدفت الدراسة لتجلية وتوضيح ملامح المنهج الإسلامي في التربية، وتوضيح السبل الكفيلة بتجسده الواقعي، وقد تحدث الكاتب عن خصائص وسمات التربية الإسلامية وأهدافها ومصادرها، ومنهجية الإسلام في التربية، ووسائل تحقيق منهج الإسلام في التربية، وتناول مكانة التربية الإسلامية بين النظريات التربوية.

وقد خرج الباحث من دراسته بمجموعة كبيرة من النتائج من أهمها:

1- أن التربية الإسلامية ليست مقتصرة على تدريس مادة الدين بالمدارس .

2- التربية هي عملية بناء متكامل لشخصية الإنسان الصالح المؤمن .

3- تربية المسلم لا تقف عند صلاح عقيدته في الفكرة فقط، بل تمتد في الإصلاح إلى عقله واستقامة منهجه، والى جسمه وبنائه وسلوكه وجوارحه وتوجهاته، وتكامل معرفته لما يلزم المرء لسداد رؤيته وقراره وفعله من مهارات وخبرات تحيل العقيدة والمعرفة إلى عمل نافع ونظام للحياة.

3- دراسة العتيبي (1418هـ) بعنوان: " بعض الآراء التربوية للشيخ عبدالله عبد خياط ".

وقد هدفت هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على آراء الشيخ عبدالله خياط، لما لهذه الآراء من أهمية تنبع من مكانة الشيخ والوظائف التربوية المتعددة التي تقلدها، وقد توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج أهمها ما يلي:

1- نشأ في بيئة مليئة بعدد من العلماء تربى على أيديهم، وكذلك بعض الفتن في بداية حياته.

2- اهتمام الشيخ الخياط بالجانب العقدي في كثير من مؤلفاته وخطبه وبياناته .

3- اهتمام الشيخ بالعلم ويظهر ذلك من خلال كتاباته عن العلم، وحثه على التزود منه .

4- تمتاز آراء الشيخ الخياط بإسلاميتها واعتمادها على المصدرين الأساسيين للتشريع الإسلامي.

4- دراسة سلامة(٢٠٠١) بعنوان: "أساليب النبي ﷺ في تصحيح الخطأ عند الصحابة".

هدفت الدراسة إلى استنباط بعض الأساليب النبوية في التربية والتعليم، والتي كان النبي ﷺ يستخدمها في تصحيح أخطاء صحابته الكرام، من خلال أحاديثه الشريفة، وإظهار غنى الإسلام بالأمور التربوية، والتعليمية وعدم الجري وراء نظريات تربوية إلحادية.

وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي الاستنباطي من خلال جمع الأحاديث من الكتب الستة.

وكان من نتائج الدراسة ما يلي:

1- أن الأساليب قد تنوعت وتدرجت من الخفة إلى الشدة، حسب الأخطاء نفسها، والأشخاص

أنفسهم، وحسب المواقف نفسها.

2- لا تساهل في أخطاء العقيدة، أما الأخطاء السلوكية فيؤخذ صاحبها باللين والرفق مرة ، والغضب مرة، ومن الأساليب المستخدمة: التعريض، والتوبيخ، والمقاطعة، والضرب، والموعظة، والتخويف، والإنكار، والتعليم العملي، وبيان أضرار الخطأ وخطورته، وغيرها.

وأوصت الدراسة بالاقتداء بالنبي محمدﷺ،لاختيار الأسلوب المناسب فيما يمر من أحداث ومواقف.

5- دراسة أبو دف(2003) بعنوان: "معالم الفكر التربوي عند سيد قطب من خلال تفسيره في ظلال القرآن ".

هدفت الدراسة إلى الكشف عن معالم الفكر التربوي عند سيد قطب، من خلال تفسيره في ظلال القرآن، والتعرف إلى خصائص المنهج الإسلامي في التربية كما يصورها قطب في تفسيره، والتعرف إلى آرائه حول الأسرة المسلمة كوسيط تربوي، وتربية الجماعة المسلمة.

توصلت الدراسة إلى نتائج عديدة يمكن تلخيص أهمها فيما يلي:

1- تجسد الإعجاز التربوي في القرآن الكريم، من خلال توافقه مع الفطرة الإنسانية، وتركيزه على الأساليب العملية في التربية وتوجيهه المتعلمين نحو الانفتاح على خبرات الآخرين والاستفادة منها.

2- الفطرة الإنسانية لها استعداد مزدوج للخير والشر، وهي عرضة للانحراف والفساد إذا ما خرجت عن ناموس الكون وانغمست في الترف والملذات.

3- الأسرة المسلمة محضن أساس وفاعل في تربية النشء المسلم، ولا يمكن الاستغناء عنه وينبغي العمل على حمايته وتفعيل دوره التربوي.

4- وجود الجماعة المسلمة، ضرورة شرعية وتربوية تتمثل في إقامة شرع الله تعالى في الأرض، وقيادة البشرية وتربية الفرد المسلم ورعاية الأسرة المسلمة.

6 – دراسة الحامد (1425) بعنوان: "الآراء التربوية عند الشيخ عبدالله محمد الخليفي".

هدفت الدراسة إلى التعرف على شخصية الشيخ عبد الله الخليفي، وآرائه في التربية، ومدى الاستفادة منها في الجوانب العملية التربوية والتعليمية، وقد استخدمت الباحثة المنهج التاريخي والوصفي والاستنباطي في هذه الدراسة، وتناولت الدراسة آراءه التربوية في التربية الإيمانية، والتربية الخلقية، والتربية الاجتماعية، وقد كان من أهم النتائج المستخلصة من هذه الدراسة ما يلي:

1- التعليم الصحيح هو الذي يقوم على ربط المسلم بخالقه وتوجيهه من أجل العمل لآخرته .

2- العالم العامل هو الذي يؤدي دوره في مجتمعه في التربية والتعليم، ولا ينطوي على نفسه .

3- يجب ربط المتعلمين بالقرآن والسنة وعلومها، والعودة بهم إلى ذلك المعين الصافي .

وكان من أهم التوصيات التي أوصت بها الدراسة هي: دعوة الآباء والمربين إلى تقوى الله في تربية الأبناء والطلبة، وإعطائهم القدوة الحسنة من أفعالهم قبل أقوالهم، والتحلي بالخصال الحميدة، واجتناب الخصال الذميمة.

7- دراسة الشامي (1426) بعنوان: "الشيخ الألباني منهجه وآراؤه في معالجة بعض المشكلات التربوية المعاصرة" .

هدفت الدراسة للتعرف إلى آراء الشيخ الألباني في العديد من المشكلات التربوية المعاصرة، وذلك من خلال بيان ملامح منهجه في معالجة المشكلات التربوية المعاصرة، والتعرف إلى مفهوم التربية لدى الشيخ الألباني، وقد استخدم الباحث في دراسته المنهج الوصفي التحليلي.

وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج، من أهمها:

1- الشيخ الألباني تميز بالعلم الراسخ في عدد من العلوم الشرعية، وإدراكه فقه الواقع .

2- الشيخ الألباني حدد أولويات الإصلاح التربوي، بالبدء بإصلاح المعتقدات، وتصحيح الأصول قبل الفروع، وغير ذلك .

3- حذر الألباني من التقليد، واعتبره من المشكلات التربوية الكبيرة التي تورث المسلمين التعصب وضيق الأفق، ودعا إلى الاجتهاد .

4- تأكيده على الربط بين العلم والعمل، وابتعاده عن الغلو في التربية، ودعا إلى التربية الوسطية.

5- اعتنى الشيخ الألباني بالعملية التربوية، وبين عناصرها الأساسية المتمثلة في المعلم والمتعلم والمنهاج، وأوضح صفات وخصائص المعلم الناجح، وآداب المعلم والمتعلم.

وفي ضوء نتائج الدراسة أوصى الباحث بمجموعة من التوصيات منها:

1- مواصلة البحث في تراث الشيخ الألباني من الناحية التربوية والفقهية والحديثية .

2- الاهتمام بدراسة المشكلات التربوية المعاصرة في ضوء التربية الإسلامية وتطبيق نتائجها .

3- بناء الفكر الإسلامي الذي يعتمد على أساس الإسلام الحنيف، المتمثل في الكتاب والسنة.

4- تعزيز النظرة التربوية في جميع عناصر العملية التربوية.

5- الاستفادة من العلوم التطبيقية والتطور العلمي للغرب، ما لم تعارض الشرع الحنيف، وإعادة دراسة المناهج الموجودة بما يوافق الشرع.

8- دراسة أبو دف(2006) بعنوان: "بعض الممارسات التربوية المستنبطة من خلال السنة النبوية ".

هدفت الدراسة إلى إبراز شخصية الرسول ﷺ المتكاملة والتأكيد على أهمية الاقتداء بها، والكشف عن بعض الممارسات التربوية التي تضمنتها السنة النبوية المطهرة، والتقدم ببعض التوصيات التي يمكن أن تسهم في الارتقاء الوظيفي والمهني للمعلم، وقد اكتسبت الدراسة أهميتها من خلال بيان

موقع السنة النبوية وأهميتها، كمصدر أساس من مصادر التربية الإسلامية، كما كانت الدراسة محاولة من الباحث يمكن أن تصب في مجال تأصيل الفكر التربوي الإسلامي .

وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وكان من أهم نتائج الدراسة:

استخراج الممارسات التربوية كشواهد من خلال السنة النبوية، وبيان تنوع وتعدد الممارسات التربوية التي كان يقوم بها النبي الكريم ﷺ واستيعابها مكونات الطبيعة الإنسانية، وشمولها جميع جوانب حياة الإنسان، سواء كانت ممارسات تتعلق بأداء المربي، أو وظائف المربي، أو ممارسات تربوية خاصة بعلاقة المعلم بالمتعلم .

9- دراسة الصيفي (2008) بعنوان:" المضامين التربوية في كتابات فتحي يكن".

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن المضامين التربوية في كتابات فتحي يكن، وذلك من خلال توضيح دور الشباب المسلم في التغيير الثقافي والاجتماعي، والوقوف على أبرز معالم التربية الأمنية والتربية الوقائية، ودورها في بناء الإنسان المسلم، والتربية الدعوية، ودورها في تشكيل شخصية الداعية المسلم، وتوصلت الدراسة إلى نتائج عدة، من أبرزها:

1- ركز يكن في قضية التغيير على أهمية عنصر الشباب في مواجهة أعداء الإسلام .

2- التربية الجهادية عنصر من عناصر تحقيق الأمن والاستقرار في الأمة الإسلامية .

3- من الأساليب الوقائية للخروج من حالة التخبط والانهيار الذي أصاب نظمنا التعليمية والتربوية من جراء فشل المنهاج والمربي، استخدام أسلوب التصفية ثم الترقية وأسلوب تشخيص الحالة.

وقد أوصت الدراسة بمجموعة من التوصيات من أهمها :

1- توظيف قدرات الشباب وإمكاناتهم، ودعم روح الإبداع لديهم، وحثهم على التجديد والابتكار.

2- الاهتمام بقضية إعداد الشباب المسلم المؤهل، القادر على الدفاع عن الأمة الإسلامية.

3- توعية الشباب المسلم بالأزمات والمشاكل الأمنية، التي تعاني منها بلاد العرب والمسلمين ومحاولة إيجاد الحلول الممكنة للخروج من تلك الأزمات.

4- تثقيف الداعية المربي من جميع نواحي الحياة، وإطلاعه على ما توصل إليه العلم الحديث .

10- دراسة دبابش(2008) بعنوان: " منهج الرسول ﷺ في التربية من خلال السيرة النبوية".

هدفت الدراسة إلى التعرف على أهم الأسس التربوية التي يقوم عليها منهج التربية النبوي، والكشف عن المبادئ التربوية المستمدة من السيرة النبوية، وتوضيح الأساليب التربوية التي استخدمها الرسول ﷺ في تربية الصحابة ﭫ، وتقديم تصور مقترح للاستفادة من منهج الرسول ﷺ في التربية، وقد استخدمت الباحثة في دراستها المنهج الوصفي التحليلي .

وقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

1- إن السيرة النبوية استندت على أسس تربوية عقائدية وأخلاقية وعلمية وجهادية، استند إليها النبي ﷺ في تربيته لأصحابه .

2- السيرة النبوية غنية بالمبادئ التربوية، التي ساهمت في بناء مجتمع إسلامي قوي .

3- أساليب تربية النبيﷺ لأصحابه تميزت بالتنوع والمرونة والتكامل والشمول مما جعلها صالحة لكل زمان ومكان ولكل فئات البشر، ومنها التربية بالقدوة ،التربية بالقصة ،التربية بالأحداث ...

وقد أوصت الدراسة بضرورة اهتمام التربويين بالسيرة النبوية لأنها غنية بالمبادئ والأساليب التربوية ، وتوظيف أحداث السيرة في معالجة بعض الأحداث والمواقف المعاصرة .

التعقيب على الدراسات السابقة:

بالنظر إلى الدراسات السابقة يتبين أن العلاقة بين الدراسة الحالية والدراسات السابقة تتمثل في النقاط التالية :

1- أكدت الدراسات السابقة على أن التربية الإسلامية منهج متكامل شامل، قادر على حل كل المشكلات التي تواجه الأمة .

2- ضرورة العودة الجادة إلى أصولنا الإسلامية، المتمثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية، وما خلف لنا الآباء والأجداد من تراث وحضارة إسلامية أصيلة.

3- اتفقت الدراسات السابقة على ضرورة تربية الإنسان وفق الأساليب النبوية بأنواعها المختلفة، والمستمدة من العقيدة الصحيحة والعبادة السليمة والسلوك القويم .

4- استخدمت الدراسات السابقة المنهج الوصفي التحليلي، وأسلوب تحليل المحتوى، وأضافت بعض الدراسات إلى جانبه المنهج التاريخي .

5- ظهر من خلال تلك الدراسات، أن آراء العلماء المسلمين وفكرهم التربوي متقارب، بسبب نهلهم من المصادر نفسها وهي(الكتاب والسنة) .

6- أكدت الدراسات السابقة على أن التربية الإسلامية بحاجة إلى المزيد من الأبحاث والدراسات التي تتميز بوضوح الرؤية وسعة الأفق .

مدى الاستفادة من الدراسات السابقة:

استفادت الدراسة الحالية من الدراسات السابقة فيما يلي:

- المنهج والأسلوب الذي اتبعته بعض الدراسات السابقة، وهو أسلوب تحليل المحتوى.
- إن المشكلات المعاصرة في التربية، والمشكلات التي تواجه الأمة، نجد لها حلاً شافياً إذا ما عدنا إلى السنة النبوية والسيرة العطرة، بحثاً وتمحيصاً.
- إفادة الباحث في كتابة الإطار النظري المتعلق بالتربية ومباحثها المختلفة .
- و قد استفاد الباحث من الدراسات السابقة في بناء منهجية البحث، ودراسة العديد من القضايا المهمة التي ينبغي التركيز عليها، للحاجة الملحة لها في عصرنا هذا.

أوجه تميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة:

1- تناولت هذه الدراسة شخصية الأستاذ محمد قطب من ناحية تربوية، وهو ما لم يتطرق إليه أحد (في حدود علم الباحث) .

2- إن هذه الدراسة تبحث في أحد علماء المسلمين المعاصرين، وهو شقيق الشهيد سيد قطب، وله تجربة غنية جداً في العلوم الشرعية والقضايا الفكرية والتربوية المعاصرة .

3- إن هذه الدراسة تقوم على البحث في الآراء التربوية للأستاذ محمد قطب حول العديد من المشكلات التربوية المعاصرة، التي ناقشها في ضوء الكتاب والسنة .

4- تطرقها إلى ميادين تربوية مهمة على الساحة الإسلامية، مثل التربية الإسلامية، والتأصيل الإسلامي، ودور المربي.

5- يمكن الإفادة من هذه الدراسة فيما يتعلق بالآراء التربوية لمحمد قطب، في النهوض بواقع حياتنا التربوية.

الفصل الثاني

منابع فكر محمد قطب وآرائه التربوية

أولاً: نشأته وحياته

ثانياً: حياته العلمية و العملية

ثالثاً: العوامل المؤثرة في شخصيته وفكره

رابعاً: منهجه الفكري والقضايا التي اهتم فيها

خامساً: جهوده العلمية

أولاً : حياة الأستاذ محمد قطب

يهدف هذا الفصل إلى بيان الظروف التي نشأ فيها محمد قطب، والعوامل التي أثرت في تنشئته، السياسية والاجتماعية والثقافية، حيث تأثر بالظروف التي مرت بها مصر، وأثرت في حياته وأفكاره بصفة عامة، كما يقدم هذا الفصل ملامح من حياة محمد قطب، وأفراد أسرته، وما مرّ به من وقائع وأحداث كان لها الأثر الكبير في مسيرته العلمية والفكرية .

1- مولده ونشأته:

محمد قطب إبراهيم حسين شاذلي، الشهير بـ (محمد قطب)، ولد في السادس والعشرين من أبريل عام 1919م الموافق لسنة 1338هـ، في قرية "موشا" إحدى قرى محافظة أسيوط بصعيد مصر، (المجذوب، 1992م، ص275)، تلك القرية الزراعية الواقعة هي إحدى قرى محافظة أسيوط في الصعيد، وأكبرها من حيث المساحة وعدد السكان، وأجمل قرية على مستوى المحافظة، وحصلت على جائزة القرية المثالية، وتسمى "بلد الشيخ عبد الفتاح"، نسبة لأحد أوليائها، وله مقام بارز فيها، وكانت القرية معروفة بالثراء والرقي والنظافة بالقياس إلى القرى الأخرى المجاورة، ويعرفها الناس منذ القدم بأنها قرية العلم والعلماء وقرية طلاب العلم(الخالدي،1994،ص25)،بها كثير من المعاهد التعليمية والدينية، ومعروف عن أهلها أنهم محبون بل عاشقون للعلم والتعليم، وقد أنجبت قرية "موشا" الكثير من العلماء وذوي التأثير في الحياة الاجتماعية والعلمية والعملية والدينية.

في هذه القرية المتميزة، وفي هذا الوسط الاجتماعي الريفي العلمي، كانت نشأته الأولى، حيث قضى محمد طفولته في القرية، وانطبعت في مخيلته صورها ومشاهدها، وتأثرت نفسه بمناظرها وتفتحت مشاعره وأحاسيسه على جمالها وبهائها، وكثيراً ما كان يذهب إلى الحقول والبساتين الخضراء يجري فيها ويتفيأ ظلال أشجارها، ويرهف سمعه لشدو بلابلها، وزقزقة عصافيرها، ويقطف لنفسه من زهورها، ويستروح نسيم عبيرها(الخالدي،1981م، ص64) .

هذا المشهد الذي رأيناه كان له فيما بعد أثر في صقل شخصية محمد قطب، في مراحل حياته اللاحقة، حينما كان طالباً ثم أستاذاً ثم مفكراً مبدعاً .

2- نبذة عن حياته وشخصيته:

- انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين، واعتقل سبعة سنوات، و أفرج عنه-1971- و سافر إلى السعودية للعمل في جامعة الملك عبد العزيز.
- تزوج محمد قطب بعد الإفراج عنه، وبعد أن جاوز الخمسين من عمره، وله عدة أولاد، أكبرهم "أسامة" (الخالدي، 1994، ص45).
- انخرط في العمل الدعوي وهو ما يزال في العشرين، وتكونت لديه حصيلة عظيمة بسبب خبرته، كتب على أثرها كتباً عظيمة في الفكر والتربية، كانت وما تزال مراجع مهمة في المكتبة العربية،

ورغم أنها مكتوبة منذ سنوات طويلة، إلا أن الطلب ما يزال شديداً عليها، وبعضها طُبع أكثر من عشر طبعات، وما زالت أفكاره متداولة على ألسنة الدعاة والمفكرين وكتاباتهم.

- كان الأستاذ في شبابه يهتم بالمطالعة الدائمة والمستمرة، وفي نفس الوقت اشتهر بغزارة الإنتاج الأدبي والفكري، ففي مقدمة محاضرة له يصف نفسه في هذا الجانب قائلاً: "أحب أن أقرّ أنني أصبحتُ ولله الحمد أميّاً لا أقرأ ولا أكتب، وإنني أذكر أياماً في صدر الشباب، كنتُ أخصص فيها عطلة الصيف للقراءة، وكنت أعتبر اليوم الذي يمر دون أن أقرأ فيه كتيّباً أو مائة صفحة على الأقل من كتاب كبير، يوماً ضائعاً من عمري، ولكني أصبحت اليوم لأسباب كثيرة - منها جامعة أم القرى- مشغولاً بحيث لا أكاد أقرأ ولا أكاد أكتب" (قطب، محاضرة: أزمة الفكر).

- ومن صفاته الشخصية يلاحظ عليه التواضع الشديد، وإنكار الذات، رغم مكانته العلمية الكبيرة، ففي محاضرة علمية مصورة يخاطب الحضور وهم طلاب العلم في جامعة أم القرى، يقول: "وإن كنتُ في كل مرة أجد منكم هذه الحفاوة أحسُّ بالحرج، فأرجو ألّا تكونوا مخدوعين في محاضِرِكُم وأرجو أن أكونَ عند حسن الظن" (قطب،محاضرة: المذاهب الفكرية المعاصرة).

- قامت الجامعة بإلغاء عقد كبار العلماء فيها، ومنهم الأستاذ: محمد قطب، بسبب تجاوزه السن القانوني(65)عاماً، ومنذ ذلك الوقت والأستاذ مقيم في بيته، يزوره من يريد، وينهل من علمه، ويتلقى من تربيته من يقصده .

- الأستاذ الآن طاعن في السن وقد جاوز التسعين عاما، قد رق عظمه واحدودب ظهره وضعف بصره وطالت عزلته، فلا يستقبل الزوار إلا نادراً لظروفه الصحية وكبر سنه .

- تحرك قلمه مجددا عقب اندلاع الحرب الإجرامية على غزة (2008/12/27) وتداعياتها على الساحة العربية والإسلامية والدولية، وما لها من أبعاد، وكتب مقالاً وهو على فراش المرض بعنوان: " دماء غزة تغذي شريان الأمة " نُشر باسمه في المواقع الالكترونية، ما يدل على أن الأستاذ مازال يعيش هموم ومشاكل الأمة ويتفاعل مع قضاياها المصيرية رغم كبر سنه ومرضه .

- أصيب بجلطة دماغية بسيطة(الثلاثاء 2009/9/1) نُقِل على إثرها لتلقي العلاج في مستشفى المركز الطبي الدولي بجدة في المملكة السعودية (2009/9،موقع الإسلام اليوم).

3- أسرته ومكانتها في القرية:

ولد لأبوين كريمين متوسطي الحال، يحملان سمت أهل الصعيد المصري من سمرة في البشرة، وقسمات وجوههم تعكس بعض ما جبلت عليه فطرتهم من غيرة على العرض، إلى الطيب المتأصل في أعماق نفوسهم، والكرم الذي لا يفارقهم سواء في سني الجدب أو الخصب والنماء، هذا فضلاً عن العاطفة الفياضة الجياشة التي تربطهم بشدة بهذا الدين القويم، ولقد ذكر الأستاذ سيد قطب في مقدمة كتابه "التصوير الفني في القرآن"، أن روح أمه المتدينة قد طبعته بطابعها، وفي مقدمة كتاب "مشاهد القيامة" أنه قد تربى في مسارب نفسه الخوف من اليوم الآخر من خلال الكلمات

والتصرفات التي كانت تنطلق من والده، من خلال ممارسته أعماله اليومية، والقيام بضرورياته من طعام وشراب وغيرها (عزام، د.ت، ص2).

نشأ محمد قطب في أسرة متدينة عريقة، جمعت بين الوجاهة الريفية والرقي العلمي، كانت في وقت من الأوقات عظيمة الثروة، وبعض أهل القرية يأتون إلى الأسرة، يحيطون بها كخدم وأعوان، والعمال القادمون للعمل في مزارع القرية يفضلون العمل في مزارع الأسرة، وموظفو الدولة الذين يعملون في مزارعها، يترددون على الأسرة باستمرار، والحفلات والولائم الكبيرة التي تقام في المواسم ويتلى فيها القرآن، تتكرر عند الأسرة أكثر من مرة في السنة (الخالدي،1994، ص32).
فكانت هذه الأسرة ليست كباقي الأسر، فهي تمتاز عنها بالمركز المرموق الذي يغبطها عليه الكثيرون، وقد غرست هذه المشاعر في الأسرة معاني العزة والكرامة.
ولعل كتاب الشهيد سيد قطب "طفل من القرية" – وهي مذكرات يسرد فيها طفولته التي قضاها في القرية – فيه الكثير من مشاهد و تفاصيل حياة الأسرة والقرية .

4- أفراد أسرته:

- والده:

والده الحاج قطب إبراهيم، لم يتجاوز في دراسته المرحلة الابتدائية، لكنه لم يقف عند حدود التحصيل المدرسي، إذ كان محباً للمطالعة مقبلاً عليها، فهو يعتبر من مثقفي قريته المهتمين بالأمور العامة، وبذلك كان موضع التقدير والاحترام من أهلها، إذ يعدّونه من أصحاب الرأي فيهم (المجذوب ، 1992،ص277) .
كان لعائلته ثروة وأراضٍ زراعية كثيرة في القرية، ولكن ثروة الأسرة تلك توزعت وتضاءلت بالميراث، وبقي لوالده قدر محدود من هذه الثروة، ولكنه كان يتناقص دائما، لأن والده أصبح عميداً لأسرته، ونظراً لمكانته التي تطلبت منه الإنفاق الكثير فكان يضطر لبيع قطع الأرض التي ورثها، فباعها قطعة تلو الأخرى، مما اضطره في النهاية إلى بيع بيت العائلة الكبير، مما ترك أثراً على نفسية والدته وأخواته (الخالدي، 1994، ص31).
كان والده يتصف بمحاسن الكرامة والتقوى، يستلذ بذكر الله، ويتمتع بتلاوة القرآن، وهو عند أهل الريف شخصية تهوى إليها القلوب تقديراً واحتراماً، ولقد أهدى الشهيد سيد قطب إليه كتاب "مشاهد القيامة في القرآن" يقول:" لقد طبعتَ في حسي وأنا طفل صغير مخافة اليوم الآخر، ولم تَعِظْني أو تزجرني، ولكنك كنت تعيش أمامي واليوم الآخر في حسابك، وذكراه في ضميرك وعلى لسانك، كنت تعلّل تشددك في الحق الذي عليك، وتسامحك في الحق الذي لك بأنك تخشى اليوم الآخر، وكنت تعفو عن الإساءة وأنت قادر على ردها، لتكون لك كفارة في اليوم الآخر، وإن صورتك المطبوعة في مخيلتي ونحن نفرغ كل مساء من طعام العشاء، فتقرأ الفاتحة، وتتوجه بها إلى روح

أبيك في الدار الآخرة، ونحن أطفالك الصغار نتمتم مثلك بآيات منها متفرقات قبل أن نجيد حفظها كاملات " (قطب، 2002، ص5) .

وقد كان والده صالحاً ملتزماً يرتاد المساجد للصلاة، وحسب تعبير سيد قطب فقد كان والده متنوراً، عنده إلمام بنواحي الوعي والثقافة، وعنده وعي وطني وسياسي، فقد كان من قرّاء الصحف وكان عضواً في لجنة الحزب الوطني بالقرية، ومشتركاً في جريدته الرسمية "اللواء"، وقام بواجبه الوطني خير قيام، فكان حزبياً نشيطاً حيث جعل من بيته مركزاً سياسياً هاماً تعقد فيه الاجتماعات السياسية والوطنية للعامة وأخرى للخاصة (الخالدي، 1994، ص34) .

- والدته:

هي السيدة فاطمة حسين عثمان – أم سيد- وهي الزوجة الثانية لأبيه، وتنتمي إلى أسرة عريقة مُحبة للعلم، كانت من أسرة جمعت بين الوجاهة والعلم، فهي لا تقل وجاهة عن عائلة قطب، أما العلم فقد تلقى اثنان من إخوتها دراستهم في الأزهر، وبرز منهم "أحمد حسين عثمان" الذي اشتهر باسم احمد الموشي، وكان له الأثر الكبير على سيد وعلى محمد، وكان له نشاط سياسي وأدبي في القاهرة، فهي عائلة مرموقة عند أهالي القرية، والدها هو "حسين عثمان" كان أهل القرية يحترمونه ويجلونه (الخالدي ، 2000، ص52) .

وكانت والدته امرأة مؤمنة متدينة متصفة بصفات المؤمنات، وكانت كريمة تقوم بنفسها بإعداد الطعام للعمال في المزارع والقرّاء الذين يأتون للقراءة في البيت، تجهد نفسها في هذا كله وهي راضية النفس لأنها تتقرب إلى الله بهذا العمل(الخالدي، 1994، ص37) .

كانت تحب سماع القرآن، وتتأثر بذلك، وتخشع عند تلاوته وتحث ابنها على أن يقرأ لها القرآن، وقد صوّر لنا سيد قطب مشهداً لوالدته كان يراه في صغره، في كتابه "التصوير الفني في القرآن" وأهداه لوالدته، وذكر ذلك المشهد في مقدمة كتابه، قال: " لطالما تسمّعتِ من وراء "الشيش" في القرية، للقرّاء يرتلون في دارنا القرآن طوال شهر رمضان، وأنا – معكِ- أحاول أن الغو كالأطفال، فتردني منكِ إشارة حازمة، وهمسة حاسمة فأنصت معكِ إلى الترتيل....وحينما نشأتُ بين يديكِ بعثتِ بي إلى المدرسة الأولية في القرية، وأُولى أمانيك أن يفتح الله عليَّ فأحفظ القرآن، وأن يرزقني الصوت الرخيم، فأرتله لكِ كل آن.." (قطب ، 2002، ص5).

توفيت سنة 1940م بعدما استقرت في القاهرة، وقد رثاها سيد رثاءً حاراً ، وبين في رثائه بعض ما غرسته في نفسه (الخالدي، 1994، ص39) .

- إخوته:

تزوج والده زوجتين، أنجبت الأولى ولداً أشار إليه سيد في عدة مواضع من كتابه طفل من القرية، أما والدته- أم سيّد- فهي الزوجة الثانية لوالده وقد أنجبت خمسة أولاد: ابنين وثلاث بنات، وهم بالترتيب: نفيسة وسيد وأمينة ومحمد وحميدة (الخالدي ، 1994، ص40) .

وقد كانوا أهل علم وثقافة وأدب، يتبادلون الآراء التي تظهر بوضوح في كتابهم المشترك الذي سموه " الأطياف الأربعة "، ولنا هنا وقفة سريعة معهم، ونذكر الأخوات أولاً .

– نفيسة هي كبرى شقيقاته الثلاثة، وتكبر سيد بثلاثة أعوام، وقد أشار لها سيد في كتابه طفل من القرية، بدون ذكر اسمها، وليس لها اشتراك في الأعمال الأدبية كباقي إخوتها، وقد استشهد ابنها "رفعت" تحت التعذيب عندما اعتقل مع الإخوان في محنة 1965م .

– أمينة هي المولودة الثالثة، وهي التي تصغر سيد، ولها اهتمامات أدبية، حيث شاركت إخوتها في كتاب " الأطياف الأربعة "، ولها مجموعات قصصية، كما لها كتابات في الشعر، وقد تزوجت " كمال السنانيري " أحد قادة الإخوان الذي استشهد أيضاً تحت التعذيب سنة 1981م .

– شقيقته الثالثة حميدة، وهي أصغرهم جميعاً، ولها أيضاً اهتمامات أدبية، حيث كانت تكتب الخواطر، وشاركت إخوتها في كتاب الأطياف الأربعة، ثم صار لها اهتمامات إسلامية عندما توجهت الأسرة كلها للعمل الإسلامي، ونشرت مقالات إسلامية في مجلتي " المسلمون" و "الإخوان المسلمون" وغيرهما، كما كان لها نشاط مركزي فيما بعد مع جماعة الإخوان المسلمين كباقي إخوتها، وكان نصيبها من الابتلاء والتعذيب في محنة الإخوان (الخالدي، 2000، ص61) .

– سيد قطب:

وقد ذكر الباحث الأخوات أولاً خروجاً عن الترتيب العمري، لكي يتسنى الوقوف قليلاً عند شقيقه المفكر الشهيد سيد قطب، والذي يكبره بثلاثة عشر عاماً، حيث ولد سيد في التاسع من أكتوبر عام1906م، عاش طفولته وصباه في قرية موشا وتلقى فيها دراسته الابتدائية، وسافر إلى القاهرة سنة 1920م لإكمال دراسته، وأقام عند خاله "أحمد حسين عثمان"، والذي كان له الأثر الكبير في حياة سيد ومن بعده محمد، أكمل دراسته إلى أن حصل على البكالوريوس في الآداب من كلية دار العلوم سنة 1933م، وعمل في التدريس، وفي وظائف متنوعة في وزارة المعارف، التي أوفدته إلى أمريكا في مهمة للاطلاع على مناهج التربية والتعليم هناك، وبقي لمدة سنتين، وعاد سنة 1950م، واختلف مع كبار موظفي وزارة المعارف، وقدّم استقالته بعد خدمة تسعة عشر عاما .

وقد كانت له منذ شبابه اهتمامات أدبية وسياسية ومقالات في الصحف، كما كانت له أنشطة مع حزب الوفد، وبقي فيه حتى عام 1942، ثم بدأت مرحلة التحول الفكري إلى أن انتظم في جماعة الإخوان المسلمين عام 1953م، وأمضى بقية عمره فيها (الخالدي، 1994، ص15).

ورحلته مع النظام الحاكم كانت مليئة بالأحداث والمواقف، وما لاقاه من تعذيب رهيب تقشعر من هوله الأبدان، مع أفراد أسرته، وجماعته، وحوكم بعدها بالإعدام .

ترك سيد قطب تراثاً واسعاً في الأدب والنقد والفكر الإسلامي، على رأسها تفسيره في ظلال القرآن الذي اعتُبر به مفسراً مجدداً ورائداً للفكر الإسلامي الأصيل (الخالدي، 1994، ص17).

وربما صفحات كثيرة تكتب لن تفي بالحديث عن الشهيد سيد قطب رحمه الله .

وقد كان لسيد دور كبير في صقل شخصية شقيقه محمد والتي تبدو واضحة، كما سيأتي لاحقاً..
من خلال ما سبق يتبين أن البيئة التي نشأ فيها محمد قطب كان لها التأثير الكبير في حياته وفكره، بدءاً من قريته التي عاش فيها سنوات حياته الأولى قبل دخول المدرسة، بما فيها من مشاهد ومظاهر وقيم إيجابية، ثم أسرته التي كان لها أثر واضح في تشكيل شخصيته وفكره، حيث بات واضحاً أن جميع أفراد أسرته كانوا على قدر كبير من التدين والثقافة والعلم، والتدين الفطري للوالدين، ولعل الأثر الأقوى والأكبر في تشكيل شخصية وفكر محمد قطب هو علاقته بشقيقه الشهيد سيد قطب، وهذه العلاقة سيتضح مدى أهميتها في الصفحات القادمة.

ثانياً: حياته العلمية والعملية

عاش الأستاذ محمد قطب حياةً مليئة بالدراسة والتحصيل، كان لها كبير الأثر على تكوين اتجاهه الفكري، وقد تنوعت حياته العلمية ما بين الدراسة والتحصيل، وإلقاء المحاضرات والإشراف العلمي، والمؤتمرات، مما أكسبه خبرة ومعارف واسعة في مجال العلوم الإنسانية.

1- دراسته وتحصيله العلمي:

- بدأ محمد قطب دراسته الابتدائية والثانوية في القاهرة، حيث إن الأسرة كلها استقرت هناك عند شقيقه سيد، بعد وفاة والده .
- التحق بجامعة القاهرة، حيث درس الإنجليزية وآدابها، وتخرج سنة 1940م، وكان يرغب بدراسة اللغة العربية وآدابها، لكنه درس الإنجليزية بناءً على رغبة شقيقه سيد.
- تابع دراسته بمعهد المعلمين، وحصل على دبلوم المعهد العالي للمعلمين في التربية وعلم النفس عام1941م (الخالدي، 2000، ص59) .

2- مهنته:

- عمل الأستاذ محمد قطب بالتدريس لمدة أربع سنوات .
- عمل بإدارة الترجمة بوزارة المعارف بمصر لمدة خمس سنوات .
- ثم عمل بالتدريس مرة أخرى لمدة عامين .
- عمل في دار الكتب المصرية، حيث أصبح مشرفاً على مشروع" الألف كتاب " الذي كان يقدم الكتاب المهم بثمن منخفض (السحار، 2003، ص106) .
- في عام 1972م وبعد خروجه من سجنه سافر إلى السعودية، حيث تعاقدت معه جامعة الملك عبد العزيز في مكة – والتي هي جامعة أم القرى في مكة حالياً – وعمل فيها أستاذاً في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة (الخالدي، 2000، ص59) .

أما عن درجته العلمية، فقد بين فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي أن الجامعات السعودية – يومها– كانت تعطي الدرجات العلمية بالأهلية والشهرة العلمية، وليس بالشهادات ولا بالأقدمية، فالأستاذ

محمد قطب وغيره كانوا لا يحملون شهادة دكتوراه، ولكنهم جميعاً يعيّنون في درجة أستاذ لما تميز به عطاؤهم العلمي (القرضاوي، د.ت ، ص27).

3- تلاميذه ومن تأثروا بفكره:

درّس وأشرف محمد قطب على عدد كبير من العلماء والدعاة العاملين، مثل الشيخ الدكتور سفر الحوالي، والدكتور محمد القحطاني والدكتور علي العلياني والدكتور علي الحربي والشيخ سعيد بن مسفر القحطاني، هؤلاء وغيرهم كثيرون هم اليوم دعاة كبار ومنهم يدرّسون اليوم في أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي .

وهناك غيرهم من الدعاة والعلماء تأثروا بفكره والتقوا معه وزاروه في بيته. من أمثال الشيخ الدكتور سلمان بن فهد العودة الذي تحدث عن لقائه بمحمد قطب قائلاً: لقيته وقرأت جميع كتبه، وسألناه أسئلة كثيرة عن تجربته وحياته وسجنه ومجيئه هنا للمملكة، وهذا إنما يدل على مدى الاهتمام والتقدير للشيخ، والتأثر بفكره .

4- مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

لم يحظ محمد قطب بشهرة شقيقه سيد قطب، وإن لم يكن أقل منه تأثيراً في الحركة الإسلامية بالعالمين العربي والإسلامي، إذ يعد محمد قطب(من خلال كتبه وأدبياته ومحاضراته وتوجيهاته عبر إشرافه على عدد كبير من الرسائل الجامعية) مدرسة فكرية متكاملة، كانت ومازالت لها أثر بعيد وملحوظ في شرائح من الأجيال المتتابعة من الإسلاميين في المشرق والمغرب.

- يقول مصطفى حلمي أستاذ الفلسفة الإسلامية في جامعة أم القرى: "هذا الرجل له فضل كبير علينا جميعاً وعليّ شخصياً، ويكفي أنه أول من لفت الانتباه إلى أسلمة العلوم الإنسانية وخاصة علم النفس والاجتماع، وعلّمنا جميعاً أهمية هذا الأمر، وبيّن الاختلاف النظري بين الأصول والتصورات والمنطلقات في العلوم الإنسانية الغربية وبين الإسلام ومنهجه".

وعن محاضراته يقول: "كان يدرّس النظم المعاصرة، وكانت محاضرته شيقة وفي موضوعات تشد انتباه الطلبة بقوة، فكان يطيل في محاضرته، ويجيب على أسئلة الطلبة بعد المحاضرة، فيتأخر عن موعد إنهاء محاضرته كثيراً" (2009/11، موقع الجماعة الإسلامية).

- الشيخ سلمان بن فهد العودة يتحدث عن تجربته مع القراءة، فيذكر كتباً تربوية ينصح بقراءتها وهي: كُتُب الأستاذ محمد أحمد الراشد، والأستاذ محمد قطب، والشيخ أبي الحسن الندوي، وغيرهم كثير، ويتابع د.سلمان العودة: "أولَّ مادة صوتية(شريط مُسجَّل)استمعت لها، وهي عبارة عن محاضرة للأستاذ محمد قطب في أول نشاط علمي له في المملكة بعد قدومه إليها واستقراره بها، وهو يذكر كيف كان يهرّب المسجل مع إخوته ليسمع شريط محمد قطب هذا، ويتنادى حوله الأخوة هامسين كأنهم يحومون حول الإبريق السحري في الحكايات الأسطورية".

يتابع الدكتور العودة: وقد علّق الشيخ عبد العزيز بن باز عليها، وأثنى على الأستاذ، وأشاد به، ودعا له ولأخيه سيد قطب –رحمه الله– (2000/10،موقع الإسلام اليوم).

– الكاتب والمفكر محمد سليمان يقول: "صاحبت كتب الأستاذ محمد قطب، وأثّرت هذه الكتب في شخصيتي وجدانياً وفكرياً، لم أكن أتجاوز الثانية عشرة من عمري وقد بدأت قراءة كتبه، أذكر أني قد بدأت في تلك الفترة قراءة "هل نحن مسلمون" و"جاهلية القرن العشرين"، ولم أتوقف عن قراءة كتبه إلى اليوم، وكم شعرت بالسعادة وأنا أقرأ هذه الكتب، خاصّة في المرحلة الجامعية في ذروة نقاشي وجدالي الفكري مع الليبراليين والشيوعيين، شعرت حينها بأهمية ومجهودات هذا الرجل العملاق، الذي كرّس حياته وعلمه وفكره لله وفي الله" (2002/5، موقع مجلة العصر).

ثالثاً: العوامل المؤثرة في شخصيته وفكره:

1– العوامل السياسية:

إن بداية تأثر محمد قطب بالأحداث السياسية بدأت في مرحلة مبكرة من حياته، بحكم علاقته بشقيقه سيد وخاله، اللذين كان لهما أنشطة حزبية وسياسية وصحفية وأدبية .

الحديث عن الظروف السياسية في مصر منتصف القرن العشرين يقودنا إلى ما تعرض له الإخوان المسلمون من ظلم رهيب على يد النظام الحاكم، وقد نُشِرَت العشرات من الكتب والدراسات التي تؤرخ لهذه المآسي، وكتب الكثيرون عن تجربتهم الشخصية، ولا تخلو أي من تلك الكتب أو الروايات من إفراد صفحات كثيرة للحديث عن عائلة قطب، وما لاقته من ظلم وتنكيل وقهرٍ، توّج بإعدام الشهيد سيد قطب الشقيق الأكبر للأستاذ محمد قطب، وهو ما أثّر بشكل كبير في مسيرة حياة الأستاذ محمد قطب، وقد عاصر محمد قطب هذه الأحداث منذ بداياتها مع النظام الملكي.

وعن بداية تلك الأحداث يقول الأستاذ محمد قطب: "بدأت تلك الأحداث أولاً مع النظام الملكي منذ عودة أخيه سيد من أمريكا سنة 1950م، حيث شرع يكتب في الصحف مقالات سياسية لاذعة، كانت تعرضه باستمرار لخطر الاعتقال على ذمة التحقيق، وكانت هذه التجربة جديدة في حياة الأسرة من ناحيتين، أولاهما: مواجهة الباطل وجهاً لوجه، والثانية: هي تعرض حرية سيد للمصادرة بين الحين والآخر، وهو رب الأسرة التي الذي كان بالنسبة لها معتمدها في سائر شئونها الحيوية" (المجذوب،1992،ص279) .

وما أن انطلقت ثورة يوليو 1952م حتى اصطدم القائمون عليها بأصحاب الاتجاه الإسلامي من "الإخوان" وعلى رأسهم سيد قطب الذي تأكدت صلته بالحركة بعد عودته من أمريكا .

ظلت الأحداث تتسارع حتى وقعت حادثة المنشية الشهيرة، أكتوبر 1954م، حيث اتهم عبد الناصر الجماعة بمحاولة اغتياله، فاعتقل على خلفية هذه الحادثة سيد قطب ومن معه من قادة وعناصر الحركة، وكان من بينهم شقيقه محمد، وهو ما عبر عنه محمد بالقول: " كانت فتنة السجن الحربي

بالغة الأثر في نفسي، إذ كانت أول تجربة من نوعها، وكانت من العنف والضراوة بحيث يمكن لي القول إنها غيرت نفسي تغييرا كاملا ..."(المجذوب، 1992، ص280).

أفرج عن محمد قطب بعد فترة غير طويلة، في حين حكم على سيد بالسجن 15 سنة، وهي الفترة التي تمكن خلالها من كتابة "في ظلال القرآن" وقد أفرج عن سيد بعفو صحي في مايو 1964.

ولم يمض عام واحد حتى اضطربت الأمور مرة أخرى، وشرع عبد الناصر في الاعتقالات 1965، فأعيد سيد قطب إلى السجن مرة أخرى، وأعيد أيضاً شقيقه محمد، وخلال هذه الأحداث تعرض آل قطب لحملة ضارية من التنكيل والتعذيب، فقتل "رفعت" ابن أخته نفيسة، أثناء التعذيب، واعتقلت شقيقاته الثلاث، وعذبت الشقيقة الصغرى ثم حكم عليها بالسجن عشر سنوات، وقد نال محمد نصيبه من هذا الأذى – بحكم ارتباطه مع سيد – حيث كان أول المعتقلين، وعذب في السجن تعذيباً رهيباً، حتى أشيع أنه قتل تحت التعذيب (الخالدي، 2000، ص59) وقد طالت فترة اعتقاله حتى قضى في السجن ست سنوات، من 30 يوليو 1965 إلى 17 أكتوبر 1971، بينما أعدم سيد قطب و6 آخرون من قادة الإخوان، وتم تنفيذ الحكم سريعاً في فجر الاثنين 29 أغسطس 1966، وزادته المحنة إيماناً وثباتاً، وفجع بالسجن بإعدام شقيقه سيد، وقد ترك استشهاده جرحاً عميقاً في نفسه، لكنه صبر واحتسب .

2- العوامل الثقافية:

كان في مصر الجامع الأزهر ذو التاريخ الإسلامي والعلمي والجهادي المعروف، وعمل الانجليز على تحجيم دوره المؤثر، وتم إنشاء المدارس والجامعات المصرية وفق الطريقة الغربية للتعليم، من خلال أجيال أُوفدت للغرب وعادت بعقول غربية، ولم يسلم من ذلك إلا من ثبتهم الله على الحق أمثال الشهيد سيد قطب، وتولى هؤلاء العائدون تعليم وتوجيه الأجيال الناشئة وفق أفكارهم وتصوراتهم الغربية، وعلى المناهج التعليمية الغربية الجديدة، فيما يُعرف بالتغريب أو الغزو الفكري، وقد تأثر الأستاذ محمد قطب بهذا الفكر الغربي في مجال دراسات النفس الإنسانية، وكانت له مواقف متعددة أبرزها ما كتبه حول نظرية فرويد وتأثره بها، يقول: "كنت في صغري شديد الإعجاب بفرويد إلى حد الفتنة... وظللت على فتنتي هذه سنوات، أقرأ كل ما يصل إليّ من أقوال فرويد أو شروح تلاميذه المعجبين به"(قطب،1989،ص9)، وبعد دراسته الجامعية ثم دراسته للتربية وعلم النفس بتوسع واهتمام كبير، بدأ يتجه إلى الفكر الإسلامي، وكانت الدراسات في النفس الإنسانية هي مدخله إلى الإسلام، وإعادة الدراسات السابقة وفق التصور الإسلامي، فبدأ يغير من نظرته إلى فرويد ويتخذ منه موقف الناقد (قطب، 1989، ص7).

فترة الخمسينيات والستينيات كانت الأفكار الشيوعية والاشتراكية والليبرالية تجوب البلاد الإسلامية، وتسيطر على العديد من المحافل الإعلامية والثقافية والفكرية، وكانت نظرياتها تدرّس في الجامعات العربية والمعاهد العلمية على أنها الحقائق العلمية الدامغة التي لاينالها الريب والشك، في هذه الفترة

قدّم محمد قطب مجموعة من الكتابات الرائدة آنذاك، في نقد هذه الأطروحات وبيان تهافتها معرفياً وعدم صلاحيتها للتطبيق في العالم العربي والإسلامي، ومن هذه الكتب: الإنسان بين المادية والإسلام، في النفس والمجتمع، جاهلية القرن العشرين، هل نحن مسلمون، شبهات حول الإسلام، معركة التقاليد، وكثير من الكتب تؤسس للفكر الإسلامي المعاصر من منطلق معرفي إسلامي مخالف لنظرية المعرفة الغربية، وهو ما يعرف بالتأصيل، أو أسلمه المعرفة .

كما أن الكثير من محاضراته تصب في نفس السياق، وفي إحدى محاضراته بعنوان(الآداب في خدمة الدعوة) يتحدث عن المناهج الدراسية التي تتناقض مع المنهج الإسلامي في التاريخ والأدب والاقتصاد، ويضرب لذلك مثالاً بأنه لمّا كان تلميذاً في المدرسة، ثم مدرساً للصبيان، كان هناك تناقض بين منهج الدين والتاريخ، في حصة الدين يقول لنا مدرس الدين إن فرعون ملعون لأنه استكبر على الله ورسوله، وفي حصة التاريخ يقال لنا الفرعون المجيد وتعدد لنا أمجاده، وبذلك يحير الطالب بين ما يسمعه في درس الدين أو درس الأدب والتاريخ والاقتصاد (قطب،محاضرة: الآداب في خدمة الدعوة) .

من ناحية ثانية، في تلك الفترة نشطت وانتشرت الطباعة والنشر الأدبي والصحفي، وظهرت المدارس والنظريات الأدبية والنقدية المختلفة، وبرز أدباء وكتاب وشعراء كبار أمثال العقاد والرافعي وطه حسين وغيرهم، وكان لسيد قطب وجوده الأدبي والنقدي الراسخ، وكذلك محمد قطب الذي تأثر بتلك الثورة الفكرية والأدبية، فكان له دوره في كتابة المقالات الصحفية والأدبية، والتي كانت انعكاساً للحالة السياسية السائدة، فالصحف المنتشرة تنتمي إلى أحزاب وتيارات سياسية وفكرية متعددة ومجاذبة، كان من بينها صحيفة الإخوان المسلمين الأسبوعية، وكان رئيس تحريرها سيد قطب، وكان محمد قطب يقوم بترجمة المقالات والتقارير التي يراد أن تنشر في الصحيفة، بحكم أنه درس الإنجليزية وآدابها (الخالدي، 2000، ص40) .

بعد دراسة المواقف والأحداث التي مر بها الأستاذ محمد قطب يتبين أنه قد تأثر بما حوله من نشاط أدبي وعلمي وثقافي وسياسي وإسلامي، وعاش مراحل حياته المتعددة بوعي وحضور، عاش هموم ومشكلات الأمة، وسخّر قلمه وعلمه للدفاع عن الأمة وهويتها من الضياع والذوبان في التيارات الفكرية المنحرفة .

3- شخصيات تأثر بها:

أول من تأثر بهم محمد قطب في حياته هما أبواه، ولعل السيرة المختصرة لأبويه بينت ما كانا عليه من التزام، وتدين فطري انطبع على جميع أفراد الأسرة، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: "**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ**"(البخاري،1422،ج2،ص100)، ولكن هناك شخصيات تأثر بها محمد قطب وأثرت في مسيرة حياته العلمية والعملية وأهم شخصية هو شقيقه المفكر الشهيد سيد قطب .

- **تأثره بسيد قطب:**

يشير الأستاذ محمد قطب في الكثير من المواقف والكتابات، إلى عمق علاقته وتأثره بسيد، كما أشار شقيقه سيد إلى ذلك أيضا، لقد كان سيد قطب يكبر شقيقه محمد بثلاثة عشر عاما، فكان له بمثابة رب الأسرة وبمكانة الأب والصديق بعد وفاة والدهما، ويتحدث الأستاذ محمد عنه فيقول: "إحساسي به كان دائماً أنه قطعة من نفسي، فأشعر حين أتحدث عنه كأنني أتحدث عن نفسي، ويخجلني أن أتحدث عن نفسي" (قطب، محاضرة: ترجمة سيد قطب).

ويؤكد محمد قطب أن سيد هو أكثر الرجال تأثيراً في بنائه الفكري والعقلي، فهو الذي أشرف على تعليمه وتوجيهه وتثقيفه، يقول: " كانت صلة سيّد بي من حيث التربية، يتمثل فيها العطف والحسم في آن..، فلا هو اللّين المفسد، ولا الشدة المنفرة، كما أنه كان يشجعني على القراءة في مختلف المجالات، وكان هو نفسه نهماً إلى القراءة، فساعدني هذا التوجيه على حب المطالعة منذ عهد الطفولة"، وعن الأبوة الفكرية بين الشقيقين يقول محمد قطب: "لقد عايشت أفكار سيد بكل اتجاهاته منذ تفتح ذهني للوعي، ولمّا بلغت المرحلة الثانوية جعل يشركني في مجالات تفكيره، ويتيح لي فرصة المناقشة لمختلف الموضوعات، ولذلك امتزجت أفكارنا وأرواحنا امتزاجاً كبيراً، بالإضافة إلى علاقة الأخوّة والنشأة في الأسرة الواحدة، وما يهيئه ذلك من تقارب وتجاوب" (المجذوب،1992،ص278).

وقد تجلّت هذه العلاقة وهذا التأثر بشقيقه سيد في بعض كتاباته، حيث أهدى محمد إلى سيد كتاب "سخريات صغيره "، ومما جاء في الإهداء: "إلى أخي الذي علّمني كيف أقرأ وكيف أكتب وحباني برعايته منذ طفولتي فكان لي والداً وأخاً وصديقاً، إليه أهدي هذا الكتاب، لعلي أستطيع أفيه بشي من الدَّين العظيم" .

وكانت لسيد قطب بصيرةٌ نافذةٌ في شقيقه محمد، فقد كان يتوقع أن يكون محمد امتداداً له في الحياة الأدبية – قبل أن يتوجه الشقيقان إلى الفكر الإسلامي – وصرّح سيد بذلك في ديوانه الشعري "الشاطئ المجهول" في أبيات أهداها لمحمد، ومما جاء في الإهداء قوله:

أخي، ذلك اللفظُ الذي في حروفه ... رموزٌ وألغازٌ لشتى العواطفِ

أخي ، ذلك اللحنُ الذي في رنينه ... ترانيمُ إخلاصٍ و ريّا تآلفِ

أخي أنت نفسي حينما أنت صورة ... لآمالي القصوى التي لمّا تُشارفِ

فأنت عزائي في حياة قصيرة ... وأنت امتدادي في الحياة وخالِفِي

وكانت أمنية الشهيد سيد قطب أن يخلفه شقيقه، فمد الله في عمر شقيقه، وخَلَف سيد، واعتُبر امتداداً له في حياته، وخالفاً في آرائه وأفكاره (الخالدي، 2000، ص60) .

ومن خلال ما سبق يتبين أن أفكار محمد قطب تتقاطع مع أفكار شقيقه سيد، فهو أبرز معلّميه ومربيّه الروحيين والفكريين، وأشركه معه بنحو ما في تأليف بعض كتاباته، ويمكن أن يُعدّ محمد

قطب من أفضل الشُرّاح لأفكار "سيد"، بل ولهما نفس الأسلوب في الكتابة والتأليف، وهذا ظاهر لكل من يعرفهما .

من خلال الإطلاع على سيرة عائلة قطب، يتبين أن الأستاذ محمد قطب لم يعايش شقيقه سيد في القرية سوى سنة واحدة تقريباً، وذلك لأن مولده كان سنة 1919م، بينما غادر شقيقه سيد القرية إلى القاهرة سنة1920م أو1922م ، ما يعني أن مرحلة التأثر بسيد كانت خارج القرية، في القاهرة وفق معطيات جديدة، أسرية و اجتماعية وثقافية وسياسية تختلف عن القرية، واليوم يعتبر محمد قطب امتداداً لأخيه سيد في الفكر الإسلامي والدراسات الإسلامية .

- خاله أحمد حسين عثمان:

امتاز خاله بمواهبه الأدبية والقلمية، إذ كان شاعراً أديباً، واشتغل بالصحافة والسياسة، وكان أحد ثلاثة أشخاص عدّهم محمد قطب ممن ساهموا في بناء فكره، إلى جانب شقيقه سيد قطب، والأديب عباس محمود العقاد .

وعن تأثير خاله يحدّث قائلاً: " كان لوجودنا مع خالي، ذي النشاط السياسي والأدبي والصحافي، أثره الملموس في توجيهنا- أخي وأنا- نحو الأدب والشعر وتغذية ميلنا إلى القراءة والاطّلاع، وإذ كان خالي على صلة وثيقة بالعقاد فقد اجتذبنا إلى التأثر به فكرياً وأدبياً إلا أن تأثيره في أخي كان أكبر لطول مصاحبته ومعايشته، ولاشتراكهما في النشاط الأدبي والنقد الأدبي بخاصة .

وعن تأثره بالعقاد، فقد كان أيضاً بسبب قربه وصلته من خاله، فقد بدأ بقراءة كتبه وكتب المازني وطه حسين، وهو في سن التاسعة من عمره، حيث كان يجدها في البيت، فيقرأ منها محاولاً فهم ما يتيحه له وعيه، يقول الأستاذ عن تأثره بالعقاد: "يمكنني القول بأن أثر العقاد بي فكرياً إنما يتمثل في الصبر على معالجة الأفكار بشيء من العمق، وعدم تناولها من سطوحها، وأسلوبياً يتمثل في التركيز على الدقة في التعبير.."(المجذوب، 1992، ص278).

رابعاً: منهجه الفكري والقضايا التي اهتم بها:

تعددت مجالات الاهتمام الفكري والقضايا التي تناولها، بحيث نجدها في جملتها تدور حول فكرة محاربة الغزو الفكري، والنهوض بالأمة للعودة بها إلى خطّ الإسلام الأول ألا وهو القرآن، وهنا سنعرض لأبرز القضايا التي كانت مثار اهتمام الأستاذ قطب .

1- منهجه في مجال الأدب والشعر:

غرس سيد قطب في شقيقه محبة الأدب وفنونه، حيث مارس محمد كتابة المقالة منذ بداية اهتماماته الأدبية، وقد نشر بعض مقالاته في المجلات الأدبية المشهورة، مثل "الرسالة" و "الثقافة" في سني الثلاثينيات والأربعينيات .

ألّف محمد قطب كتاب منهج الفن الإسلامي، وحاول أن يضع فيه القيود والضوابط للفن بحيث يكون فناً إسلامياً خالصاً، ممثلاً لفكرة الإسلام ورسالة الإسلام وحضارة الإسلام، ودعا فيه إلى أن تصدر الفنون عن تصور إسلامي، وعدَّ الأدب فناً من الفنون، وكان ممن عملوا على إنشاء أدب إسلامي، وفق التصور الإسلامي للكون والحياة، وله كلام كثير في ذلك من خلال كتابه "منهج الفن الإسلامي"، وقام فيه بوضع تعريف للأدب الإسلامي بأنه: " التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان" (قطب، 1987، ص6)، وهو مشهور جداً بين الأدباء .

2- في العلوم الإنسانية وعلم النفس:

منهجه في العلوم الاجتماعية هو التوجه نحو فكرة الأسلمة التي سميت "التأصيل الإسلامي"، حيث تنبه محمد قطب مبكّراً لفكرة "أسلمة العلوم"، قدّم جهداً نظرياً وتطبيقياً في مواجهة الغزو الفكري الذي عمّ بلاد المسلمين، في محاولة لإعادة ربط العلوم الحديثة بالإسلام، وجعل العلوم متصلة بالله تعالى، وليس بمحور الإنسان، وقد ألّف كتابه الشهير حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، وغيره من المؤلفات، فهو يرى أن العلوم الإنسانية جميعا، والتي تشمل علوم التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع، إنما سميت في أوروبا كذلك: " لا بمعنى أنها تعالج أموراً إنسانية كما يتوهم بعضنا حين يستخدم هذا الوصف، بل بمعنى أن المرجع فيها هو الإنسان، وليس الله ﷻ"، ثم يفسر ما ذهب إليه بالقول: " إن هذه العلوم نبتت في أوروبا ضمن جو معاد للدين، بسبب الظروف المحلية القائمة هناك منذ عصر النهضة، ونحن نقلناها كما هي، ودرسناها في مدارسنا وجامعاتنا بنفس الروح المجافية للدين والمعادية له، سواء شعرنا بذلك أم لم نشعر"، ثم يقدم المخرج من هذه الإشكالية بالقول: " وقد آن لنا أن نتخلص من وطأة الغزو الفكري على عقولنا وأرواحنا، فنتناول هذه العلوم من منطلقنا الإسلامي الذي لم يعرف العداوة بين الدين والعلم، ولا بين الدين والحياة " (المجذوب، 1992، ص284) .

3- منهجه في التربية:

يؤكد محمد قطب على وجود منهج متكامل للتربية في القرآن الكريم، منهج لا يترك صغيرة ولا كبيرة، يشمل النفس والحياة، وقد كان الرسول ﷺ هو النموذج الحي للتربية الإسلامية، والمفسر لهذا المنهج بأخلاقه وتوجيهاته، حيث عمل على بناء الفرد المسلم عقائدياً، ثم المجتمع المسلم، وصولاً إلى إقامة شرع الله ﷻ في الأرض، بناءً على هذا الفهم من القرآن والسنة يدعو الأستاذ محمد قطب إلى تربية " القاعدة الصلبة " على حقيقة مفهوم لا إله إلا الله، والعمل بمقتضياتها، فهو يؤكد على أهمية عقيدة التوحيد في تربية الفرد والجماعة، وتشمل العبادات وتعميق الإيمان بالله ﷻ والإيمان باليوم الآخر، وممارسة الحياة بمعية الله ﷻ، هذه القاعدة الصلبة بدورها تنشئ الأمة

الموصوفة بقوله تعالى:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾(آل عمران، الآية:110)، وفي خضم ما تعانيه البشرية اليوم من شقاء وفساد وجاهلية معاصرة، ليس علاج من ذلك إلا أن تعود إلى الله ﷻ لتجد الأمن والرعاية في حماه وتجد التوجيه الراشد في منهجه للحياة، ومنهج التربية الإسلامية هو المنهج الرباني لتقويم البشرية وتوجيهها لترشد وتتوازن وتسلك سلوكها المستقيم في الحياة .
وللأستاذ محمد قطب مجموعة مؤلفات وسلسلة محاضرات في التربية تشمل خصائصها وأهدافها ووسائلها، معتبراً أن القدوة في التربية قد تمثلت في الجماعة المسلمة الأولى .

خامساً: جهوده العلمية:

بدأ محمد قطب حياته العلمية أديباً وكاتباً، ثم ما لبث أن تطور فكره فأصبح كاتباً إسلامياً معروفاً، وله العشرات من الكتب والمؤلفات المطبوعة والمنشورة، والمحاضرات المسجلة، هو محاضر جامعي ومشرف للدراسات العليا، وألقى عشرات المحاضرات في السعودية ودول عربية أخرى .
وقد قام الباحث بترتيب هذه المؤلفات والجهود العلمية حسب نوعها بدءاً بالكتب .

1- الكتب المنشورة:

أصدر محمد قطب العشرات من الكتب والدراسات، في مجالات التربية وعلم النفس والاجتماع والأدب والفكر الإسلامي، يتداولها الإسلاميون من كل الاتجاهات، وفي جميع أنحاء العالم، ومن أبرزها كتاب " جاهلية القرن العشرين " و" واقعنا المعاصر"، ولقد طبعت كتبه عشرات الطبعات، وصارت نبراساً للكثيرين وأكثرهم من أجيال الشباب، و نظراً لكثرة المؤلفات فقد اجتهد الباحث وقام بتصنيفها حسب موضوعاتها قدر المستطاع ، مع حديث مقتضب عن بعضها .
قدّم أول مجموعة من كتاباته في نقد الأفكار الشيوعية والاشتراكية والليبرالية التي انتشرت في البلاد الإسلامية، ومن هذه الكتب:

- الإنسان بين المادية والإسلام: أول كتب الأستاذ محمد قطب وأحبها إليه، ويمثل في نفسه خط الاهتداء إلى الإسلام، ويعتبره(الابن الأكبر)لأنه يشتمل على الخطوط الرئيسية التي انبعثت منها عدة كتب تالية في مجال التربية وعلم النفس .
- جاهلية القرن العشرين: يقدم فيه قراءة متكاملة للحداثة الغربية الجاهلية، أسبابها ومظاهرها، وامتدادها في العالم الإسلامي، ونتائجها، وضرورة التمسك بالإسلام لمحو هذه الجاهلية، ناعتاً إياها بأنها جاهلية ثانية، تماثل من حيث الانحراف والفساد الجاهلية العربية قبل البعثة النبوية.
- شبهات حول الإسلام: فيه الرد على الشبهات التي يثيرها البعض حول الإسلام، حيث يعرض الشبهة أولاً، ثم يرد عليها بما يبطلها، فيبين موقف الإسلام من بعض القضايا والأمور الاجتماعية والفكرية والسياسية والاقتصادية.
- هل نحن مسلمون .

– في النفس والمجتمع .

– معركة التقاليد .

– التطور والثبات في حياة البشرية .

كتب تهتم بدراسة القرآن من عدة جوانب وموضوعات:

– دراسات قرآنية: مجموعة من الدراسات التي توضح عظمة القرآن والدين الإسلامي، والتي من شأنها أن تعين القارئ على قراءة القرآن بتدبر، ويقول الأستاذ محمد قطب عن هذا الكتاب في مقدمته، بأنه "يحكي قصة حياتي مع القرآن منذ الطفولة حتى النضج" .

– دروس تربوية من القرآن الكريم: مجموعة من المحاضرات التي ألقيت بإحدى مدارس تحفيظ القرآن بجدة تتناول بعض الآيات التي تعطي دروساً عميقة للتدبر والتفكر .

– لا يأتون بمثله .

– دراسات في النفس الإنسانية .

كتب فكرية تنتقد المذاهب الفكرية المعاصرة :

– مذاهب فكرية معاصرة: قدم فيه رؤية معرفية نقدية لهذه المذاهب تعتمد على قراءة عميقة وتفكيكية لمقولاتها النظرية ولتجربتها الواقعية، وقد أصبح الكتاب مرجعاً أساسياً، حتى اعتمدته العديد من كليات الشريعة في العالم العربي والإسلامي.

– واقعنا المعاصر: محاولة تشخيص ما أصاب الأمة الإسلامية منذ عصر الرسول ﷺ، وأسباب الانحدار الذي حدث بعد ذلك منذ العصر الأموي، وموجات الغزو التي داهمت الأمة الإسلامية من الصليبيين والتتار، والصحوة الإسلامية وما يجب أن تكون عليه لمواجهة الأخطار المحيطة بالأمة الإسلامية .

كتب للرد على شبهات العلمانيين المرتبطة بتطبيق الشريعة :

– حول تطبيق الشريعة .

– العلمانيون والإسلام .

– مغالطات .

كتب توجيهات للشباب المسلم في منهج الدعوة ووسائلها :

– لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ومنهاج حياة: مقتضيات لا إله إلا الله، حيث المقتضى الإيماني والتعبدي والتشريعي والأخلاقي والفكري والحضاري والتعبيري، ثم عرض الانحرافات التي طرأت على مفهوم لا إله إلا الله ونواقضه، وواجب الصحوة الإسلامية.

– كيف ندعو الناس .

– هلم نخرج من ظلمات التيه .

كتب تشرح مفاهيم الإسلام وتبين مناهجه في مختلف الجوانب :

- مفاهيم ينبغي أن تصحح .

- ركائز الإيمان .

- قبسات من الرسول: يسوق الكاتب بعض الأحاديث النبوية الشريفة مع تفسيرها تفسيراً علمياً واستنباط الأحكام منها، والحِكم والعبر التي لابد وأن يُعمل بها من أجل إصلاح الفرد والمجتمع على ضوء سنة رسول الله ﷺ وأحاديثه النبوية .

- كيف نكتب التاريخ الإسلامي: تناول المنهج الذي ينبغي أن تعاد على أساسه كتابة التاريخ الإسلامي عارضاً لمظاهر الجاهلية العربية، ثم بعثة الرسول حتى صدر الإسلام .

- منهج التربية الإسلامية: الجزء الأول "في النظرية". يقدم الكتاب منهج كامل للتربية الإسلامية يشمل النفس الإنسانية والحياة البشرية بالتفصيل، مستشهداً بتوجيهات القرآن الكريم، والسنة النبوية.

- منهج التربية الإسلامية: "في التطبيق". منهج التربية الإسلامية ووسائله وأهدافه وخصائصه، وطريقة الإسلام في تربية الروح والنفس، وتربية العقل والجسم البشرى معاً لإقامة التوازن في الكيان البشرى، وربطه بالله تعالى، وهو الكتاب الذي حصل به على جائزة الملك فيصل العالمية .

- منهج الفن الإسلامي: الفنون الإسلامية وسماتها وحقيقتها وطبيعتها، ومجالاتها، من الشعر والقصة والمسرحية، والقرآن الكريم وعلاقته بهذا الفن .

- حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية: علم الاجتماع الإسلامي والركائز التي يقوم عليها، ومكانة الأسرة في البنيان الاجتماعي، وكيفية التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية .

- حول التفسير الإسلامي للتاريخ: دعوة للمؤرخين المسلمين لكي يعيدوا كتابة التاريخ البشري من خلال التصور الإسلامي المتميز، لإزالة التناقض القائم اليوم بين عقيدة الأمة ودراستها للتاريخ.

- مكانة التربية في العمل الإسلامي: مجموعة من المقالات القيمة والهامة حول أهمية التربية في العمل الإسلامي، وتركز على التجرد لله، والشورى، وأخلاقيات التعامل المادي والتعاملات الأخرى، أهمية الوعي السياسي والحركي ومعوقات النهوض، وينتهي الكتاب بمقالة عن الإسلام القادم.

كتب متنوعة أخرى تتحدث عن قضايا معاصرة :

- دروس من محنة البوسنة والهرسك .

- قضية التنوير في العالم الإسلامي .

- المسلمون والعولمة .

- المستشرقون والإسلام .

2- المقالات المنشورة:

ساهم محمد قطب على مدى النصف الثاني من القرن العشرين بالمئات من المقالات والبحوث الإسلامية، التي نشرت في أهم الدوريات العربية، ركز فيها على التصدي للقضايا الحية في حياة العرب والمسلمين، وهاجم نظريات الغرب، وقد نُشرت المقالات في المجلات الصادرة آنذاك، وقد

تم جمع الكثير منها-كما جرت العادة- في كتبه المنشورة، وآخر ما كتبه كان مقالاً بعنوان: " دماء غزة تغذي شريان الأمة "، وقد كتبه أثر اندلاع الحرب على غزة (2008م) .

3- الدروس العلمية والمحاضرات المسجلة:

له الكثير من المحاضرات الصوتية المسجلة، والتي تستهدف بالدرجة الأولى الشباب المسلم من طلاب الجامعات والمهتمين بقضايا الأمة، تهدف إلى توعية الأجيال، وإقامة الحجة وإنكار المنكر، وبناء شخصية الفرد المسلم، ويتحدث الأستاذ في معظمها حول الموضوعات الفكرية والتربوية المطروحة في كتبه وربما بعضها يحمل نفس العنوان، وكانت المحاضرات تلقى في الجامعات والمؤسسات والنوادي الرياضية والهيئات التي فيها تجمعات للشباب، حيث كانت تدعوه لإلقاء المحاضرات، وتوعية الشباب، وقد كان لجامعة أم القرى النصيب الأكبر من هذه المحاضرات، وكثير من هذه المحاضرات مسجلة ومتوفرة، وكثير منها بدون تاريخ، ومنها:

- الاتجاهات الفكرية المعاصرة، 1403هـ، جامعة الملك سعود .
- الجاهلية المعاصرة، 1409/4/26هـ ، جامعة أم القرى .
- رسالة إلى معلم الجيل والإسلام والتغيرات الدولية ، 1411/1/26هـ ، جامعة أم القرى .
- يوم كنا شباباً، 1414/8/22هـ ، جامعة أم القرى .
- حوار مفتوح ، 1415/5/24هـ ، جامعة أم القرى .
- ثقافة الشباب المسلم ، 1416/12/25هـ ، جامعة أم القرى .
- عودة الشباب إلى الإسلام .
- رسالة الشباب .
- مسئولية الشباب في الإسلام .
- فلننفض غبار النوم عنّا .
- واقعنا المعاصر: ألقاها في قطر، في المجلس الأعلى لرعاية الشباب، وهي مصورة .
- عقبات في طريق الصحوة الإسلامية: سلسلة محاضرات .
- مغريات الحياة المعاصرة وكيف يقاومها الشباب المسلم المغترب .
- كيف يؤدي الشباب المسلم رسالته .
- المستقبل لهذا الدين: سلسلة محاضرات علمية .
- العقيدة وأثرها في حياة الناس: سلسلة محاضرات .
- دراسات قرآنية: سلسلة محاضرات .
- دور المربي في بناء الأمة: وهي محاضرة تم تفريغها وطبعها ونشرها .
- تطلعات نحو المستقبل على مشارف قرن جديد .
- الحضارة المعاصرة في ميزان الإسلام .

- الأدب في خدمة الدعوة .

- التربية الإسلامية: سلسلة محاضرات .

4- المشاركات العلمية (ندوات، مؤتمرات):

شارك الأستاذ محمد قطب في الكثير من المؤتمرات العلمية والفكرية على المستوى العربي والإسلامي، ولكن لم يعثر الباحث -في حدود البحث- على توثيق لهده المشاركات سوى ما يلي:

- شارك في " المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي في مكة المكرمة "، تحت رعاية جامعة الملك عبد العزيز، في فبراير 1976م، وقد اختيرت الموضوعات بعناية، وكان في المؤتمر محاضرتان عامتان، يدعى إليها أعضاء المؤتمر وغيرهم، محاضرة في أول المؤتمر، ألقاها محمد قطب، ومحاضرة في خواتيم المؤتمر للشيخ يوسف القرضاوي(القرضاوي، د.ت، ص30) .

- شارك في مؤتمر "خبراء التربية الإسلامية "، في مكة المكرمة(1400/6هـ)، وقدّم بحثاً بعنوان: النظرية التربوية الإسلامية .

- شارك في الملتقى السنوي السادس والعشرين للمنظمات الإسلامية في أوروبا، في المركز الإسلامي في مدينة آخن في ألمانيا(يوليو 2001م)، وبمشاركة اتحاد الطلبة المسلمين في أوروبا واتحاد العمال المسلمين في أوروبا، وكان الملتقى بعنوان: "من هموم المسلمين في أوروبا"، تناول موضوعات تخص العمل الإسلامي في الغرب، وضم برنامج الملتقى(أمسية تكريم) للأستاذ محمد قطب، الذي أسهم خلال عمره بدور أساسي في الفكر الإسلامي .

- حصل على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية عام 1408هـ/1988م، وكان موضوع الجائزة: الدراسات التي تناولت التربية الإسلامية عن كتابه "منهج التربية الإسلامية" .

5- الإشراف على الرسائل الجامعية:

أشرف الأستاذ محمد قطب على العشرات من الرسائل العلمية لدرجتي الماجستير والدكتوراه، وما يميزه أنه عمل على تأسيس مدرسة إسلامية ذات طابع حركي داخل الجامعات السعودية، عبر إشرافه على العديد من الرسائل الجامعية التي رسخت العلاقة بين مدرسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وبين المشاكل الفكرية والحركية المعاصرة، وقدر لهذه الرسائل الجامعية أن تتجاوز في تأثيرها المملكة العربية السعودية، لبقية العالم الإسلامي، بعد طبعها ونشرها(عبد العال،2009، islamonline.net)، ومن أبرز هذه الرسائل:

- العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة ، ماجستير، سفر الحوالي .

- ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، رسالة الدكتوراه للشيخ سفر الحوالي .

- الولاء و البراء، ماجستير، للشيخ محمد بن سعيد القحطاني .

- الأخلاق في القرآن، ماجستير، عبد العزيز الشبل .

- أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة، دكتوراه، علي العلياني.

– العقيدة أساس التربية والنظم الإسلامية، دكتوراه، محمد حافظ الشريدة .
وهناك غيرها الكثير من الرسائل التي أشرف عليها، بالإضافة إلى أنه كان عضواً في لجان المناقشة للعشرات من الرسائل العلمية الأخرى، أبرزها رسالة ماجستير للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي – صاحب المؤلفات البارزة عن سيد قطب – وهي بعنوان: "سيد قطب والتصوير الفني في القرآن" وله فيها كلام كثير.

من خلال هذه الجولة في حياة محمد قطب، حياته وفكره ونتاجه العلمي يتبين لنا ما يلي:
1- ظروف البيئة التي عاش ونشأ في ظلالها كانت بكافة جوانبها عوامل لبناء شخصيته، والتأثير في تشكيل فكره، ويمكن إجمالها بثلاث مراحل رئيسية، الأولى: تأثره بشقيقه سيد قطب، والثانية: نشاطه ومحنته التي انتهت بسجنه، والثالثة: مرحة انتقاله إلى السعودية ومكوثه فيها، وكانت تلك الأخيرة تتويجاً لما قبلها، حيث بلغ فيها ذروة النشاط الدعوي والفكري والأكاديمي، وكانت كلها تصب لخدمة أهداف الإسلام وغاياته .
2- الأستاذ رغم تخرجه من قسم اللغة الإنجليزية، إلا أنه برع في مجال الفكر الإسلامي والمذاهب الفكرية المعاصرة التي كانت موضع اهتمامه قبل دراسته الجامعية لأسباب متعددة ومتداخلة .
3- لاحظ الباحث أن جميع مؤلفات وأعمال الأستاذ محمد قطب ونتاجه العلمي، كانت رغم تنوع خطوطها العريضة إلا أنها جميعاً لا تخلو من نقد للغرب وحضارته ومناهجه، ثم يقدم الحلول لهذه المشكلات التي غزت المسلمين .
4- رغم أن الأستاذ محمد قطب له مكانة علمية كبيرة بارزة، إلا أن الباحث – في حدود اطّلاعه – لم يكد يعثر على سيرة كافية وافية لحياة هذا الرجل، وسرعان ما تبين السبب من خلال لقاء صحفي معه في بيته، كان يبدو شديد النكران لذاته رفض تماما أن يتحدث عن نفسه، وأيضاً كرر ذلك في محاضراته .
5- تشكلت الآراء التربوية للأستاذ محمد قطب من خلال عدة عوامل، أولها حصوله على دبلوم التربية وعلم النفس، حيث مارس التربية نظرياً، ثم اشتغاله في سلك التعليم لعدة سنوات في التعليم المتوسط، فمارس التربية عملياً وتطبيقياً، ثم عمله في التعليم الأكاديمي الجامعي، وهذا وفر له حصيلة الاحتكاك المباشر بفئة الشباب التي تعتبر من أهم المراحل لتربية الجيل المسلم .
هذه العوامل وإضافة إلي تجاربه الأخرى، والتي رغم بعدها عن جو التربية والتدريس إلا أن محمد قطب يضفي عليها صبغة تربوية في بعض جوانبها، ما يعني أن موضوع التربية قد حظي باهتمام كبير عنده، وهذا يتضح من خلال كتابه الموسوعي منهج التربية الإسلامية، وكتاباته الأخرى ومحاضراته العلمية في هذا الموضوع .

الفصل الثالث

خصائص التربية الإسلامية التي بينها محمد قطب

أولاً: الربَّانية

ثانياً: الشُّمُول

ثالثاً: التَّوازن

رابعاً: الإيجَابية السَّويَّة

خامساً: الواقِعِية المِثَالِيَّة

تمهيد:

لقد ظهرت التربية الإسلامية منذ بدء ظهور الإسلام وبداية إنشاء المجتمع المسلم على يد المعلم الأول الرسول الكريم ﷺ، حيث اتُّخذت التربية وسيلة لتنشئة الأفراد لإقامة المجتمع المسلم، ومنهج التربية الإسلامية – المنهج الرباني – هو الذي أنشأ تلك الأمة، التي وصفها خالقها بقوله سبحانه وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ﴾ (آل عمران، الآية:110) والآية القرآنية تفيد أن هذه الأمة هي خير أمة في تاريخ البشرية كلها بالمطلق، وهذه الخيرية تستحقها الأمة الإسلامية، بسبب التربية الإسلامية التي تربى عليها الجيل الأول من الصحابة الكرام، على يد المعلم والمربي الأول محمد ﷺ(قطب،1981،ص19).

لقد كان الجيل الأول من المسلمين هو ذاته الذي شهد الجاهلية، هذا التحول الذي لا مثيل له في التاريخ، تم بالتربية التي استمدت خصوصياتها من القرآن الكريم، ومن الرسول العظيم ﷺ، تحولت من أمة متخلفة في جميع مجالات الحياة، إلى الأمة التي لا مثيل لها في تاريخ البشرية .

وتستمد التربية الإسلامية خصوصيتها وسماتها من الإسلام نفسه، ذلك لأن العلاقة بين الإسلام والتربية علاقة وثيقة، فالإسلام دين يقوم على العقيدة الراسخة، وعلى العبادة الخالصة لله ﷻ، وهو دين يدعو إلى الأخلاق الكريمة، ويجعلها دعامة التعامل بين أفراد المجتمع الواحد، وهو دين يحث على التفكير والنظر، ويدعو إلى العلم والعمل، ولعل هذا هو ما يجعل التربية الإسلامية تختص بعدد من السمات والخصائص التي تميزها عن غيرها من النظم التربوية الأخرى.

وقد طالع الباحث الكثير من الكتابات التربوية التي تناولت خصائص التربية الإسلامية، ولو أمكن جمعها لبلغت العشرات من الخصائص والسمات، ولكن تبقى مجموعة من الخصائص الرئيسية التي اشتركت جميع الكتابات التربوية في ذكرها، وتوسعت في شرحها وبيانها، مثل الربّانية، الشمول، التكامل، التوازن، وفي حدود هذا البحث، ذكر الباحث الخصائص التي بينها محمد قطب في كتاباته، والتي تعتبر أهم وأبرز الخصائص التي تحدثت عنها المراجع التربوية.

وقد تحدث قطب عن هذه الخصائص بطريقة مميزة، وشرحها وفق نظرته العميقة الواسعة والشاملة للإنسان وفطرته ونفسيته، والمجتمع والكون، وذلك من منظور إسلامي.

لقد ربط محمد قطب بين أهداف التربية ووسائلها، وربط بينهما وبين الخصائص والمجالات في تداخل وتناسق يصعب الفصل بينها، أو تناول إحداها دون الأخرى، فعند الحديث عن أهداف التربية لا يمكن إغفال الوسائل، وكذلك العكس، وعند الحديث عن الخصائص فلا يغفل عن ذكر المجالات(الروح والعقل والجسم)، بل إن الخصائص تتعدى لتبلغ كافة أركان التربية الإسلامية من مصادر وأهداف ووسائل ونتائج، فالتربية الإسلامية في كل هذه الجوانب لها خصوصيتها ولها ما يميزها عن التربيات الأخرى .

ولمّا كانت التربية الإسلامية مستمدة من مصدر أصلي وثابت ممثل في القرآن الكريم والسنة النبوية، فإن خصائصها أيضاً أصيلة وثابتة ومتميزة، ومن خلال تتبع كتابات محمد قطب، أمكن الوقوف على هذه الخصائص والتي يمكن إجمالها في النقاط التالية:

أولاً: الربانية:

عندما نتحدث عن التربية الإسلامية أنها ربّانية، فمعناه أن مصدرها الأول والأساسي هو رب العالمين، وكذلك غايتها وأهدافها ووسائلها، كلها مستمدة من المنهج الإسلامي الرباني، ووجهتها حسن الصلة بالله سبحانه وتعالى.

1- من حيث المصدر، التربية الإسلامية مصدرها رباني خالص، منزل من السماء، ولا توجد تربية على ظهر الأرض تشاركها هذا الأمر، فهي تربية وثيقة الصلة بالخالق سبحانه وتعالى، لأن مصدرها الأول والأساسي هو القرآن الكريم، قول الحق تبارك وتعالى المنزه عن الهوى والتغيير، وهو القول المحفوظ من قِبل الله ﷻ **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾**(الحجر،الآية:9).

وحول هذه الخاصية يرى(قطب، 2002، ص115) أن القرآن الكريم كله توجيهات تربوية، هدفها هداية الإنسان إلى ربه، ليعبده العبادة الحق، فيستقيم حاله في الدنيا والآخرة ويكون من الفائزين، وهذه التوجيهات أنواع مختلفة، فمنها توجيهات مباشرة، أوامر ونواهٍ واضحة محددة، ومنها ما يؤثر عن طريق الترغيب والترهيب، ومنها ما هو درس يُعرض للعبرة، ويحتاج إلى تدبر لاستخلاص العبرة المطلوبة.

وكون التربية الإسلامية ترتكز على مصدر إلهي، فهذا يستلزم ثبات أصولها وأنها من عند الله ﷻ فهي سالمة قطعاً من التناقض والنقص، قال الله تعالى: **﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾** (البقرة، الآية: 2)، وتربية هذا شأنها لابد أنها تناسب البشر.

2- وبما أن مصدرها رباني، فكذلك أهدافها وغاياتها، والربانية من حيث الهدف والغاية تعني أن المسلم في ظل التوجيهات الإسلامية يبتغي بأفعاله وأقواله رضا الله ﷻ، فهو يستمدها من منهج الله ﷻ، لأن الغاية هي حسن الصلة بالله والحصول على مرضاته سبحانه.

والصلة بالله ﷻ هي منهج التربية كله، الصلة بين القلب البشري وبين الله ﷻ، صلة دائمة تدفع القلب إلى الرجوع إلى الله في كل لحظة، واستشارة دستوره في كل أمر، وهذه الصلة بالله ﷻ هي القاعدة الرئيسية للتربية الإسلامية، التي بها يتم كل شيء، وهي تتحقق بالعبودية لله ﷻ.

والعبودية يعتبرها محمد قطب من أبرز سمات المنهج الإسلامي، الذي يحرص على أن يقيم منهجه التربوي على أساس العبادة بمعناها الشامل الواسع، وعلى أساس الصلة الدائمة بالله ﷻ، ولذلك يجعل العبادة هي القاعدة الكبرى ويستمد منها نظام الحياة كله في العبادة والعمل

والمعاملات، في كل لحظة من لحظات الحياة يربّي الإسلام الفرد على أن تكون صلته بالله ﷻ، وخشيته من الله، وحبه لله ورجوعه إلى منهج الله ﷻ (قطب، 1981، ص36).

وهناك نماذج كثيرة تربت بهذه التربية الربانية، فمن هذا المنهج التربوي الرباني انطلق لقمان الحكيم عليه السلام في نصائحه التربوية الحكيمة التي نصح بها ولده، فقد بدأها بدعوته إلى الإيمان والعقيدة الصافية، وذلك ما دل عليه النهي عن الشرك والتحذير منه، في قوله كما ورد في القرآن الكريم:﴿**وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾(لقمان، الآية:13).

ويرجع محمد قطب إلى السيرة النبوية ليستمد منها طريقة النبي ﷺ في تربية أصحابه على العقيدة الصحيحة، حين وجّه رسول الله ﷺ نصيحته التربوية الحكيمة لعبد الله بن عباس وهو غلام يافع، فعن عبد الله بن عباس قال: كنت خَلْفَ رسول الله ﷺ على دابة فقال: "**يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوك بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوك إِلَّا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضرُّوك لم يضرُّوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفَّتِ الصُّحُفِ**" (الترمذي، د.ت، ج4، ص665)، لقد أراد رسول الله ﷺ بهذا الحديث أن يُعلّم هذا الغلام العقيدة الصافية، ويبين له أن الحافظ والمعين والنافع والضار هو الله ﷻ،

وهذه الوصية التربوية النبوية تدل على أن العقيدة هي أساس التربية في المنهج الإسلامي، فالإيمان بأن الله ﷻ هو وحده الحافظ والمعين والنافع والضار، يحرر فكر الإنسان من الأوهام والخرافات، ويوجهه في طريق التفكير السليم، فلا يطلب العون إلا من الله ﷻ، وإن جاءه نفع أو ضر من مخلوقٍ، أيقن أنه بإذن الله ﷻ وقضائه(قطب، 1992، ص42) .

وهكذا يرى محمد قطب أن العقيدة الصحيحة هي التي تحدد للإنسان مكانه الصحيح في الكون، وتسدد خطاه في الزمان والمكان، حيث تبيِّن له وجهته الصائبة، وترسم له طريقه المستقيم، فيستقيم وجدانه وسلوكه، ومشاعره وأعماله، ومبادئه وواقعه، ويصبح كله – كما ينبغي أن يكون – وحدة متماسكة متكاملة، متجهة الاتجاه الصحيح (قطب، 1992، ص42) .

من خلال ما سبق يمكن استنتاج أن التربية الإسلامية تربية ربّانية، وتميزت بذلك عن غيرها، لأن مصدرها رباني وغايتها وأهدافها ووجهتها ربّانية، وقد بيّن محمد قطب ذلك، وبيّن أن التربية الإسلامية تسعى لتحقيق غاية عظمى وهي مرضاة الله ﷻ، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ (الذاريات، الآية:56)، فهي تقوم على تربية الفرد والمجتمع المسلم تربية شاملة، ليقوم بحق العبودية لله رب العالمين.

ثانياً: الشمول والتكامل:

الشمول من الخصائص التي تميز بها الإسلام عن كل ما عرفه الناس من الأديان، والفلسفات والمذاهب، بكل ما تتضمنه كلمة الشمول من معان وأبعاد، إنه شمول يستوعب الزمن كله، ويستوعب الحياة كلها، ويستوعب كيان الإنسان كله .

ولقد عبّر الشهيد حسن البنّا عن أبعاد هذا الشمول في رسالة الإسلام فقال: " إنها الرسالة التي امتدت طولاً حتى شملت آباد الزمن، وامتدت عرضاً حتى انتظمت آفاق الأمم، وامتدت عمقاً حتى استوعبت شؤون الدنيا والآخرة " (القرضاوي،1989، ص105).

وقد عبرّ محمد قطب عن تميز التربية الإسلامية بالشمول والتكامل بقولة: "إن الإسلام يأخذ الكائن البشري كله، يأخذه على ما هو عليه، بفطرته التي خلقه الله ﷻ عليها، لا يغفل شيئاً من هذه الفطرة، ولا يفرض عليها شيئاً ليس في تركيبها الأصيل" (قطب، 1992، ص15) .

وللتأكيد على هذا التميز للتربية الإسلامية، يعقد محمد قطب مقارنة بسيطة بين منهج التربية الإسلامي، وبين مناهج التربية في النظم الأخرى، يقول: "وما من نظام يعالج الفطرة كما يعالجها الإسلام، فالإسلام يعطي كل جانب من الإنسان حاجته بالقدر المتكامل المضبوط، بينما هناك نظم آمنت بجانب واحد في الكيان البشري، فراحت تعمل على تغذيته بما تراه صالحاً لها، نظم آمنت بالجانب المحسوس وتهتم بكل محسوس على الأرض، وكل محسوس في الكيان البشري، فحاولت أن تيسّر له قضاء الشهوات، ثم أغفلت من كيانه جانب الروح، وأهملت كل ما لا تدركه الحواس، أهملت الإيمان بالله ﷻ والعقيدة وما يشع من العقيدة من مثل وأخلاق، وهناك نظم آمنت بالجانب الروحي من الإنسان بأنه هو الحق، وراحت تغذي الروح بما ترى أنه غذاؤها الحق، راحت تتعبد، وترفع الإنسان عن ضرورات جسده كلها، وتقهر هذا الجسد لأنه(رجس)، والإسلام يجمع هذه وتلك، ولا ينحرف كما تنحرف هذه وتلك، الإسلام يؤمن بما تدركه الحواس، وبما يقع خارج نطاق الحواس، يؤمن بكيانه المادي المحسوس وبما له من مطالب وحاجات فيستجيب لها، ويؤمن بما فيه من طاقات، فيجندها لتعمل في تعمير الأرض، وفي الوقت ذاته يؤمن بالكيان الروحي للإنسان، وما له من مطالب، فيعطيه ما يطلبه من عقيدة ومُثُل، وصعود وترفُّع، ويؤمن بما يشتمل عليه من طاقات، فيجندها في إصلاح كيان النفس والمجتمع، بأن يصله بالله ويستمد وجوده، ووحيه من الله ﷻ (قطب، 1992، ص20).

هذه هي ميزة المنهج الإسلامي في تربيته الشاملة للكيان البشري، والميزة الأكبر والأكمل للإسلام أنه يعتبر الكيان البشري كياناً واحداً متكاملاً، ولا يترك شيئاً من جوانبه المتعددة (جسم وروح وعقل) فالإنسان هو كيان واحد ممتزج مترابط الأجزاء، ولا يوجد عمل واحد من أعمال الإنسان منفصلاً عن بقية الأعمال، فحياة الإنسان المادية لا تنفصل عن حياته العقلية، وحياته

ومشاعره الروحية لا تنفصل عن واقعه المادي، وتفكيره العقلي مرتبط بالجميع، وهذا أيضاً ما تميز به محمد قطب في حديثه عن خاصية الشمول والتكامل في التربية الإسلامية .

ويبين محمد قطب أن الإنسان في نظر الإسلام– كما هو في حقيقة فطرته– كائن مترابط، فلا انفصال بين عنصر الطين وعنصر الروح فيه، ليس جسداً خالصاً ولا روحاً خالصة، ولا انفصال بين شعوره وسلوكه، ولا عمله وأخلاقه، ولا مُثُله وواقعه، ولا عقيدته وشريعته، ولا دنياه وآخرته، كلها مزيج واحد، وحسبة واحدة، جسمه وروحه وحدة جسمية روحية في آن، وشعوره وسلوكه وحدة شعورية سلوكية معاً في ذات الوقت، وعمله وأخلاقه وحدة عملية خلقية بلا انفصال، وعقيدته وشريعته شيء واحد هو(الدين)، ودنياه وآخرته جزءان متكاملان من حياة واحدة متصلة ليس في داخلها انقطاع، وهو كائن متوازن، أو ينبغي أن يتوازن، لا الجسد يغلب فيه على الروح، لا الواقع على الخيال، لا نزعته الفردية على نزعته الجماعية، لا نزعته السلبية على نزعته الإيجابية، لا تثقلته نحو الأرض ولا رفرفته للسماء، ومن هذا الكيان المتوازن يتوازن الفرد والمجتمع، والتصور والسلوك، حين يستقيم هذا التصور الواضح في ضمير الإنسان تستقيم حياته كلها على الأرض(قطب،1992، ص215).

ومن شمولية التربية الإسلامية أنها تشمل كل جوانب شخصية الإنسان وحياته، وكل علاقاته مع نفسه ومع الآخرين، ولا تقتصر على جانب واحد من شخصية الإنسان، فهي تخاطب الجانب الجسمي وتخاطب حواسه جميعاً، قال تعالى: ﴿**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾ (الإسراء،الآية:36)، فالتربية الإسلامية تدعو إلى الاهتمام بالجسم والعناية به، وتخاطب الجانب العقلي، وتأمر العقل بالنظر في ملكوت الله الواسع، للتفكر والتدبر والنظر، لأن استخدام العقل يؤدي إلى تنميته، قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ**﴾ (آل عمران،الآية:190)، وتخاطب الجانب الروحي، وتهتم بالروح والنفس، فتوجهها للعبادة التي تسمو بالروح وتهذب النفس، قال تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا .فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾ (الشمس، الآيتان: 7–8).

كذلك التربية الإسلامية شاملة في اهتمامها بتنشئة المجتمع من جوانبه المتعددة، دينياً وخلقياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً وعسكرياً وعلمياً وحضارياً، وشاملة في اهتمامها بتنمية المجتمع مادياً ومعنوياً، وتنمية علاقاته بالمجتمعات الأخرى(القاضي، 2004،ص41) .

فالتربية الإسلامية تربية شاملة متكاملة تشمل الإنسان كله، روحه وعقله وجسمه، وهي تربيه أيضاً شاملة لكافة أركان المجتمع، فهي صالحة لكل البشر والمجتمعات .

مما سبق يتضح أن المنهج التربوي الإسلامي يتميز بالشمول والتكامل، لأنه يأخذها من صفة الإسلام عموماً، عقيدة وشريعة، فهو منهج شامل متكامل، لأنه منهج منزل من عند الله ﷻ، لا من صنع الإنسان، قد بيّن محمد قطب عن معنى الشمول والتكامل في المنهج التربوي، من خلال بيان مجالات هذا الشمول والتكامل المستمد من الإسلام، وعقد المقارنة بين المنهج الإسلامي والمناهج الأخرى.

ثالثاً: التوازن:

هذا الشمول الذي تحدثنا عنه لم يُترك مبعثراً مشوشاً، بل صيغ بتوازن دقيق عجيب، بحيث لايطغى فيه جانب على آخر، سواء في توجيه وتربية الروح أو العقل أو الجسم، فمن خصائص التربية الإسلامية أنها تهتم بتربية جميع جوانب الإنسان الخلقية والجسمية والعقلية، وتحقق التوازن والتوسط بين مطالب الإنسان الجسدية والروحية، فلا يطغى جانب على آخر يجعل الإنسان في صراع نفسي وعناء داخلي وكبت داخلي لغرائزه التي فطره الله ﷻ عليها، فعندما أمر الله تبارك وتعالى بالأخلاق الفاضلة حذّر الإنسان من الرذائل، وشرع له الطرق والسبل لإقامة ذلك التوازن .

والإسلام يعالج النفس البشرية والحياة البشرية، جسم وعقل وروح ممتزجة مترابطة في كيان واحد، وطاقة جسمية وطاقة عقلية وطاقة روحية عاملة في الأرض ممتزجة مترابطة، ويستغل هذه الطاقات كلها مجتمعة.

كما أن استغلال هذه الطاقات مجتمعة يحدث توازناً في داخل النفس وواقع الحياة سواء، توازن بين طاقة الجسم وطاقة العقل وطاقة الروح، توازن بين ماديات الإنسان ومعنوياته، وتوازن بين ضروراته وأشواقه، وتوازن بين الحياة في الواقع والحياة في الخيال، توازن بين الإيمان بالواقع المحسوس والإيمان بالغيب الذي لا تدركه الحواس، توازن بين النزعة الفردية والنزعة الجماعية، توازن في النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، توازن في كل شيء، مصداقاً لقول الله ﷻ: ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾(البقرة، الآية: 143) وسطاً في كل شيء، متوازنين في كل ما تقومون به من نشاط (قطب، 1992، ص28).

ويرى محمد قطب أن في تكوين النفس الإنسانية أدوات للتوازن، تحفظ اتزان الإنسان حين تكون بمعاييرها التي أنزلها الله ﷻ، مما يمكن أن نسميه "الخطوط المتقابلة في النفس الإنسانية" مثل الحب والكره، والخوف والرجاء، والإيمان بالمحسوس، والإيمان بما لا تدركه الحواس، والفردية والجماعية، والواقع والخيال، والسلبية والإيجابية، وكل منها قوة ضاغطة أو جاذبة، فإذا كان كل منها في مكانه الصحيح اعتدل الإنسان، وتوازن في نقطة الوسط المتوازن التي يكون الإنسان فيها

في أحسن تقويم، أما إذا اختلت أو اختل بعضها في النوع أو المقدار، فهنا يفقد الإنسان توازنه، ويحتاج إلى تقويم (قطب، 1998، ص166).

وهذا التوازن ضروري لحفظ كيان الإنسان وحياته، فيوازن بين رغبات النفس وشهواتها، فلا يطغى جانب على حساب غيره، ويوازن بين اعتقاده وسلوكه، وأي اختلال يُفقد الكيان البشري توازنه ينعكس أثره على النفس باضطرابها واختلال موازينها، وبالتالي فقدان الإحساس بالراحة والطمأنينة، وانعكاس ذلك على الواقع المعيشي للإنسان، والمتتبع لحاضر المجتمعات المعاصرة اليوم وما تعانيه من اضطرابات واختلال وفوضى في كل الاتجاهات، لن يجد جواباً شافياً لهذا الواقع المرير إلّا إرجاع الأمر إلى اختلال التوازن والخروج عن الحدود الفطرية التي فُطر عليها هذا الإنسان، إما بإهمال بعضها على حساب البعض الآخر، وإما بإهمالها كلية في عدم الاستجابة لندائها .

وينظر محمد قطب إلى خاصية "التوازن" بأنها سمة الكون كله الذي تتوازن فيه كل الأفلاك وكل الطاقات، لا تختل منها واحدة في الكون على اتساعه، وهو كذلك سمة الإنسان الصالح الذي يفي بشروط الخلافة عن الله في الأرض، ويسير حسب منهج الله خالق الكون والإنسان.

ويعتبر أن التوازن هو أيضاً هدف، يحتاج الوصول إليه إلى بذل جهد يستغرق كل لحظة في حياة الإنسان وكل طاقة الحياة، وهو هدف يستحق كل ما يبذل فيه من جهد، لأنه يحقق للإنسان في الأرض أقصى ما يستطيعه من السعادة المادية والمعنوية على السواء، وكل ما يصيب الإنسان في الحياة من شر أو شقاء هو نتيجة حتمية لفقدان التوازن في داخل النفس، وفقدانه من ثم في واقع الحياة، لذلك يحرص الإسلام على التوازن، ويجعله هدفاً أساسياً في منهاجه، ويبذل فيه كل جهد، يبدأ فيه مع الطفل من مولده، ويسير فيه مع الإنسان في جميع مراحل نموه ولا يتركه في لحظة واحدة دون معاونة أو توجيه(قطب،1981، ص28)، هكذا الإسلام يمتاز بالوسطية وبالتوازن بين المادة والروح، وبين الدنيا والآخرة، وبين الاهتمام بالفرد والمجتمع.

رابعاً: الإيجابية السوية:

والمقصود بالايجابية أن يتعدى الخير للآخرين، فلا يكفي كون الإنسان صالحاً في نفسه، بل يكون صالحاً ومصلحاً، يتفاعل مع المجتمع وينشر الخير، ويعلّم الجاهل، ويرشد الضّال .

وتأتي هذه الإيجابية من إيجابية الإسلام نفسه، فهو دين إيجابي مؤثّر ليس من طبيعته الانعزال والسلبية، حيث تنبثق الايجابية في المنهج الإسلامي من خلال شعور الإنسان بكرامته ومكانته في هذه الحياة، وفي هذا الكون، وأن الله ﷻ استخلفه في الأرض بالحق ليعمرها وينشر العدل والخير.

والإيجابية السوية تجعل من الإنسان قوة فاعلة موجهة دافعة للأمام، تعمل على إعمار الأرض، وتغيير واقع البشر، حسب المنهج الإسلامي الرباني.

ومن مميزات التربية الإسلامية أنها تسعى لإيجاد الإنسان الإيجابي الذي يكون عنصراً صالحاً فاعلاً أينما كان، وأن يحسن إلى الناس جميعاً وليس للمسلمين فحسب، لقول الرسولﷺ: "**اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَخَالِقْ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**" (الترمذي، د.ت، ج4، ص355).

وقد أشار(أبو دف،2007،ص29) إلى أن من إيجابية التربية الإسلامية تبصير الفرد المسلم بمسؤوليته تجاه الواقع الذي يعيشه، ودفعه نحو الحركة الإيجابية حتى يغير هذا الواقع بتغيير ما في نفسه أولاً، وبذلك ينصلح حال الفرد والمجتمع، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾ (الرعد، الآية: 11).

ومن أهداف ومهمات التربية الإسلامية: غرس القيم الايجابية في الإنسان المسلم، غرس قيم مراقبة الله ﷻ والاستفادة من الوقت وملئه بالمفيد، والترويح عن النفس بالمباح، وقيم البر والصلة، واحترام الكبير، وحسن الأدب، وحسن الكلام، والتفكر في مخلوقات الله ﷻ، وتعظيمه سبحانه، وذكره جل جلاله، وغرس قيم التعاون والألفة والجماعة والإيثار والمحبة، أضف على ذلك التأكيد على القيم الكبيرة في الدين كالمحافظة على الصلاة، وبر الوالدين .

إن من الخطوط المتقابلة في النفس البشرية – سبق ذكرها– : السلبية والإيجابية، كلاهما موجود وجوداً فطرياً في الإنسان، كلاهما أصيل، ليس أحدهما مفروضاً على الإنسان من خارج كيانه، وكلاهما يؤثر فيه، وهو قابل للتأثر من كلا طرفيه بصورة فطرية، لا من طرف واحد فحسب.

ففي كل نفس هذان الاستعدادان المتناقضان، استعداد لأن تكون سلبية، واستعداد لأن تكون ايجابية ويرى(قطب،1981، ص30) أن في الكائن الإنساني استعدادات مختلفة متباينة فيها الموجب وفيها السالب في كل اتجاه، وإذا تركت وشأنها نما كل منها من ناحيته، أو توقف نموه، فيختل التوازن وتضطرب السمة التي يتصف بها الإنسان، فيصبح الإنسان سلبيا أحياناً وإيجابياً أحياناً أخرى، فيسير على غير منهج سوي أو هدف مرسوم.

والإنسان هو القوة الإيجابية في الأرض، في ذات اللحظة التي يسلم كيانه كله لله، يبذل الإنسان طاقته الإيجابية كلها على الأرض،﴿**وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ**﴾ (الجاثية، الآية:13)، لقد اختار الله ﷻ أن يكون الإنسان هو أداته العاملة في الأرض، وعلى ذلك جرت سنته منذ خلق الأرض والإنسان، هكذا شاء، أن يكون الإنسان عنصراً إيجابياً في الحياة، وأن يكون التغيير – وهو إرادة الله ﷻ – مرتبطاً بإرادة الإنسان، مقضيّاً عن طريقه، نافذاً من خلاله، ممتزجاً بكيانه كله من عمل وفكر وشعور(قطب، 2003، ص55) .

الإنسان هو الذي يعمل، والإنسان هو الذي ينتج، والإنسان هو الذي يغير الواقع، والإنسان هو الذي ينشئ النظم ويقيم الأوضاع، هذا الإنسان أهم ما يميزه إيجابية سوية وشعور بالمسئولية الفردية نحو المجتمع، والإنسان كما يريده الله سبحانه وتعالى يجب أن يكون كما يلي:

أ- قوة ايجابية فاعلة موجَّهة مُريدة، ومن ثم قوة موجَبة في واقع الحياة، قوة دافعة إلى الأمام.

ب- قوة تسيطر على القوى المادية وتستغلها في عمارة الأرض **﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾**(الجاثية، الآية: 13) .

ج- قوة تنشئ واقعها حسب المنهج الذي تؤمن به، فتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتقيم بنفسها نظامها، لقوله تعالى: **﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ﴾** (آل عمران، الآية:110) .

د- قوة إيجابية بغير طغيان على نفسه أو على غيره **﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى﴾**(العلق، الآية:6).

فالمؤمن يُري الله من نفسه خيرًا ، ويتحرك ليكون فاعلاً ، وينفي عن نفسه السلبية فيتحرك للعمل، ويشعر أن الله ﷻ سيعينه عليه .

يشير(قطب، 2003، ص117) إلى أن النفس التي تتعود الشعور بالإيجابية، نفس حية متحركة فاعلة، بعكس النفس التي تتعود السلبية فهي نفس منكمشة منحسرة ضئيلة، والرسول ﷺ يريد للمسلم أن يكون قوة إيجابية فاعلة، ويكره له أن يكون قوة سلبية حسيرة، والرسول ﷺ يشجع الناس على الإحساس بإيجابيتهم، حتى في الأعمال التي قد تبدو صغيرة في ظاهرها، ليحسوا أن كيانهم يتحقق في عالم الواقع، في عالم السلوك، فيزيدهم ذلك إقبالاً على العمل في ميدان الخير، ويشجعهم على الصعود باستمرار.

وقد حرص النبي ﷺ على غرس القيم الايجابية في أبنائه، فهذا الحسين بن علي رضي الله عنهما يقول: "حفظت من رسول الله ﷺ: **"دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ"**(الترمذي، د.ت، ج4، ص668)، وذلك بلا شك منهج بارع في تربية النفوس، فوق أنه يقرر مفهوماً آخر من مفاهيم الإسلام الأصيلة هو: أن القيم التي تحكم الحياة ليست هي القيم المادية وحدها، أو الاقتصادية وحدها، وإنما القيم الشعورية والوجدانية كذلك، بل هذه الأخيرة هي الأصل الذي تقوم عليه علاقات البشرية .

لذلك فقد كان الرسول ﷺ أكبر طاقة إيجابية عرفتها الأرض في كافة مجالات الحياة، الجهاد في مجال الدعوة، في القتال في سبيل الله ﷻ، في تربية أصحابه ليكونوا مُثُلاً عليا في كل اتجاه، وطاقات إيجابية في كل اتجاه، في إنشاء الأمة الإسلامية، التي شهد لها خالقها سبحانه بقوله: **﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾**(آل عمران، الآية:110)، في إقامة العدل الرباني في الأرض،

في تنظيم شئون الدولة، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحربية والخلقية والروحية والفكرية، هذا إلى جانب قيام النبيﷺ بأمور حياته الخاصة، ورعاية زوجاته وبناته وتوجيههن وتعليمهن (قطب، 1997، ص132)، فالإنسان المسلم يجب أن يلتزم بما أمر الله ورسوله تجاه نفسه وتجاه الآخرين، وكيف يكون نافعاً إيجابياً في الحياة .

خامسا: الواقعية المثالية:

الواقعية هي مراعاة واقع الإنسان من حيث هو مخلوق مزدوج الطبيعة، فهو نفخة من روح الله ﷻ في غلاف من الطين، ففيه العنصر السماوي وفيه العنصر الأرضي، من حيث هو ذكر أو أنثى، لكل منهما تكوينه ووظيفته، ومن حيث هو عضو في المجتمع.

والواقعية هي مراعاة واقع الكون من حيث هو حقيقة واقعة، ووجود مُشاهَد، ولكنه يدل على حقيقية أكبر منه وهو وجود الله ﷻ الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً (القرضاوي، 1989، ص158).

ومن هنا لم ينس الإسلام – في توجيهاته وتعليماته وتشريعاته– واقع الإنسان، وواقع الحياة، وواقع الكون، لأن الذي يشرع للإنسان ويوجهه هو الذي خلق الحياة والكون، فهو أعلم بما يصلحه وما يفسده، يقول تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾(الملك، الآية:14) .

والإسلام تطابق تكاليفه فطرة الإنسان، بحيث تعمل جميع الطاقات الإنسانية عملها الذي خُلقت من أجله، فينطلق يعمر في الأرض، ويغير وينمى ويطور، لا يقف في وجهه حاجز من التصور الاعتقادي، ولا من المنهج العلمي فكلاهما(واقعي)مطابق لواقعية الطبيعة البشرية وللظروف المحيطة بها في الكون من حولها، ومن ثم يتسنى للإنسان أن ينشئ من الآثار الواقعية في هذه الأرض وأن يحقق من الإبداع المادي وفق ما ينشئه من الصلاح الأخلاقي وكفاءة ما يحققه من الرفعة والتطهر (قطب، 2002، ص187) .

ومبادئ الدين الحنيف راقية المعنى، سامية الهدف، عاشها جيل فريد، بالمثالية الواقعية، وسيرة الحبيب المصطفى ﷺ خير شاهد على هذا الأمر، وسيرة الصحابة والتابعين والصالحين، فلم يكن الرسول ﷺ مربياً نظرياً، يقدم مفاهيم مجردة وقيم مثالية لا تتحقق في الواقع، وإنما كانت حياته مصداقاً لمفاهيم الإسلام وقيمه، وبذلك ارتبط النظر بالعمل، والعلم بالتطبيق .

ولذلك يوجد في حياته ﷺ وفي تربيته للجيل الأول من المسلمين، ما يفيد في بناء الإنسان المسلم، وفي بناء المجتمع الإسلامي، فلقد وُجد في هذا الجيل نماذج خالدة على مدى الزمن، تشير إلى المكانة العليا التي صعدها هؤلاء المسلمون الأوائل، وهي تلك التي يتطلع إليها كل من فهم الإسلام فهماً حقيقياً .

أما طريقة الإسلام في تربية الإنسان تربية واقعية مثالية، فهي تتمثل بالخطوات التالية:

1- الإسلام يأخذ الكائن البشري بواقعه الذي هو عليه، يعرف حدود طاقاته ويعرف مطالبه وضروراته، ويقدر هذه وتلك، قال تعالى: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾(البقرة، الآية:286).

2- الإسلام يعرف ضعف الإنسان إزاء المغريات ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾(آل عمران، الآية:14) .

3- يعرف ضعف الإنسان إزاء التكاليف، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً﴾ (النساء، الآية: 28) .

4- الإسلام يساير فطرة الإنسان في واقعها، ولا يفرض عليه من التكاليف ما ينوء به كاهله، ويعجز عن أدائه، ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾(الحج، الآية:78)، ويجعل التكليف الملزم في حدود الطاقة الممكنة .

5- الإسلام لا يترك الإنسان لفطرته الضعيفة دون تقويم، ويأخذ الواقع الأكبر للإنسان، الواقع الذي يشمل لحظة الضعف ولحظة القوة ولحظة الهبوط ولحظة الارتفاع .

6- والإسلام لا يغفل عن الطاقة المكنونة التي تحقق المثالية، ومن ثم يسير في نهجه على واقعية تشمل المثال، ومثالية لا تغفل واقع الحياة (قطب،1981، ص32).

فالإسلام يربي المسلم على الحياة الواقعية المتوازنة، فلا يدعه يغرق في اللهو فلا يبقى له شيء لربه، كما لا يدعه يغلو في التعبد فلا يبقى له شيء لقلبه(القرضاوي، 1989، ص168).

أما واقعية التربية الإسلامية، وهي التطبيق العملي لواقعية الإسلام، فيمكن بيانها في النقاط التالية:

أ- التربية الإسلامية تسعى أن يتحول الإيمان والفكر والخلق الإسلامي، المثالي إلى واقع حي، يمارسه الناس، وينتفعون به في إصلاح أنفسهم ومجتمعهم.

ب- التربية الإسلامية تربية للحياة، وتربية للعمل والإنتاج والنماء، تربية واقعية تنظر إلى واقع الإنسان من جميع جوانبه وتراعيها معاً، لكي لا يطغى جانب على جانب، أو ناحية على أخرى، وقد وَضعتْ لكلّ جانب مقوّماته وحدوده الواقعية، فلا تقييد مطبق، ولا إطلاق للعنان دون تناهي.

ج- التربية الإسلامية تربية واقعية تتقبّلها العقول والنفوس بلا حرج ولا مشقّة، والإنسان حينما يلتزم بمؤدّاها يشعر بانسجامها معه، وهي تربية واقعية في تنميتها للفرد وواقعية في تنميتها للمجتمع، وواقعية في قيامها على العلم والمعرفة بعيداً عن الخرافة والسذاجة(القاضي، 2004، ص43).

د- التربية الإسلامية واقعية بحيث يمكن تطبيقها، لا تكليف فيها بما لا يطاق، ولا تغرق في المثالية التي تقعد بالناس عن الامتثال، فالعبادات واقعية، والأخلاق والقيم واقعية، والتربية كذلك

واقعية راعت الطاقة المحدودة للناس فاعترفت بالضعف البشري وبالدافع البشري، والحاجات المادية، وبالحاجات النفسية .

هـ- التربية الإسلامية تراعي نفسية البشر واحتياجاتهم وقدراتهم على الارتقاء، فلا تطالبهم بما فوق طاقاتهم، عملاً بقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾(التغابن، الآية:16).

و- التربية الإسلامية تؤكد على الواقعية والانجاز، فلا يكفي أن يردد المسلم كلام الله ﷻ، أو يعرف الأحكام ويعددها، بل لابد أن يحيا بها ويمارسها، وقد كان ذلك النهج في تربية الصحابة رضي الله عنهم، حيث إن الرسول ﷺ كان يقرئهم العشر آيات فلا يجاوزونها إلى عشرٍ أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل، فيعلمهم القرآن والعمل جميعاً، فليست العبرة بكمّ المعرفة، بل بما استطاع أن ينجز العمل بها لتغيير واقعه(عبد المعطي، 1998، ص62) .

هذا هو الإسلام، وهذه هي واقعيته في كل مجال من المجالات، لا يكلف الناس بما لا يطيقون، لا يجعل عليهم حرجاً، يحاول أن يرقى بهم ليصعدوا ويرتفعوا، ولكنه لا يهملهم إذا هبطوا، إنه يريدهم أصحاء أقوياء، ولكنهم إذا مرضوا عالجهم، وساعدهم حتى يشفوا وينهضوا، إنه منهج الفطرة، منهج الله، الذي يتعانق فيه الواقع والمثال.

في ضوء ما سبق يمكن إجمال الخصائص التي تميزت بها التربية الإسلامية ، والتي بينها محمد قطب في كتاباته، وأجملها في نقاط رئيسية وهي:

1- الربّانية: التربية الإسلامية تربية ربّانية، وتميزت بذلك عن غيرها، لأن مصدرها رباني، وغايتها وأهدافها ووجهتها ربّانية، حيث تهدف التربية الإسلامية لتحقيق غاية عظمى وهي مرضاة الله ﷻ، وتقوم على تربية الفرد والمجتمع المسلم، تربية شاملة، ليقوم بحق العبودية لله ﷻ .

2- الشمول: تعمل التربية الإسلامية على معالجة الكائن البشري كله معالجة شاملة، لا تترك فيه شيئاً، ولا تغفل عن أي شيء، جسمه وعقله وروحه وحياته المادية والمعنوية.

3- التوازن: والتوازن سمة من سمات الإنسان الصالح، توازن بين طاقة الجسم وطاقة العقل وطاقة الروح، واستغلال هذه الطاقات مجتمعة يحدث توازناً في داخل النفس وفي واقع الحياة، توازن بين ماديات الإنسان ومعنوياته، توازن بين الإيمان بالواقع المحسوس والإيمان بالغيب الذي لا تدركه الحواس، توازن بين النزعة الفردية والنزعة الجماعية، توازن بين الحب والكره، توازن بين الخوف والرجاء، توازن بين السلبية والإيجابية، وينسجم بهذا مع الكون المتوازن .

4- الإيجابية السوية: الإنسان لديه استعدادات مختلفة، فيها الموجب وفيها السالب، والإنسان كما يريده القرآن الكريم: قوة فعالة موجهة مريدة محسنة، قوة موجبة في واقع الحياة قوة دافعة إلى الأمام، قوة تسيطر على القوى المادية وتستغلها في عمارة الأرض، قوة يغير الله واقع البشرية عن طريقها، قوة تنشئ واقعها حسب المنهج الذي تؤمن به فتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

5- **الواقعية المثالية:** الإسلام يأخذ الإنسان بواقعه الذي هو عليه، يعرف حدوده وطاقاته، ويعرف مطالبه وضروراته وحاجاته، ويعرف ضعفه إزاء المغريات، وضعفه إزاء التكاليف، يعرف كل ذلك فيساير فطرته في واقعها، ولا يفرض عليها من التكاليف ما يعجز عن أدائه .

ومن خلال ما سبق يمكن استخلاص الملاحظات التالية:

أ- يبين(قطب،1981،ص18)" أن الإسلام دين الفطرة، مزيته العظمى أنه يساير الفطرة، ويطابقها مطابقة كاملة، ويتناول هذه الفطرة في دقة بالغة، فيعالج كل وتر منها، وكل نغمة تصدر عن هذا الوتر فيضبطها بضبطها الصحيح، وفي الوقت ذاته يعالج الأوتار مجتمعة، لا يعالج كلاً منها على حده "، بهذه العبارات اختصر محمد قطب طريقة الإسلام في تربية النفس البشرية، أنه يشملها كلها من جميع جوانبها في آن واحد، وقد كرر هذه العبارة في العديد من كتاباته .

ب- القرآن الكريم حاضر في كل خاصية من الخصائص، وذلك بكثرة الشواهد القرآنية ذات الدلالة الواضحة للمعنى المطلوب، وهذا بدوره يؤكد على ربّانية التربية الإسلامية .

جـ- يعتبر محمد قطب أن هذه الخصائص هي أبرز سمات الإنسان الصالح، الذي يسعى المنهج الإسلامي لتحقيقه في واقع الأرض.

د- جميع الخصائص السابقة لا تتم ولا تتحقق إلا بتحقيقها سمة الاستسلام والعبودية لله ﷻ، وحسن الصلة بالله ﷻ .

هـ- تحدثت كتب التربية الإسلامية كثيراً عن خصائص التربية الإسلامية، وهي نفسها التي ذكرها محمد قطب، ولكن محمد قطب تميز في رؤيته الواسعة لهذه الخصائص كجزء من التصور الإسلامي العام للكون والحياة، وكانت له أفكاره الخاصة، وجاء بشواهد كثيرة من القرآن الكريم، استدل بها الآخرون في كتاباتهم .

الفصل الرابع

تأصيل العلوم التربوية من وجهة نظر محمد قطب

تمهيد

لمحة عن التأصيل الإسلامي

التعريف بمصطلح التأصيل الإسلامي

أهمية التأصيل الإسلامي للعلوم التربوية

جهود محمد قطب في مجال التأصيل الإسلامي

التأصيل الإسلامي لعلم النفس

التأصيل الإسلامي لعلم الاجتماع

التأصيل الإسلامي للتربية

– تمهيد:

بيّن الباحث في الفصل السابق خصائص التربية الإسلامية التي بينها محمد قطب، وهي التي استمدت خصوصيتها وتميزها من الإسلام العظيم(القرآن والسنة)، وهما الأصول التي بنيت عليها هذه التربية الربانية، وما ذُكر هو نموذج التربية الذي يجب أن يسود المجتمعات الإسلامية بأفرادها ومؤسساتها وأنظمتها .

لكن الواقع المعاصر اليوم لتلك المجتمعات على غير ما هو مطلوب منها، لقد تسلل الفكر الغربي بفلسفاته الفكرية، ومذاهبه العقائدية، بما فيها من سلبي وايجابي، إلى المجتمعات الإسلامية، من خلال التعليم وجميع فروع المعرفة والثقافة، وذلك من خلال العلوم الطبيعية التي أُحلت فيها الطبيعة محل الإله الخالق، والعلوم الإنسانية التي جعلت من الإنسان موضوعاً لبحثها، وقد كانت أقوى شحنة من تأثير الفكر الغربي عن طريق هذه العلوم الإنسانية، ذلك لأن لها خلفيات عقائدية مختلفة عن العقيدة الإسلامية، تتلخص في أن الوجود كله منحصر في الإنسان والطبيعة، وهو جزء منها ونوع من أنواعها، والطبيعة وجدت هكذا بنفسها، وكذلك سننها أو قوانينها، فهي مقدرة بنفسها من غير مقدر لها، والعقل وحده طريق معرفة الحقائق وليس ثمة طريق آخر، وليس المُثُل الأخلاقية والقيم والمفاهيم والحقوق إلا وقائع وحوادث كالحوادث الطبيعية، نشأت وتطورت، فهي ليست ثابتة، والإنسان نفسه إنما هو حيوان اجتماعي مفكر فحسب، وليس النفس الإنسانية إلا مجموعة من الغرائز (المبارك، 1977، ص15) .

لقد كان من نتائج هذا الغزو الثقافي الفكري للأمة الإسلامية، وخاصة في ميدان العلوم الإنسانية، إلغاء التشريع الإسلامي واستبداله بالتشريع الغربي، ومن نتائجها بناء نظام الحكم السياسي على أسس غير إسلامية، يسمونها علمانية، ومن نتائجه استبدال الثقافة الغربية بالثقافة الإسلامية، بمعناها الواسع الشامل، وإعداد جيش من المثقفين ليكونوا المختصين لتنفيذ عملية التغريب للتشريع والحكم والدولة والسياسة .

لقد تأخرت الأمة الإسلامية اليوم عن اللحاق بركب الحضارة، بل وعن قيادة مسيرة البشرية، مما يستدعي أن يسعى كل مسلم غيور على هذه الأمة، أن ينهض للارتقاء بمستوى هذه الأمة وإعادتها إلى موقعها الريادي بين الأمم والحضارات .

من هنا شهد العالم الإسلامي منذ عدة عقود صحوة إسلامية جاءت كرد فعل طبيعي للتغريب الذي تعيشه الأمة الإسلامية، حيث نادت الحركات والمؤسسات الإسلامية المتعددة بضرورة الوقوف أمام "التغريب" والرجوع إلى المحضن الأصلي للأمة، وهو الإسلام، بتشريعاته وأحكامه، وعلى أساس العقيدة الإسلامية، أدى ذلك إلى زيادة الشعور بالانتماء إلى الإسلام، وضرورة العودة إلى المنابع الإسلامية، في كافة قضايا المجتمع، الثقافية والفكرية والتربوية والاقتصادية والاجتماعية، وغيرها.

لقد كان هذا الاهتمام بأمر الأمة الإسلامية وقضاياها، ومحاولة تشخيص وعلاج أزماتها، وراء قيام عدد من أبنائها المخلصين، الذين وضعوا هذه القضية على قائمة أولوياتهم، وقد توصل هؤلاء العاملون إلى قناعة بأن الأزمة الكبرى لتأخر المسلمين تكمن في حالة الأمة الإسلامية الفكرية، تلك الحالة التي أصابها الجمود والتوقف، بحيث جعلت الأمة عاجزة عن الخروج من أزمتها واللحاق بركب الحضارة، وقد أدرك هؤلاء المهتمون بقضايا الأمة، أن سائر الأزمات التي تعاني منها، إنما هي في منهج الفكر، والجوانب الأخرى هي انعكاسات وآثار مختلفة لتلك الأزمة (المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1986، ص12).

ومن هؤلاء المفكرين برز محمد قطب، من خلال كتاباته ومحاضراته حول موضوع علم النفس وعلم الاجتماع، ودعا إلى تكوين كل منهما على أسس الإسلام، بحيث يكون هناك علم نفس إسلامي، وعلم اجتماع إسلامي، ولمحمد قطب مؤلفات هامة تؤسس للفكر الإسلامي المعاصر، من منطلق معرفي إسلامي، مخالف لنظرية المعرفة الغربية، وهو يربط بين الفكر والواقع عبر العديد من مؤلفاته، التي حاولت تفسير الواقع أيضا من منظور إسلامي، يقول محمد قطب: "العلوم الإنسانية جميعاً، وهي تشتمل على علوم التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع، إنما سميت في أوروبا كذلك لا بمعنى أنها تعالج أموراً إنسانية، بل بمعنى أن المرجع فيها هو الإنسان، وليس الله ﷻ، وهذه العلوم نبتت في أوروبا، ضمن جو معادٍ للدين، بسبب الظروف المحلية القائمة هناك منذ عصر النهضة، ونحن نقلناها كما هي ودرسناها في مدارسنا وجامعاتنا بنفس الروح المجافي للدين والمعادي له، سواءً شعرنا بذلك أم لم نشعر، وقد آن لنا أن نتخلص من وطأة الغزو الفكري على عقولنا وأرواحنا، فنتناول هذه العلوم من منطلقنا الإسلامي، الذي لم يعرف العداوة بين الدين والعلم، ولا بين الدين والحياة، حين نتحرك من هذا المنطلق فلا شك أن علومنا النفسية والاجتماعية وما إليها، ستختلف اختلافاً جوهرياً، وهذا ما أقصد إليه بكلمة علم النفس وعلم اجتماع إسلامي، ولقد بذلتُ بعض الجهد في هذه السبيل، غير أن المجال لا يزال واسعاً جداً، ولا يزال في حاجة إلى جهود مكثفة حتى نصل إلى علوم متكاملة في هذا الميدان"(المجذوب، 1992، ص286) .

لقد شخّص محمد قطب الداء الذي أصاب الأمة، وبيّن أسبابه، وهو يرى أن حل هذه المشكلة ليس بطرد هذه العلوم الغربية وغلق الأبواب أمامها، وهي في الأصل للشعوب الإسلامية إسهام في تقدمها، والحل هو صياغة العلوم الاجتماعية صياغة إسلامية، أو بعبارة أدق، إقامتها على أسس إسلامية، وفق التصور العام للوجود، الذي يقدمه الإسلام، وفي هذا الفصل من البحث، يحاول الباحث تناول ما طرحه محمد قطب في علاجه لهذه القضية.

– لمحة عن التأصيل الإسلامي:

لقد قام الباحثون المسلمون بكثير من الدراسات لعلم الاجتماع، من أجل السعي للنظر في منطلقاته ومناهجه، من وجهة النظر الإسلامية، ومن هذا المنطلق برز الاتجاه نحو"أسلمة العلوم الإنسانية"، وسعى كثير من الباحثين المسلمين في العلوم الإنسانية المعاصرة إلى محاولة تأصيلها، من الوجهة الإسلامية، ضمن اجتهادات متعددة، ومن هذه الجهود ما قام به المعهد العالمي للفكر الإسلامي، من خلال مؤتمرات علمية متتالية، وكذلك ما قامت به جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، من جهود علمية بهذا الخصوص، كما أنشأت الندوة العالمية للشباب الإسلامي لجنة للتأصيل الإسلامي للعلوم عام 2003م، إضافة إلى الجهود الفردية الكثيرة التي تناولت قضايا وموضوعات في مجال التأصيل والأسلمة للعلوم الإنسانية.

وباختلاف الرؤى في عملية التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، اتخذت العملية أسماء مختلفة، فمنهم من يطلق عليها "أسلمة المعرفة"، و"أسلمة العلوم"، و"التوجيه الإسلامي للمعرفة" و"التأصيل" وذهب بعض المفكرين ذوي الاهتمام إلى أنها مصطلحات تحمل نفس المعنى، وقد فرّق بعضهم بين التأصيل الإسلامي وبين أسلمة العلوم، وهذا ما ذهب إليه محمد قطب، حيث يرى ضرورة اختيار كلمة "التأصيل الإسلامي" بدلا من كلمة "الأسلمة" التي شاع استخدامها، لأن كثيراً مما كُتب في مجال "أسلمة العلوم" لم يكن تأصيلاً إسلامياً حقيقياً بالمعنى المطلوب، بقدر ما كان اعتماداً للمفاهيم الغربية، مع وضع "طلاء" إسلامي عليها، يتمثل في بعض الآيات والأحاديث، التي يرى مستخدموها أنها تناسب الموضوع، والتأصيل الإسلامي عمل مختلف، إنه الانطلاق ابتداءً من منطلق إسلامي، والتعرف على التصور الإسلامي وزاوية الرصد الإسلامية، ثم الانطلاق منها إلى حيث تؤدي بنا باستخدام الوسائل العلمية المشهود لها، والتي تناسب البحث المطلوب (قطب، 1998، ص49) .

كما يوضح محمد قطب رؤيته لقضية تأصيل العلوم الإجتماعية بقوله: "أننا حين يكون حديثنا عن العلوم الاجتماعية، فالمنطلق الذي ننطلق منه هو تصورنا "للإنسان"، فمن هذا التصور تتفرع كل العلوم التي تتعامل مع الإنسان في شتى نشاطاته ومجالات حياته، سواء التاريخ أوالاجتماع أوالاقتصاد أوالتربية أوعلم النفس أوالآداب، فكل علم يتناول جانباً من حياة الإنسان، يحاول تفسيره وتقنينه وتحليله وإلقاء الضوء عليه، ويختلف كل علم عن الآخر فيما يركز اهتمامه عليه، وفي طريقة تناوله للجانب الذي يركز عليه، ولكنها تشتبك جميعا عند الأصل المشترك وهو "الإنسان"، وحين يكون هدفنا هو التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، فنقطة البدء التي ننطلق منها هي محاولة التعرف على صورة الإنسان، كما تعرضها المصادر الإسلامية، فنسأل أنفسنا أولا، ثم نحاول الإجابة: ما الإنسان؟ ما تكوينه؟ ما حدود طاقاته؟ ما غاية وجوده؟ ما معيار إنجازاته؟ ما موقفه من الضغوط الواقعة عليه؟، وحين نجد الإجابة الصحيحة، نكون قد خطونا الخطوة الأولى،

التي نأخذ بعدها في التطبيق على كل علم بمفرده، مستندين إلى ذلك التصور العام، الذي تلتقي عنده وتتفرع عنه كل العلوم" (قطب، 1998، ص50).

- التعريف بمصطلح التأصيل الإسلامي:

لقد تعددت محاولات التعريف بالتأصيل الإسلامي للعلوم، وأسلمة المعرفة، وهنا يستعرض الباحث في هذه الدراسة بعض التعريفات المختلفة، والتي تعكس التوجهات التي أشار إليها الباحث في بداية هذا الفصل، ثم يحاول استخلاص تعريف لما هو متفق عليه بين مضامين تلك التعريفات، ويعكس التقارب بين التصورات المتعددة .

- عرّف إسماعيل الفاروقي، أسلمة المعرفة، أو إسلامية المعرفة بأنها: "إعادة صياغة المعرفة على أساس من علاقة الإسلام بها، أي إعادة تحديد وترتيب المعلومات، وإعادة النظر في استنتاجات هذه المعلومات وترابطها، وإعادة تقويم النتائج، وإعادة تصور الأهداف، وأن يتم ذلك بطريقة تمكّن من إغناء وخدمة قضية الإسلام " (الفاروقي، 1986، ص23).

- أما عماد الدين خليل، فقد عرّف أسلمة المعرفة، أو إسلامية المعرفة بأنها تعنى: "ممارسة النشاط المعرفي كشفاً وتجميعاً وتركيباً وتوصيلاً ونشراً، من زاوية التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان"(خليل،15:1991)، ثم أوضح أن المعرفة إنما هي مجرد وجه آخر من وجوه حياة الإنسان، التي ينبغي أن توجه إسلامياً .

- وعرّف إبراهيم رجب التأصيل بأنه: "عملية إعادة بناء العلوم في ضوء التصور الإسلامي للإنسان والمجتمع والوجود، باستخدام منهج يتكامل فيه الوحي الصحيح مع الواقع المشاهد، بوصفهما مصدرين للمعرفة" (رجب، 1421، ص41).

- ومقداد يالجن، عرّف التأصيل تعريفاً جامعاً مختصراً : " التأصيل الإسلامي هو بناء العلوم على نهج الإسلام " (يالجن،1996، ص 36).

في ضوء التعريفات السابقة، يمكن تعريف التأصيل إجرائيا بأنه: "إقامة هذه العلوم على أساس من التصور الإسلامي الشامل، وفق المنهج الإسلامي الصحيح".

- أهمية التأصيل الإسلامي للعلوم التربوية:

يعرف التأصيل الإسلامي للعلوم التربوية بأنه: "جعل العلوم التربوية منطلِقة من أصول الإسلام ومفاهيمه العقدية المبثوثة في القرآن والسنة، والمحدِدة لمفاهيم الألوهية والإنسان والكون والحياة والمعرفة والقيم، والعلاقة بين كل منها "(آل عمرو،1420،ص17) .

ويمكن تعريف التأصيل الإسلامي للعلوم التربوية بأنه: "صياغة مجالات التربية والتعليم صياغة إسلامية، تقوم على تخليص تلك المجالات من المفاهيم والسلوكيات الخاطئة، والعودة إلى التراث الإسلامي الصحيح، والأخذ منه بما يُغني عن غيره في هذه المجالات.

ينبغي لأي عملية إصلاح في مجال التربية، أن تصحح مفاهيم الأمة وفكرها وسلوكها، وينبغي لعلماء الأمة أن يوجهوا الدراسة لإعادة النظر في مفاهيم الأمة عن نفسها، ودينها ورسالتها، ومثل هذا الإصلاح يتطلب إعادة صياغة التربية من جديد، ثم ربطها بثقافة وأسلوب الحياة المتكامل، الذي يستمد أهدافه ومبادئه، من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

كما أن صلاح الأمة الإسلامية لا يكون إلا بما صلح به أولها، فإذا أرادت الحفاظ على هويتها الإسلامية فلا بد من تأصيل المفاهيم والقيم التربوية، ذلك لأن التربية مسئولة عن الحفاظ على القيم والتراث، وتوصيلهما من جيل إلى جيل، وبالتالي لابد أن تكون المفاهيم والقيم التربوية واضحة ومحددة، لتؤدي مهمتها(الميمان،2002، ص88).

نماذج من التأصيل التربوي لدى محمد قطب:

لقد برز الأستاذ محمد قطب من خلال كتاباته ومحاضراته حول موضوع التأصيل الإسلامي لعلوم النفس والعلوم الاجتماعية، ودعا إلى تكوين كل منهما على أسس الإسلام، بحيث يكون هناك علم نفس إسلامي، وعلم اجتماع إسلامي، وله مؤلفات هامة تؤسس للفكر الإسلامي المعاصر، من منطلق معرفي إسلامي مخالف لنظرية المعرفة الغربية، وهو يربط بين الفكر والواقع عبر العديد من مؤلفاته التي حاولت تفسير الواقع أيضاً من منظور إسلامي .

ويرى قطب أن أهمية الموضوع تأتي لأن الهجمة على الإسلام شديدة، وواجب الصحوة الإسلامية أن تجاهد في ميادين كثيرة، فلا تشغلها الجوانب السياسية عن الجوانب الثقافية والفكرية، التي تعد ميداناً أصيلاً من ميادين المعركة مع العدو، من هنا وجب على الصحوة الإسلامية أن تخصص جزءاً من جهدها في مجال التأصيل في كل جوانب المعرفة، وأن تقدم فكراً إسلامياً أصيلاً .

ولمحمد قطب مشاركات وكتابات عديدة في التأصيل الإسلامي للعلوم الإنسانية عامة، ففي مجال علم النفس، قدم كتابين "الإنسان بين المادية والإسلام" و"دراسات في النفس الإنسانية"، وفي مجال التربية قدم كتاب"منهج التربية الإسلامية" في جزأين، وفي التاريخ قدم كتابين "كيف نكتب التاريخ الإسلامي" و"حول التفسير الإسلامي للتاريخ"، وفي مجال الأدب قدم كتاب "منهج الفن الإسلامي"، يقول(قطب، 1998، ص171): "أن هذه الكتابات لا تزيد عن كونها إشارات، وَضعتُ فيها بعض النقاط على بعض الحروف، لأن التأصيل لهذه العلوم جهد ضخم، لا يقوم به فرد أو مجموعة أفراد وإنما يحتاج إلى مؤسسات تتبنى هذا العمل، وتبحث وتؤلف فيه" .

في هذا الفصل يقدم الباحث نماذج للتأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، أو العلوم الإنسانية، من خلال عرض موجز لرؤية محمد قطب لقضية تأصيل العلوم التربوية، والمتمثلة في علم النفس وعلم الاجتماع وعلم التربية، وهي لا تعدو كونها إشارات لتبين جهود هذا الرجل في هذا المجال الهام من مجالات الفكر الإسلامي المعاصر.

أولاً: التأصيل الإسلامي لعلم النفس

من أول من قدم نقداً موضوعياً لعلم النفس الغربي هو محمد قطب في كتابه الإنسان بين المادية والإسلام، الذي صدرت طبعته الأولى عام 1952م، وانتقد في كتابه هذا فرويد والمنهج التجريبي السلوكي(الصبيح، 1419، ص472).

وتقوم دراسة محمد قطب للتأصيل في الدراسات النفسية على أساس أن معظم أبحاث علم النفس اليوم قد أصبحت تجريبية، تجري في المعمل، ويقوم الباحثون بتحليل النتائج تحليلاً علمياً فلا يكون لهم فيها موقف ذاتي، إنما تفرض التجارب نتائجها بنفسها، ودور الباحث محصور في بيان النتائج المستخلصة بعد إجراء التحليلات العلمية على التجربة، وعمل الإحصائيات اللازمة التي تبين مدى مصداقيتها، وهذا المنهج في الدراسات النفسية – على كل ما يقدم من معونة للدارسين – مملوء بالثغرات التي يجب أن يتجنبها التأصيل الإسلامي.

يقول محمد قطب: "نواجه في عملية التأصيل الإسلامي في الدراسات النفسية عدة قضايا وافدة من الغرب، لا بد من بحثها، وبيان موقفنا منها، لأنها تغزو أفكارنا، وتؤثر تأثيراً كبيراً في طلابنا الذين يدرسون العلوم النفسية على طريقة الغرب، وإن كان الذين يُدرسون لهم ينطقون بالعربية، ويحملون أسماء إسلامية (قطب، 1998، ص158).والمطلوب من علماء النفس المسلمين هو تأسيس علم نفس عالمي حقيقي، نابع من نظرية معرفية وجودية إسلامية، تعترف بالروح وتقر بمركزيتها، وأنها أعمق الحقائق الإنسانية، وأن ما سواها يؤسس عليها من وعي ورغبات .

لذلك فإن الاقتصار على عرض النظريات النفسية الغربية التي تتصدر علم النفس لا يكفي، بل لابد من بيان خصوصيات البيئة الإسلامية والحضارة الإسلامية عند تطبيق هذه النظريات، سواء في المجال المعرفي أو التربوي أو العلاجي.

وللتأكيد على ضرورة تأصيل علم النفس، يؤكد محمد قطب على أهمية العقيدة في الدراسات النفسية، حيث يقول: "إن تأثير العقيدة الإسلامية الصحيحة في الإنسان هو من أهم موضوعات علم النفس الإسلامي، ومن أوسع مجالات الدراسة فيه، وهو علم تجريبي، ولكن مجال التجربة فيه ليس هو المختبر النفسي الضيق الذي يجرون فيه تجاربهم، إنما هو التاريخ باتساعه منذ كان في الأرض مؤمنون، أي منذ آدم عليه السلام ونوح من بعده، ولكن أبرز نماذجه وأروعها وجد في أمة محمد ﷺ، ووعاها التاريخ.(قطب، 1998، ص160 تأصيل).

إن مما يشجع الباحثين في مجال الدراسات النفسية بالمجتمعات الإسلامية على المضي في التأصيل الإسلامي للبحث النفسي هو الأزمة العامة التي يعاني منها علم النفس الغربي في المرحلة الراهنة والتحول العام الذي تعرفه النظرة العامة للعلم.

إن علم النفس الغربي، وعلوم التربية الغربية لا تغفل هذا البحث إغفالاً كاملاً، ولكنهم يعطونه حيزاً هامشياً، على قدر ما يرون أهميته في حياتهم، أو على قدر ما يرغبون أن يكون له من الأهمية في حياتهم، أما الباحث المسلم فأمره مختلف، فحياته قائمة على العقيدة، وتاريخه هو تاريخ عقيدته ورفعته وهبوطه متعلق بعقيدته، ومصيره في الدنيا والآخرة مرتبط بالعقيدة، فالحيز الذي ينبغي أن تشغله من فكره ودراسته وتجاربه وعلومه ينبغي أن يكون بمقدار ما لها من الأهمية في ذلك كله.

ثانياً: التأصيل الإسلامي لعلم الاجتماع:

تنبع أهمية التأصيل الإسلامي لعلم الاجتماع، لأن علم الاجتماع يحمل الكثير من العقائد والأفكار والمبادئ التي تتعارض مع روح الإسلام، وهذا العلم منذ دخوله إلى العالم الإسلامي، أدى إلى فقدان الهوية الإسلامية لدى كثير من المسلمين، الذين تخلوا عن الإسلام، كتشريع يحكم المجتمعات الإسلامية، كما أن نظريات هذا العلم، وضعت في الغرب لفهم مشاكل وقضايا خاصة بالغرب، لا يمكن تعميمها على المشاكل المماثلة في العالم الإسلامي، ولا تؤدي إلى فهم واقع المجتمعات الإسلامية(المطيري، 1993، ص21) .

ويتفق محمد قطب مع هذا الرأي، حيث يرفض آراء علماء الاجتماع المتعارضة مع الإسلام، مثل دوركايم، حيث يعتبر محمد قطب أن آرائه مبنية على فكرة (حيوانية الإنسان وماديته)،التي جاءت من نظرية التطور لدارون، حيث يقول محمد قطب: "إن دوركايم رأى أن الإنسان محكوم بنزعة القطيع التي تحكم عالم الحيوان، وتسيره دون وعى منه ولا إرادة، ومن ثم رأى محمد قطب أن دوركايم سمى نزعة القطيع بالعقل الجمعي حيث يصدر هذا العقل أوامره على شكل ظاهرة اجتماعية (قطب، 1983، ص116).

أما موضوع العلاقة بين الفرد والمجتمع، فيرى محمد قطب أن الرأسمالية الغربية جاءت لتؤكد على فردية الإنسان، فيجري وراء الشهوات والأهواء، ويحطم الأخلاق والتقاليد، ويحول أمواله إلى أداة لاستغلال الآخرين، بينما الشيوعية أكدت على جماعية الإنسان، ووسعت في دائرة الجماعة، بينما تضيق في دائرة نشاط الأفراد، فتمنع اشتراك الناس الفعلي في سياسة الحكم والمجتمع، وتعين لهم أعمالهم، وإقامتهم، بل وحتى أفكارهم ومشاعرهم، وتحكمهم بالحديد والنار والتجسس (قطب، 1981، ص122)، أما الإسلام وهو دين الفطرة، فهو يعالج كلتا النزعتين معاً، حتى يعد الإنسان المتوازن في فرديته، والمتوازن في ميله إلى الجماعة وتعاونه معها.

ويؤكد محمد قطب ذلك فيقول: "والإسلام يعالج كلتا النزعتين، فيغذيهما معاً، ويجعلهما متساندتين بدلاً من أن تكونا متنازعتين، إنه يحتاج إليهما معاً، لأن الفطرة لا تستقيم بإحداها دون الأخرى، ولذلك لا يكبت أياً منهما ولا يزيلها من الوجود إن كان في استطاعة أحد أن يزيلها من الوجود، لابد

من إنسان متوازن في فرديته، ومتوازن في ميله إلى الجماعة، وحينئذ يصبح المجتمع أشخاصاً حقيقيين لا أصفاراً ولا نكرات، أشخاصاً لهم وجود واقعي، متساندين في الوقت ذاته **﴿صَفّاً كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾**(الصف، الآية: 4)، وذلك هو ما يسعى إليه الإسلام" (قطب، 1981، ص164) .

إن الأسلوب الذي اتبعه الإسلام في تنمية الفردية، يؤدي أيضاً إلى بث روح الجماعية، فعن طريق وصل القلب البشري بالله يلين قلب الإنسان لأخيه ويحبه، وبهذا الحب يقوى رباط الجماعة ويصبح كالبنيان المرصوص،(**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**)(مسلم، 1985، ص1999)، وبذلك يتكون المجتمع المتحاب في الله .

والتأصيل الإسلامي لعلم الاجتماع ينعكس على التربية، حيث تصبغ بالصبغة الإسلامية، وترفض الأفكار والآراء التي تتعارض مع مبادئ الإسلام الحنيف، كذلك تعمل التربية على غرس القيم والأخلاق والمبادئ الإسلامية، وتعمل على تشكيل وإعداد أفراد إنسانيين في المجتمع الإسلامي حتى يستطيعوا اكتساب المهارات والاتجاهات وأنماط السلوك والقيم الأخلاقية، التي تيسر لهم عملية التعامل مع البيئة الاجتماعية الإسلامية التي ينشئون عليها(يالجن، 1990، ص446)، ويمكن تحديد دور التربية الاجتماعية في المجتمع الإسلامي من خلال ما يلي:

1- غرس القيم الإيجابية، مثل تحمل المسئولية لدى الفرد، فكل فرد في المجتمع الإسلامي مسئول عن نفسه وعن تصرفاته وسلوكياته، مصداقاً لقوله تعالى: **﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾(الزلزلة، الآيات:7,8)** وقوله ﷻ: **﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾(مريم، الآية: 95)**، وهو سيتحمل تلك المسئولية أمام الله ﷻ يوم القيامة، وبذلك يتم ربط القلب البشرى بالله فيصبح مراقباً لنفسه ولأفعاله.

2- تفعيل الدور التربوي للأسرة، فالأسرة هي أحد أهم المؤسسات التربوية في المجتمع الإسلامي، فالإنسان يولد على الفطرة، والأسرة بتربيتها وتوجيهها للطفل تستطيع أن تربي فيه الفطرة الصالحة، وتتصل به إلى الطريق الصحيح، أو تنحرف به إلى طريق الضلال، قال تعالى: **﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾**(التحريم، الآية: 6).

3- يجب أن يتحمل المجتمع مسئولياته التربوية، فواجب المجتمع هو تهيئة الظروف والأسباب التي تمكنه من تعليم أبنائه، وتضمن تحقيق تكافؤ الفرص بينهم، كما تعمل على بناء الاتجاهات الاجتماعية الإيجابية، مثل تنمية الوحدة الاجتماعية، والأخوة الإيمانية، وحب الإنسانية والمساواة والتعاون والتكافل والشورى والعدالة الاجتماعية، وغيرها من المبادئ التي يقوم عليها المجتمع الفاضل(الدبو، 1987، ص151).

4- كذلك على المجتمع أن يرفض السلوكيات السلبية، ويأخذ على أيدي أصحابها، وذلك من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وذلك تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّه﴾(آل عمران، الآية: 110) .

5- حث المعلم المسلم على القيام بدوره التربوي الكامل حيث يفترض بالمعلم أن يكون ملماً ببعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ليستشهد بها، لتكون وسيلة يستخدمها في تنمية السلوك الاجتماعي، كما يجب أن تسير التعاليم الخلقية إلى جنب العملية التعليمية، من ذلك تتضح المسئولية العظيمة للمدرسة في سبيل تحقيق التربية الاجتماعية في المجتمع الإسلامي.

وهكذا يتضح أن ضوابط السلوك الاجتماعي تتحقق وتمارس من قبل الأسرة والمدرسة والمجتمع، وكل طرف من هذه الأطراف يسهم في هذه العملية التي تهدف برمتها إلى إيجاد مواطن صالح، يشعر أن له دوراً مؤثراً في مجتمعه.

ثالثاً: التأصيل الإسلامي للتربية:

لقد تميز المسلمون على مرّ التاريخ بتربيتهم الإسلامية المتميزة، والتربية الإسلامية عند المسلمين تعني إعداد وتربية الإنسان المسلم الصالح، وتعليمه أمور دينه، لكي يؤدي رسالته في الحياة بأمانة، ويعمل للآخرة متبعاً الكتاب والسنة.

ويختلف محمد قطب مع التربويين المعاصرين الذين فرقوا بين التربية وبين التعليم، حيث رأوا أن التربية تطبيق سلوك قبل أن تكون تعليماً، فلا فائدة للعلم إذا لم تعمل به، ولا فائدة من العلم داخل الأذهان إذا لم يظهر كأعمال ينجزها الفرد في واقع الحياة .

أما محمد قطب فهو يرى أن التعليم في الإسلام يعنى التربية، وليس مقصوراً على إعطاء المعلومات والخبرات كما هو الشائع في كلام بعض التربويين اليوم، ويستدل محمد قطب على ذلك من قوله تعالى: ﴿وَقُل رّبّ زِدْنِي عِلْماً﴾ (طه، الآية:114)، أما مهمة التعليم الأساسية فهي تربية الناس على تلك القيم والمبادئ، التي جاء الرسل ليحققوها في واقع الأرض، قبل أن تكون إعطاء المعلومات وتكثيفها في أذهان الناس، من ذلك يتضح أن محمد قطب اعتبر أن التربية والتعليم وجهان لعملة واحدة (قطب، 2005، ص265) .

كما يؤكد محمد قطب على أن كل مناهج التربية البشرية ناقصة ومنحرفة، مقارنة بمنهج التربية الإسلامية، وكل الشخصيات أقزام مقابل شخصية الرسول ﷺ، فما الذي يدعونا إلى مد أيدينا بالطلب ونحن نملك الكنوز؟ وما الذي يدفعنا إلى الاقتداء ونحن نملك المثل الرفيع؟، فلنعد إلى هذه

السيرة النبوية العظيمة، ولنحاول أن نقبس قبسات من الرسول ﷺ، تنير قلوبنا وتحفزنا إلى معالي الأمور"(قطب، 2005، 329).

كما يرى محمد قطب أن التربية النبوية للصحابة ﷺ لم تقتصر على الجانب الروحي فقط، بل شملت جميع جوانب الإنسان، ومن ثم تخرّج من المدرسة النبوية عمالقة في كل اتجاه، عمالقة في سياسة الحكم، عمالقة في الحرب، عمالقة في العلم، عمالقة في كل شئ من شئون الحياة، وهذا المعنى الواضح للتربية الإسلامية يعانى من بعض الغموض، نتيجة لعدة أسباب، أولها المفهوم الغربي للدين، فالدين في الغرب عبارة عن علاقة بين العبد والرب، محلها القلب، ولا علاقة لها بواقع الحياة، أما الدين لدينا نحن المسلمون فهو منهج حياة، ومن ثم فإنه محور حياة الإنسان المسلم ، يلتزم به ولا يسلك سلوكا مخالفاً له، ثانيهما الواقع السيئ الذي يعيشه المسلمون اليوم، وما هم فيه من ضعف وتخلف في شتى مجالات الحياة، ومن ثم يصبح التطبيق الواقعي للتربية الإسلامية الصحيحة لدى البعض موضع شك وتساؤل(قطب، 1998، ص151).

ويؤكد محمد قطب أن القرآن الكريم هو كتاب التربية الذي استخدمه المسلمون في تربية الأمة ويؤكد ذلك بقوله: " القرآن الكريم هو كتاب التربية الذي ربى هذه الأمة التي وصفها خالقها بقوله سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾(آل عمران، الآية: 110)، ومن ثم فإنه يحوى جميع عناصر التربية الصالحة بين دفتيه، ومن ناحية أخرى فإن كل كلمة فيه هي توجيه تربوي لإنشاء الإنسان الصالح في هذه الأرض، سواء كان أمراً بعبادة، أو توجيهاً أخلاقياً، أو نهياً عن أمر لا يحبه الله ولا يرضاه لعباده، أو تشريعاً منظماً لحياة البشر، أو قصة من قصص المؤمنين أو قصص المكذبين، أو حديثاً عن اليوم الآخر، ووصفاً لمشاهد الحساب والثواب والعقاب، أو توجيهاً عقلياً لتدبر آيات الله في الكون أو سننه في الحياة" (قطب، 2005، ص205).

كذلك يؤكد محمد قطب على تميز التربية الإسلامية ببنائها الراسخ الذي يخالف مناهج التربية الأخرى، حيث إن هدف التربية في تلك المناهج هو إعداد المواطن الصالح، من وجهة نظر الوطن الذي ينتمي إليه، أما هدف التربية في الإسلام فهو إعداد الإنسان الصالح، الإنسان بمعناه الشامل لا من حيث هو مواطن في هذه البقعة من الأرض أو في ذلك المكان، فالإسلام لم يكن خاصاً بالعرب فقط أو بسكان الجزيرة العربية، وإنما هو دعوة لكل البشرية في جميع أرجاء الأرض، ولجميع الأزمنة والعصور، قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة: (ص، الآية: 87) ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (الأنبياء، الآية: 107)، أي أن هذه الدعوة لا تعرف حدود الوطن ولا الجنس ولا القبيلة ولا الأسرة (قطب، 1981، ص13).

ومن وجهة نظر محمد قطب لا بد أن يكون الإنسان الصالح عابد لله، والعبادة تشمل كل نشاط في الحياة وحتى لحظة الموت، ومن ثم فعلى الإنسان الصالح أن يبتغى وجه الله في كل عمل، وفى كل نشاط يقوم به في حياته .

يتضح من خلال هذا الفصل من الدراسة مدى اهتمام محمد قطب بقضية التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، حيث تبين أن لمحمد قطب جهوداً متعددة لتأصيل بعض العلوم الاجتماعية المختلفة مثل التاريخ والاجتماع والاقتصاد والتربية، وتبين أن اهتمام محمد قطب بتلك القضية يرجع إلى رفضه للغزو الفكري الغربي للأمة الإسلامية، ومن ثم كانت محاولاته لتأصيل تلك العلوم رغبة منه في تحرير الإنسان المسلم، والفكر الإسلامي من الخضوع والاستسلام للهيمنة الغربية.

كما يتبين أن التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية وخاصة التربية، هي حاجة مُلحة للأمة الإسلامية، وينبغي أن تضع هذا الأمر في حسابها، وتوجّه له من الاهتمام ما هو جدير به، وإلا فسيظل الغزو الفكري للأمة الإسلامية في الوقت الحاضر، يُفسد عقول الدارسين، ويبث فيها تبعية مريضة تجاه الغرب.

الفصل الخامس

مجالات بناء الشخصية المسلمة عند محمد قطب

تمهيد

أولاً: المجال العقائدي

ثانياً: المجال العقلي

ثالثاً: المجال الجسمي

تمهيد

تهتم التربية الإسلامية بالكيان الإنساني كله(الروح والعقل والجسد)، وتجعل من التربية الإيمانية الأساس الأول، والمنطلق الرئيس في بناء شخصية الإنسان المسلم.

والناظر في تاريخ الأمم المختلفة، يجد أن أهم ما تتميز به الأمة الإسلامية عن الأمم الأخرى هو شخصيتها وشخصية أبنائها، لذلك يجب الوقوف على عوامل ومصادر تشكيل الشخصية الإسلامية ومقوماتها، ومصادر بنائها.

لقد تعرضت الشخصية الإسلامية عبر القرون إلى حملات معادية من أعداء الإسلام،بهدف شطب هويتها وتشويه عقيدتها، وتعددت مصادر التأثير فيها حتى أصبحت الأمة في واقعها المعاصر تتشكل بفعل عوامل ومؤثرات غريبة عنها وأدى ذلك في كثير من الأحيان إلى التأثير في مسيرتها.

إن ما حدث من خلل في تكوين هذه الشخصية الإسلامية، في مراحل التاريخ المختلفة، كانت بسبب المناهج المستوردة من ثقافات الأمم المخالفة للإسلام، وكان في مجالات متعددة، أهمها المجال العقدي، والمجال التعبدي، والسلوكي والخلقي، وغيرها.

ويرى محمد قطب أن الانحرافات البشرية كلها في أي زمان وأي مكان وأي عمر وأي ظروف، لا تستعصي على العلاج حيث يوجد المنهج الحق، مهما احتاجت من جهد، إنما تستفحل وتستعصي حيث لا يكون هناك تربية، أو حيث تكون التربية والتوجيه فاسدين(قطب، 1992، ص92).

وفي ظل التحديات المعاصرة التي تواجه المجتمع المسلم اليوم، وجب العمل على إعداد برامج ومناهج تربوية تساهم في إعداد وبناء الشخصية الإسلامية المتكاملة، وقد تعددت مجالات بناء الشخصية المسلمة، ومنها: المجال الإيماني، التعبدي، الفكري، السلوكي، الأخلاقي، النفسي، الجسمي، الاجتماعي، وغيرها من المجالات المتعددة، والمتشعبة .

وبالعودة إلى المقومات التي بنيت عليها شخصية المسلمة، فإن الشخصية المسلمة المنشودة في كل زمان ومكان، هي الشخصية التي تجعل الرسول ﷺ قدوتها في كل شيء، وهي الشخصية الوحيدة التي تتصف بأنها متكاملة وسوية في صفاتها وخصائصها، وتسعى لتكون كما أرادها الله ﷻ، ويكون لها استقلاليتها وتميُّزها، وهذه الشخصية المسلمة المتكاملة بأركانها الثلاثة، الروح والعقل والجسد، التي بَيَّنها النبي ﷺ، لابد أن تتلقى مصادر تكوينها من المنبع الصافي الذي جاء به الرسول ﷺ، كما فهمه وطبَّقه الصحابة والتابعون، والسلف الصالح .

وعند البحث في كتابات محمد قطب، فإنه يرى بأن إعداد وبناء الشخصية المسلمة يتم في ثلاث مجالات أساسية، وهي المجال العقائدي، والمجال العقلي، والمجال الجسمي، وقد تحدث محمد قطب بالتفصيل، وبالشرح الكثير، حول كيفية إعداد وبناء شخصية المسلم في هذه المجالات .

وفي هذا الفصل يلقى الباحث الضوء على هذه المجالات، ليبين رؤية محمد قطب فيها.

تعريف الشخصية :

– الشخصية لغة: الشخصية: صفات تميز الشخص من غيره، ويقال: فلان ذو شخصية قوية: ذو صفات متميزة وإرادة وكيان مستقل(مجمع اللغة العربية، 2004، ص475) .

– الشخصية اصطلاحاً: هي التنظيم الذي يتميز بدرجة من الثبات والاستمرار لخُلق الفرد ومزاجه وعقله وجسمه، والذي يحدد توافقه المميز للبيئة التي يعيش فيها(عويضة، 1996، ص8).

أما الشخصية المسلمة، محور هذا الفصل، فقد طالع الباحث مجموعة من التعريفات، منها:

– الشخصية المسلمة: هي شخصية إنسانية تمثلت روح القرآن الكريم، وبرزت مكوناتها على النحو التالي: عقلية تصدر في نمط تفكيرها، وتجدد مساراتها، وتحكم شئون حياتها على أساس الإسلام، عقيدة وشريعة وأخلاقا(العسلي، 1991، ص284) .

– أو هي مجموعة الصفات الإعتقادية والروحية والأخلاقية والاجتماعية والإرادية والصحية والعقلية والعلمية والإبداعية، وذلك حسب ما قرره الإسلام لهذه الجوانب (يالجن، 1990، ص68).

ويمكن استخلاص تعريف من كتابات محمد قطب، وهو: "إقامة البناء السليم للنفس، وتحديد خط السير الصحيح، الذي ينبغي أن يسير عليه الإنسان في الحياة الدنيا، لتستقيم حياته في الدنيا، ويظفر في ذات الوقت برضوان الله ﷻ ونعيمه المقيم في الجنة وفي الآخرة، فتصلح دنياه وآخرته(قطب 1992، ص134).

وعن أهمية شخصية المسلم في المجتمع، يقول محمد قطب: "الإنسان الذي لا شخصية له في ذاته ولا وجود، لا ينشئ إلا مجتمعاً مستضعفاً خانعاً، يصلح لأن يحكمه فرد متسلط دكتاتور، ثم يتهاوى حين يذهب ذلك الدكتاتور، والإنسان الذي تبرز شخصيته بانحراف إلى حد الأنانية المرذولة أو الطغيان، لا يستطيع أن يعيش في وفاق مع الجماعة، ولا بد أن يتشتت المجتمع ويؤول إلى البوار، لا بد من إنسان متوازن في فرديته ومتوازن في ميله إلى الجماعة وتعاونه معها، وحينئذ يصبح المجتمع أشخاصاً حقيقيين، لا أصفاراً ولا نكرات، أشخاصاً لهم وجود واقعي، متساندين في الوقت ذاته صفاً كأنهم بنيان مرصوص، وذلك هو ما يسعى إليه الإسلام"(قطب،1981، ص164).

هذه هي صفات الشخصية المسلمة النابعة من الإسلام العظيم، ومن أراد التعرف على الشخصية المسلمة الكاملة كمالاً بشرياً، فليرجع إلى سيرة الحبيب محمد ﷺ، فهي أفضل وأعظم شخصية خُلقت على وجه الأرض، فمن أراد أن يكون عظيماً فليقتدي بها، فقد مدحها رب العزة: وانك لعلى خلق عظيم، إن الإسلام بمفاهيمه الأساسيّة ومناهجه التربويّة، يصنع شخصيّة متميّزة، لها سماتها، وتوجهاتها، وغاياتها، التي تميّزها عن غيرها من الشخصيات الأخرى،

أولاً:– المجال العقائدي:

جاءت العقيدة الإسلامية بمجموعة من المبادئ والقواعد والتوجيهات، التي تلبي حاجات الإنسان المادية والروحية، وتتناسب مع الفطرة السوية، وتحقق مصلحة الفرد والمجتمع في آن واحد، هذه القواعد والتوجيهات هي أعظم وأوسع نظام عرفته البشرية لأنها توجه أعمال الفرد الظاهرة والباطنة في جميع الأمور، وتوازن بين المادة والروح، وبين العبادات والمعاملات، دون أن يطغى جانب على جانب، فهي الركيزة الكبرى لتربية النفس، والركيزة الكبرى لتربية المجتمع.

– مفهوم العقيدة :

العقيدة تعرف بأنها التصور الكلي اليقيني عن الله الخالق، وعن الكون والإنسان والحياة، وعما قبل الحياة الدنيا وعّما بعدها، وعن العلاقة بين ما قبلها وما بعدها(الكيلاني وآخرون،1991، 107).

وهي الأمور التي يجب أن يصدق بها قلبك، وتطمئن إليها نفسك، وتكون يقينا عندك، لا يمازجه ريب، ولا يخالطه شك (البنّا، 1984، ص5).

كما أن العقيدة تعرف بأنها ما يُعقد علية القلب من الإيمان بربوبية الله ﷻ وأسمائه وصفاته، وتوحيده، والإيمان بالملائكة والكتب المنزلة والرسل واليوم الآخر، فهي تحيط بمناحي الحياة كلها بل وتؤثر وتوجه كل سلوك للمؤمن في حياته وحتى مماته، يقول الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(الأنعام، الآية: 162)(2008/1، موقع مداد).

– العقيدة والتربية:

والعلاقة بين العقيدة والتربية علاقة تكاملية وثيقة، فالعقيدة هي مركز التربية الإسلامية، ومنها تستمد التربية قيمها وتوجيهاتها، كما تعمل التربية على ترسيخ البناء العقدي لتصحيح مسار الإنسان، لأن سلامة هذا البناء العقائدي هي سلامة الجوانب الأخرى، فهو الأساس الذي تقوم عليه الشخصية الإسلامية الإيمانية الإيجابية، ومن ثم فإن هذا المجال(المجال العقائدي) يستقطب المجالات الأخرى ويتداخل معها .

إن مجال التربية العقائدية واسع، وبالبحث في مجال التربية العقائدية، من خلال كتابات محمد قطب، يتبين أن له منهجه المتميز في هذا المجال، ويمكن تحديده في مجموعة من العناصر على النحو التالي:

أ– إعداد القاعدة الصلبة:

العقيدة هي الأساس الأول الذي ينبني عليه المنهج التربوي، لذلك يجب أن تستقر العقيدة في قلوب الداعين إليها أولاً، ثم يدعون الناس إليها، علماً وعملاً وتطبيقاً، لا مجرد علم نظري .

وفي هذا المجال يتحدث الأستاذ محمد قطب عن خطوة أولى يسميها:"إعداد القاعدة الصلبة"، والقاعدة الصلبة هي التي تُعد لتكون الركائز والدعائم، هي القادة، هي الموجهون، هي المربون.

حيث يرى(قطب،2003، ص139) ضرورة البدء بإنشاء القاعدة الصلبة وتربيتها على أعلى ما يُتاح من مستويات التربية، وتنقيتها من الشوائب بأقصى ما يتاح من وسائل التنقية .

والدرس الأول في بناء القاعدة الصلبة، هو درس"لا إله إلا الله" علماً بها وتربية على مقتضياتها، لإعداد الدعاة الذين يوجهون القاعدة الموسعة، حين يأتي دور توجيه الدعوة إلى الجماهير.

وإذا لم يتخرج الدعاة والمربون من قاعدة نالت قسطاً كبيراً من التربية والإعداد والبناء، فإنها تخرج ضعيفة هشة البناء والتكوين، سرعان ما تسقط أمام فتن المغريات، وأمام شهوة الجاه والسلطان فتنحرف عن المسار الصحيح، وتنقلب دعوتها عن سبيل الله .

بعد ذلك تأتي الخطوة الثانية وهي "توسيع القاعدة"، عن طريق توجيه الدعوة للجماهير، وهذه المرحلة يمثلها في حياة الجماعة الأولى، جماعة الرسولﷺ، دخول أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب في الإسلام، بعد ما كانت "القاعدة الصلبة" قد تم بناؤها من المهاجرين والأنصار رضوان الله عليهم، وهؤلاء هم الذين قال الله ﷻ عنهم: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللّهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ﴾ (التوبة، الآية: 120).

يقول(قطب،2003، ص168): "من أجل ذلك كله نصرّ على التربية البطيئة الشاملة، التي تبدأ بإنشاء القاعدة الصلبة ثم تتوسع على مهل، ولو استغرق ذلك عدة أجيال" .

إن "توسعة القاعدة الصلبة" بالأعوان الملتزمين، الذين يعتبرون أنفسهم جنوداً للدعوة، يأتي بعد تكوين القاعدة الصلبة، لأن المتلقين يحتاجون إلى موجِهين للقيام على أمرهم وتوجيههم .

والوسائل التربوية في هذا المجال، هي ذات الوسائل التي استخدمها المربى الأعظم محمد ﷺ، فالقدوة هي الوسيلة الأولى والكبرى في عملية التربية، ثم تأتى بعدها الموعظة والنصائح والدروس، مع الرعاية والمتابعة والدأب والصبر، حتى تستجيب النفوس ثم تستقيم، وكذلك تعميق الإيمان بالله ﷻ واليوم الآخر، وتعميق الصلة بالله ﷻ وتعويد النفوس على الحياة في معية الله ﷻ وممارسة السلوك الإيماني في عالم الواقع، ثم الوعي بالوسائل التي تؤدى إلى هذا الإيمان .

ب – الدعوة إلى التوحيد الخالص من الشرك:

العقيدة الصحيحة –عقيدة أهل السنة والجماعة– هي السبيل المستقيم والمنهج القويم، والمربي يجب عليه أن يغرس العقيدة الصحيحة في قلب من يربيهم ويعلمهم، ولا يتركهم عرضة لأهواء وأفكار تباعد بينهم وبين سبيل الهدى، وعلى المربي أن يكون منتبها لما ينتشر من المناهج الضالة المنحرفة عن النهج النبوي السليم، قال الله ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(الأنعام، الآية: 153) .

يشير محمد قطب هنا إلى مجموعة من الأسس العقائدية، التي يعتبرها أساساً لإعداد الإنسان الصالح، ونهضة الأمة وتمكينها، ومن أهمها أن تعي الأمة حقيقة لا اله إلا الله، والعمل بمقتضياتها، ومعرفة الغاية من خلق الإنسان واستخلافه في الأرض، فهو يرى أن محور العقيدة الإسلامية، ومحور منهجها التربوي، هو أن يرتدّ الناس إلى خالقهم، فيعلمون أنه وحده صاحب الحول والقوة والسلطان، وهو مالك كل ما في الأرض، ومن في الأرض فلا يتطلعون لأحد غيره، ولا يتعبدون لأحد سواه، فيهتدون بهديه، ويسيرون على منهجه، ومن ثم تتحرر قلوبهم وأرواحهم وينطلقون، خفافاً إلى الله (قطب، 1981، ص15).

وقد علمتنا مدرسة النبوة أن نبدأ أولاً بالدعوة إلى العقيدة الصافية النقية، وهذا منهج الأنبياء عليهم السلام، الذين رفضوا أن تبدأ دعوتهم على أي هدف إلا العقيدة، حتى لو كانت أهدافًا أخلاقية سلوكية، أو اجتماعية، أوغيرها، فقد بدأ الأنبياء جميعهم عليهم الصلاة والسلام، من طريق الدعوة إلى العقيدة والتوحيد، برغم مشقته وعنائه وبلائه .

لذا فإن أساس التربية يكمن في عدم الشرك بالله ﷻ، وخير مثال واضح، هو وصية لقمان عليه السلام لابنه، في قول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(لقمان،الآية: 13)، فالنهي عن الشرك هو الأساس، ويندرج تحته مجموعة من القيم والمبادئ التربوية الأخرى، وذلك من واقع الآيات، حيث يتابع لقمان عليه السلام وصيته لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ. يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ. وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ. وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾(لقمان، الآيات: 16–19)، لذلك يجب أن تكون موعظة لقمان عليه السلام لابنه نبراساً، يستضئ به الآباء والمربون في توجيه أبنائهم .

والنفس الإنسانية تحتاج إلى التربية المستمرة، والتذكرة والوعظ حتى لا يعتريها الصدأ، ولتأمن من رياح الشرك، حيث تبدأ التربية الإسلامية بنزع الشرك الظاهر والخفي من النفوس، فتتخلى بذلك عن الظلم والرياء، والفسوق والعصيان، ثم تستعد النفس بملء القلب بدين التوحيد الخالص"لا إله إلا الله"، والعمل بمقتضياتها، حيث يندرج تحتها كل شئ، فإذا آمن الإنسان بأن لا اله إلا الله، فانه لا يتقاعس عن تأدية حقوق الله ﷻ عليه من عبادات، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر(الشرقاوي، 1983، ص90)، وينهي الباحث هذه الجزئية بما لخصه محمد قطب حول هذا الموضوع حيث قال: "إنما لا إله إلا الله التي ندعو إليها هي التي أنزلها الله في كتابه المنزل،

وعلمها رسول الله ﷺ لأصحابه ﷺ، ومارسها السلف الصالح ﷺ، إنها لا إله إلا الله ذات المقتضيات: توحيد الاعتقاد، توحيد العبادة، توحيد الحاكمية، التخلق بأخلاق لا إله إلا الله، القيام بالتكاليف الربانية التي تشمل طلب العلم، وعمارة الأرض بمقتضى المنهج الرباني، وإعداد العدة لأعداء الله، ونشر الدعوة في الأرض، والجهاد في سبيل الله" (قطب، 1994، ص161).

ج – معرفة الغاية من خلق الإنسان واستخلافه في الأرض:

الإسلام يحدد غاية الوجود الإنساني، على قاعدة: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾**(الذاريات، الآية:56)،غاية الوجود الإنساني هي العبادة بمعناها الواسع الشامل: **﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**(الأنعام، الآية:162)، هذه العبادة الإسلامية، وتشمل شعائر التعبد(صلاتي ونسكي)، تشمل شعائر الحياة كلها، حين تُدار بمنهج الله ﷻ تصبح عبادة، الزواج، العلم، التجارة، والإعمار، كلها عبادة، عندما يُبتغى فيها وجه الله، ويُخلص فيها لله ﷻ، فغاية الوجود الإنساني في الإسلام هي عبادة الله ﷻ، وعمارة الأرض تأتي بعدها: **﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾**(هود، الآية: 61) وهي جزء من التكليف الرباني.

وعلى العكس تسير المناهج الغربية وغيرها من الحضارات قديما وحديثاً، حيث تعتبر أن غاية الوجود الإنساني هو تعمير الأرض العمارة المادية، والاستمتاع بما في الأرض.

التربية الإسلامية هي التي ربى بها رسول الله ﷺ أصحابه ﷺ، وتربى عليها التابعون وتابعوهم، الذين وصفهم الله ﷻ في القرآن الكريم: **﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ﴾**(آل عمران، الآية:110)، والتربية النبوية لا تقتصر على الجانب الروحي وحده، بل كان الذين رباهم الرسول ﷺ عمالقة في كل اتجاه: عمالقة في سياسة الحكم، عمالقة في الحرب، عمالقة في العلم، عمالقة في الأخلاق، عمالقة في كل شيء من شئون الحياة، وكانوا هم وذراريهم الذين تربوا على أيديهم من بعدهم، سادة العالم وقادته ورواده وهداته إلى النور، هذا المعنى الواضح للتربية الإسلامية لم يعد واضحاً في أذهان الكثيرين اليوم، لأن المفهوم الغربي للدين الذي يزحف على حياتنا عن طريق الغزو الفكري، ينظر الناس إلى الإسلام من خلاله ولأن الواقع السيئ الذي يعيشه المسلمون اليوم، يوشك أن تختفي فيه آثار التربية الإسلامية، والذي يجعل الأمة التي تحمل اسم الإسلام من أكثر الأمم ضعفا وتخاذلا، وتفرقاً وتخلفاً وتنابذاً وسوء خلق، فتبدو التربية الإسلامية الحقة إلى جانب هذا الواقع السيئ، خيالات لا وجود لها في الواقع، وشعارات معلقة في الفراغ (قطب، 1998، ص151).

د – ترسيخ الإيمان سلوكاً واقعياً في الحياة:

الإيمان هو ما وقر في القلب وصدقه العمل، فلا يكفى أن ندّعى الإيمان لنكون مؤمنين، إنما لابد لذلك من واقع سلوكي، يصدق هذه الدعوى، ويحولها إلى حقيقة، ولقد مر على المسلمين وقتٌ أصبح الدين فيه معنى قلبياً وجدانياً، لا صلة له بالواقع، ويقول الواحد منهم: "لا تحكم عليّ بظاهر أعمالي فأنا مؤمن في داخل قلبي وهذا يكفى، والله هو المطلع على خفايا القلوب"، هذا التصور المنحرف المجافي لحقيقة الدين هو أشبه بالمفهوم الكنسي الغربي للدين بأنه علاقة بين العبد والرب ومحله القلب، أي لا صلة له بواقع الحياة، وإنما هو مشاعر وجدانية داخل القلب فحسب، إنما جاء الإسلام ليحوّل الدين واقعاً يعاش لا كما كان العرب في الجاهلية يخالفون أمر الله ﷻ، ثم يقولون: نحن على دين إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ﴾(آل عمران، الآية:19).

ولا تقتصر مهمة التربية العقائدية على التعريف بها وتعليمها فقط، إنما تمتد إلى التربية، فليس دين الله ﷻ معلومات تُلقى ثم تحفظ، إنما هو سلوك عملي بمقتضى التعليم الرباني، والسلوك العملي لا يُكتسب فجأة، بل يحتاج إلى جهد يبذله المربى والمتلقي على حد سواء، فالمربى يبذل جهده في التوجيه والملاحظة والمتابعة والتذكير والصبر الطويل على انحرافات الناس، حتى تستقيم، وبذل النصح باللين والمودة حتى تتقبله النفوس وتعمل بمقتضاه، ودور المتلقي أن يبذل الجهد في ضبط أهوائه حتى تستقيم مع المنهج المنزل، ومقاومة الشهوات ودفع وساوس الشيطان التي تزين له المعصية والبعد عن طاعة الله ﷻ .

يؤكد(قطب، 2005، ص185)على هذا المعنى بقوله: "التربية على العقيدة أمر غير مجرد المعرفة النظرية بحقائق العقيدة، فكثير من الناس إذا قلت له إن الله ﷻ هو الرزاق وحده قال: نعم، فإذا تعرض لمحنة أو ضيق أو هدد في رزقه تزلزلت هذه الحقيقة في قلبه، لأنها لم تكن راسخة بالفعل، لم تكن تحولت إلى يقين، وإلى سلوك مبني على ذلك اليقين" .

النشاط البشري كله يجب أن يكون لله أي ملتزماً بما أنزل الله ﷻ، ومن أجل أن يتم ذلك، لابد من تربية الناس على العقيدة الصحيحة، وعلى أخلاقيات لا إله إلا الله، ولا بد أن يكون التحاكم في كل الأمور إلى شريعة الله ﷻ، وأن تكون مناهج التعليم ووسائل الإعلام ملتزمة بما أنزل الله ﷻ، معاوِنة في تثبيت القيم الإيمانية، لا معارضة لها ولا معادية لمقتضياتها(قطب، 1998، ص147).

لذلك يجب على المربين الربط بين سلوك المسلم في حياته اليومية، وبين عقيدته الإسلامية، كما يجب التنبيه دائماً على مسألة التحرك بالعقيدة والعمل بها، وألّا يكتفي المربي في تدريس العقيدة بالدراسة النظرية في كتاب، بل أن تتعدد طرق تدريس العقيدة وأساليب تدريسها وتتنوع .

كما يجب الاهتمام بتعليم القيم الدينية في السنوات الأولي من التعليم، تعليم التلاميذ المعلومات اليقينية الثابتة وعدم تقديم معلومات قابلة للشك .

ثانياً – المجال العقلي:

العقل في اللغة يطلق على المنع والحبس، ووجه تسمية العقل بهذا الاسم: كونه يمنع صاحبه عن التورط في المهالك، ويحبسه عن ذميم القول والفعل(ابن فارس،1979، مادة "ع ق ل").

والعقل هو القوة المدرِكة للحقائق، وهو الأداة التي تصل بالإنسان إلى مراحل متقدمة من التفكير، والإبداع في شتى العلوم والمعارف، وهو أساس التكليف، وبه يتمكن الإنسان من إعمار الكون .

اهتم الإسلام بالعقل الإنساني، وجعل له أهمية عظيمة، وحمّله مسؤولية فهم الإسلام، والالتزام بتطبيقه، وقد اعتنى الإسلام بالعقل، فأَمَرَ الله ﷻ بالمحافظة عليه، ونهى عن كل ما يضر به، أو يعطل عمله، وليس ثمة عقيدة تقوم على احترام العقل الإنساني، وتكريمه، والاعتزاز به والاعتماد عليه في فهم النصوص، كالعقيدة الإسلامية، بل إن العقيدة الإسلامية تدعو العقل إلى تشغيل طاقاته، وتستثيره ليؤدي دوره الذي خلقه الله ﷻ من أجله، وتنبهه ليتدبر ويتفكر، وينظر ويتأمل، في دلالةٍ على أن الدعوة إلى الإيمان قامت على الإقناع العقلي.

لقد كان من مزايا العقيدة الإسلامية، أنها أطلقت العقل البشري يعمل في أوسع نطاق متاح على الأرض، ولم تغلق عليه الأبواب، وكان من آيات الإسلام الكبرى أنه في دعوته للإيمان باللهﷻ لم يقهر العقل بالخوارق القاهرة، ولا بأسرار لا حيلة له فيها ولا اختيار، بل خاطبه ووعّاه وأيقظه وناقشه، وجعله يشترك في عملية الإيمان الواعية (قطب، 1981، ص88) .

وتظهر أهمية العقل ومنزلته من خلال بيان المهام والوظائف التي أُسندت إليه، ومنها:

1- التأمل في ملكوت الله ﷻ، والتفكر في قدرته، والنظر للتعرف على وجود الخالق جلّ جلاله في مثل قوله تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ (الحج، الآية: 46)، وقد جُعل التفكر في الكون عبادة، والتقصير في التفكر معصية، ذلك بأن فيه تعطيلٌ للعقل عن القيام بدوره ووظيفته، فقد ورد عن الرسول ﷺ أنه تلا مرة قول الله ﷻ: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. .**﴾ (آل عمران، الآيات: 190-191)، قال ﷺ: "**لقد أُنزلت عليّ الليلة آيات ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها**" (الألباني، د.ت، ج1: 147) .

2- الإسلام حمّل الإنسان مسؤولية إعمار الكون، ومَنَحه العقل ليديره به، ويستغل ما فيه، قال الله ﷻ: ﴿**هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ**﴾ (هود، الآية:61) وأناط به فهم الشريعة، وتطبيقها، والاجتهاد في الأحكام الشرعية من أدلتها، لحل المشكلات التي تواجه البشرية في كل زمان.

- **كيف يربي الإسلام العقل:**

يبدأ الإسلام تربية العقل عن طريق تحديد مجال النظر العقلي، فيصون الطاقة العقلية أن تتبدد وراء الغيبيات، التي لا سبيل للعقل البشري أن يحكم فيها، ووسيلته في ذلك هي تدبر الظاهر للحِس، والمدرَك بالعقل، ومن ثم يحدد الإسلام مجاله في هذا النطاق(قطب ،1981، ص77).

الإسلام يربي العقل كما يربي كل طاقة من طاقات الإنسان، يربيه بأن يدربه - كما درب الروح -على الاتصال الدائم بالله ﷻ، والقرب من الله ﷻ، يربطه بالله سبحانه وتعالى، كما ربط الروح من قبل، وكما اهتدت الروح، يحرص الإسلام على هداية العقل، إلى حقيقة التوحيد لله ﷻ، وإخلاص العبادة له، والعقل البشري له طريقته للوصول إلى هذه الحقيقة، وطريقته هي:المشاهدة، الملاحظة، التجربة، القياس، والاستنباط، هذه هي وسائل العقل، ويُهدى العقل إلى حقيقة التوحيد من خلال قضايا عقلية يعطيها القرآن للعقل البشري ليهتدي إلى حقيقة الوحدانية .

مجالات التربية العقلية:

وهناك خمسة مجالات رئيسية، يُدعى العقل للعمل فيها في ظل الإسلام، وهي كما يلي:

أ- تدبر آيات الله في الكون للتعرف علي قدرة الله المعجزة:

إن أول ما يُبدأ به في تربية العقل هو توجيهه إلى تدبر آيات الله ﷻ في الكون، للتعرف إلى قدرة الله ﷻ المعجزة، التي خلقت هذا الكون، وتفرده بالخلق والتدبير، بما يؤدي إلى إخلاص العبادة له وحده ﷻ، وطاعته فيما أمر به وما نهي عنه، فيعرف الله ﷻ الخالق الواحد فيسلم له، ويترتب على تدبّر آيات الله في الكون، ما يلي:

1- الإقرار بوجود خالق لهذا الكون، وهذا يدعو إلى التدبر والتفكر في ملكوت السموات والأرض، في الكون المعجز في دقته وضخامته، لا يمكن أن يكون هذا الكون بلا خالق، فهناك خالق لهذا الكون، فالعقل يُهدَى إلى الوحدانية، كل ما في الكون، يدل على وجود الخالق سبحانه، لأن هذا الكون لا يوجد بغير خالق.

2- المرحلة التالية أن الخالق ﷻ الذي يخلق هذا الكون بدقته العجيبة ونظامه المحكم، يستوجب في عقولنا أن يكون عليماً وحكيماً ومدبراً بصورة معجزة للبشر، فائقة لحدود ما عند البشر، فقدرة الله ﷻ هي القدرة التي لا تحدها حدود ، ولا يعجزها شئ، وهي الحكمة والعلم بغير حدود .

3- ثم لا يمكن أن يوجد مع الله ﷻ آلهة أخرى، وإلا لفسدت السموات والأرض وما فيهن، وهذا دلالته واضحة في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الأنبياء، الآية: 22) .

وقال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾(المؤمنون، الآية: 91)، وهذه قضية عقلية، فلو كان في السموات والأرض أكثر من إلهٍ فلا تستقيم الأمور، ويفسد حال الكون، ولا يمكن أن يستمر الكون في هذا النظام الدقيق العجيب إذا كان هناك أكثر من إله، إذن هو إله واحد، هذه القضايا العقلية يعطيها القرآن للعقل البشري ليهتدي إلى حقيقة الوحدانية.

ب – تدبر السنن الربانية التي تجري الأمور بمقتضاها في حياة البشر:

يوجَّه العقل بعد ذلك إلي تدبر آيات الله ﷻ في الكون، للتعرف علي أسرار هذا الكون، لاستخلاص السنن التي يدير الله ﷻ بها هذا الكون، وللتعرف علي خواص ذلك الكون، لإمكان تسخيرها لعمارة الأرض، لإقامة المجتمع الإيماني الراشد الذي يريده الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الجاثية،الآية:13)، ومهمة عمارة الأرض هي جزء من مهمة الخلافة، قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(البقرة، الآية:30)، والأداة العظمى التي تعمل في هذا الميدان هي العقل، وفي هذا الميدان يرى محمد قطب أنه يمكن الحديث عن النقاط التالية(قطب، 1983،ص320):

– التسخير قائم من عند الله ﷻ ابتداءً، ولكن تحقيق هذا التسخير في عالم الواقع لا يتم بمجرد رغبة الإنسان في ذلك، إنما يتحقق هذا التسخير بجهد عقلي يتعرف به الإنسان على أساس الكون وخواصه، وجهد عضلي يطبق به الإنسان ثمار معرفته في صورة عمل منتج .

وفي كتاب الله ﷻ مجموعة من السنن التي يُجري الله ﷻ بها قدره في حياة البشر، وترد الإشارة المكررة بأن سنة الله ﷻ لا تتبدل ولا تتغير، ولا تتوقف محاباة لأحد من الخلق، ويوجّه العقل إلي تدبر هذه السنن من أجل إقامة المجتمع الصالح الذي يتماشى مع مقتضياتها ولا يصادمها.

– التربية الإسلامية توجه العقل إلى أن يعرف هذه السنن، منها مثلاً قوله تعالى:﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾(الرعد،الآية:11)، ومنها قوله تعالى:﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف، الآية: 96)، ومنها:﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾(الأنعام، الآية: 44)، سنن كثيرة يتحدث القرآن الكريم عنها، لنتدبرها، لنعرف أن حياة البشر على الأرض تسير بمقتضى هذه السنن الربانية، وأنه لن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة

الله تحويلا، وعلى الإنسان المسلم أن يتدبرها، ويعرفها ليعرف كيف يسير التاريخ البشري، وعلى الإنسان أن يسير بمقتضى هذه السنن، فإن خالفها تجري له العقوبة في الدنيا والآخرة، عقوبته في الدنيا أن تكون حياته كحياة الجاهلية المعاصرة، وعقوبته في الآخرة النار وبئس المصير، وحين يستقيم على تلك السنن فحياته في الدنيا مطمئنة وناجحة، وممكّن في الأرض ومستخلف، ثم في الآخرة النعيم الخالد .

هذه من الأمور التي يربى عليها العقل المسلم، يربى على تعلم السنن التي تسير بها الحياة البشرية على الأرض ، وهو في ذلك متصل بالله (قطب، 1983، ص458).

– يتوسع محمد قطب في شرح المزيد من هذه السنن التي يجب التركيز عليها، ومنها سنن عامة موجهة لجميع البشر، منها: أنه لا تحصيل بغير جهد يبذل، مصداقاً لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾(البلد، الآية:4)،﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ﴾ (الانشقاق،الآية:6)، فتلك من السنن العامة التي يشترك فيها "الإنسان"، ولا تخص فريقاً من الناس دون فريق، وأهمية التركيز على هذه السنة في واقعنا المعاصر، هي ضرورة تصحيح المفاهيم التي أفسدتها انحرافات الأمة الإسلامية، في مسيرتها التاريخية الطويلة فأبعدتها عن حقيقة الإسلام .

– كما أن الإسلام دعا المؤمنين إلى التوكل على الله ﷻ، مع اتخاذ الأسباب، قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾(آل عمران،الآية:159)، والعزيمة ليست مجرد الرغبة، ولا مجرد النية، إنما هي إجراء عملي يتم قبله ومعه إعداد العدة، والتأكيد على هذه السنة التي تقول إنه لا بد من بذل الجهد ليتم التحصيل، ضروري لمعالجة ما أحدثه التواكل المريض من ضعف وتخاذل وتقاعس في بنية الأمة (قطب، 1998، ص96) .

وكل ذلك يوجَّه العقل لأدائه، بل هو ميدانه الأصيل الذي تتجلي فيه كل عبقريته، ولديه أوسع فرصة ليصل إلى الحقيقة فيما قدر الله ﷻ أن يكشف له من أمور هذا الكون، ولكنه يوجّه إلى ذلك بعد أن يوجّه إلى التعرف على الخالق، وعلى كل قضايا العقيدة، فيتم توجيه العقل في الإسلام إلى التعرف على السنن الكونية، من أجل عمارة الأرض، بعد توجيهه إلى الإيمان بالله، وهو المنهج الصحيح لتنشئة الإنسان الصالح الذي تسعى البشرية – نظرياً – إلي أن تنشئة، ولكنها تخفق دائما حين تتنكب المنهج الرباني، وتنشئ من عندها مناهج تؤدي إلي البوار (قطب، 1983، ص456).

والعبرة المستفادة من هذه السنن هنا، هو دور العقل في تدبرها، لا تدبراً نظرياً فلسفياً يبدأ في العقل وينتهي في العقل، إنما يتدبرها ليعمل علي إقامة المجتمع الصالح، الذي يستحق التمكين في الأرض بمقتضي الوعد الرباني، وليتجنب النذير الرباني في الدنيا قبل الآخرة .

ويستفاد منها في التوعية بالدور التاريخي والإنساني لهذه الأمة، والتوعية بأعداء هذه الأمة، ومخططاتهم ضدها، وأهدافهم من هذه المخططات، وواجب الأمة إزاءهم، وطريقة التعامل

معهم في السلم والحرب، وقضية الولاء، ومع من يكون، وتدبر السنن الربانية التي يتحصل منها الوعي الاجتماعي والوعي السياسي، وهو أمر واجب في الإسلام ليتم تنفيذ المنهج الرباني على وجه الصحيح . ويستفاد من السنن الكونية في توجيه العقل الإنساني:

1- إن تأمل العقل للسنن الكونية يجعل الإنسان يستشعر عظمة الله ﷻ في تدبير هذا الكون، وفق نظام دقيق محكم .

2- يستطيع العقل البشري أن يستخدم المنهج العلمي في التفكير لاكتشاف مكنونات الكون.

3- كلما تفكر العقل وتدبر في هذا الكون، كلما ازداد إيمان صاحبه، حيث الآيات القرآنية المتعلقة بالتدبر والنظر العقلي والتفكر، جاءت لتعزيز الجانب الإيماني للإنسان .

4- التفكر والتأمل في السنن الكونية، عبادة توجب الأجر والثواب، وزيادة الإيمان، وتوجب الخشية لله سبحانه، والتي هي من ثمار الإيمان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (فاطر، الآية: 28) .

ج- تدبر الحكم التشريعي والاجتهاد فيما أذن الله فيه:

يتابع محمد قطب حديثه حول بناء الشخصية المسلمة في المجال العقلي، ومنها أيضاً، أن يوجِّه العقل في الإسلام إلي تدبر حكمة التشريع الرباني ليحسن تطبيقه، ومن أجل الاجتهاد فيما أذن الله ﷻ فيه بالاجتهاد، فالعقل البشري في التربية الإسلامية يربَّىَ على تدبر حكمة التشريع.

ويرى(قطب،1983، ص485) أن إعمال العقل لتدبر حكمة التشريع أمر واضح الضرورة، وواضح الحكمة، فالتشريع لا ينطبق آلياً على كل حالة من الحالات التي تقع بين البشر، إنما يحتاج الأمر إلى إعمال العقل، لمعرفة الحكم الذي ينبغي تطبيقه في الحالة المعينة المعروضة للحكم، ولمعرفة الطريقة الصحيحة لتطبيقه، كما أن هذه الشريعة التي نزلت لتواكب حياة البشرية كلها منذ نزولها إلي قيام الساعة، قد روعي فيها أن تواجه الثابت والمتغير في حياة الناس.

فالتشريع الرباني هو أفضل تشريع وأكمل تشريع، لكنه لا يمكن تطبيقه بشكل تلقائي، إنما عقل البشر مطلوب، واجتهاد البشر مطلوب لتطبيق هذا التشريع الرباني في حدود الإجتهاد، ولابد للعقل البشري أن يعمل ويتدبر في حكمة هذا التشريع، في معرفة مقاصد الشريعة، ليُحسن تطبيق هذا الشرع في واقع الأرض، وهذا فضلا عن الاجتهاد فيما ليس فيه نص، بما يوافق الشرع .

والعقل الإسلامي المؤمن مكلف أن يتدبر مقاصد الشريعة، حتى أذا طبق هذه الشريعة طبقها التطبيق العادل الواسع الأفق، الذي يتسع لما يجِدّ في حياة البشرية، يقول عمر بن عبد العزيز: "يجدّ للناس من الأقضية ما يجدّ لهم من القضايا، أي أحكام مستمدة من الشريعة، لتغطي ما جدّ من حياة الناس، وتردهم إلى الشريعة، هذه مسألة يرد إليها العقل البشري(قطب، 2003، ص82).

وحصيلة الفقه الإسلامي من أعظم ما أنتجه العقل البشري، سواءٌ في الأصول أو في الفقه، في القواعد التي يسير عليها الاستنباط والقياس، أو في الاجتهاد ذاته، لأن الإنسان المسلم استجاب لله سبحانه وتعالى بأن يتدبر آيات التشريع، قال الله تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (آل عمران،الآية:118)،﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(الحديد،الآية:17) فهناك أمر رباني بتدبر تشريعات الله ﷻ في الكتاب والسنة، حتى إذا طبقها المسلم، طبقها بوعي وبصيرة.

ولقد قام العقل الإسلامي في ميدان الفقه بجهد رائع، ما زال يعد تراثاً إنسانياً ثميناً إلي هذه اللحظة، رغم ما أصاب الأجيال المتأخرة من الجمود، وما أصاب الأجيال الأخيرة من الإعراض. والذي يطّلع على هذا الفكر يدرك مدى شمول هذه الشريعة، وحيويتها، وقدرتها على مواكبة النمو البشري من جهة، ويدرك من جهة أخرى ما قام به العقل الإسلامي المفكر من فتوحات في هذا الباب، كانت كلها وليدة توجيهات الإسلام(قطب، 1983، ص459) .

ويستفاد من تدبر العقل في الحكم التشريعي، في عدة أمور:

1- قطع الطريق على الذين يزعمون أن الإسلام دين رجعي، ولا يتأقلم مع الوقائع المستجدة والقضايا المعاصرة .

2- توظيف النصوص الشرعية في معالجة ما يستجد من قضايا، في المجالات المختلفة، السياسية والاقتصادية والتربوية والنفسية .

3- إن التدبر في الحكمة من التشريع الإسلامي، يساعد المسلم في أن يحسن ويجيد تطبيق هذا التشريع عن علم وفهم ودراية لكافة أبعاده .

د- تدبر التاريخ البشري والنظر في أحوال الأمم والشعوب:

فقد وجهنا الله ﷻ أن نتدبر التاريخ، ونستخرج عبرته، إذ التاريخ هو المجال الواقعي الذي تحققت فيه السنن الربانية من قبل، وتتحقق من بعد – لثبوتها وحتميتها – فما لا يدرك الإنسان تحققه في فرصة عمره المحدود، يستطيع أن يراه متحققاً في التاريخ، فيستيقن من صدق السنن، وأنها لا تتخلف ولا تنحرف عن مسارها، ولا تجامل أحداً من الخلق(قطب، 1998، ص76).

تدبر التاريخ إذن هو في الواقع تدبر السنن الربانية في واقعها التاريخي الذي يمتد خلال القرون، ورؤية الطريقة الواقعية التي تتحقق بها تلك السنن في حياة الأمم والأفراد، لتتحقق العبرة الكاملة في نفوس الناس، فيسايروا هذه السنن ولا يصادموها.

والقرآن الكريم يوجه العقل المؤمن توجيهات ربانية كثيرة، لتدبر عبرة التاريخ، قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾(الأنعام، الآية:11)،﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ

كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾(النمل، الآية: 62)،﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(العنكبوت،الآية:20)،﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾(الحشر، الآية:2).

فنحن مكلفون بتتبع سير الماضين الغابرين، لنعرف منها كيف عاملها الله ﷻ، هل كانت مؤمنة وكيف كانت نتيجة الإيمان؟ أم كانت كافرة وكيف كانت نتيجة الكفر؟ والعبرة المستخلصة هي أيضا لربط الإنسان بالله ﷻ، لكي يستقيم على سنن الله ﷻ، لأن نتيجة تدبر عبرة التاريخ، رؤية سنن الله ﷻ في إدارة الحياة البشرية مطبقة في واقع الأرض.

إن التاريخ لا يدرس –من وجهة النظر الإسلامية– لتسجيل انتصارات الجيوش وانكساراتها، ونشأة الدولة وزوالها مجردة عن القيم المصاحبة لها، وعن مجرى السنن الربانية فيها، إنما يدرس بادئ ذي بدء لتتبع حياة "الإنسان" في حالتيه: حالة الهدى وحالة الضلال، وما يجري خلال كل من الحاليتين من أحداث، ونتائج تترتب على الأحداث، مضبوطة بالمعيار الذي لا يخطئ، معيار السنة الربانية الحتمية التحقيق (قطب،1983، ص491).

والتاريخ هو الصفحة التي تشهد بهذه السنن الربانية، الله ﷻ يحدثنا عن هذه السنن، ثم يقول لنا سيروا في الأرض فانظروا كيف جرت هذه السنن الربانية في واقع البشرية، فإذا تدبرنا هذه العبرة، تكون نتيجتها التربوية للعقل البشري، وللنفس البشرية كلها، أن الإنسان يستقيم على هذه السنن ولا ينحرف، لأنه يرى عبرة الانحراف في أحداث التاريخ.

هذه السنن في حياة البشر بمثابة تربية وقائية، تنبه الإنسان من الوقوع فيما وقع فيه السابقون من الهلاك والدمار بسبب معاصيهم وبعدهم عن الله ﷻ ورفضهم لدعوة أنبيائهم .

وهذا دور العقل في تدبر هذه السنن والاستفادة منها في تربية الفرد وتوجيهه نحو طاعة الله ﷻ وعبادته، على اعتبار أنه مركز التوجيه والإرشاد في الإنسان.

ما يستفاد من التدبر في التاريخ البشري وأحوال الأمم والشعوب:

1- أن التاريخ القرآني من خلال الآيات هو أصدق من التاريخ الذي يخطه البشر.

2- أخذ العبر والعظات لوقاية الأفراد والمجتمعات من الانحراف العقائدي.

3- توجيه النفس الإنسانية نحو طاعة الله ﷻ والالتزام بأوامره ونواهيه، حتى لا تتعرض للهلاك.

هـ- استخلاص الطاقة المادية وتذليلها لخدمة الإنسان:

العقل المسلم هو الذي أنشأ المنهج التجريبي في البحث العلمي، حيث كان العلم قبل الإسلام علماً نظرياً فلسفياً، فلا يهم العقل الفلسفي اليوناني حقيقة الواقع، إنما يهمه أنه يمكن إثبات القضية ذهنياً، والعقل المسلم تسلم المعلومات من العقل اليوناني، ثم صحح فيها، وزاد عليها، وأنشأ المنهج التجريبي بتوجيه الإسلام.

ويذكر محمد قطب أن المذهب التجريبي الذي قام عليه العلم الأوروبي، هو باعتراف الأوروبيين، تراث إسلامي أصيل، ويستشهد محمد قطب بما كتبه أحد أقطابهم(هـ.ر.جب) في كتابه الاتجاهات الحديثة في الإسلام، يقول: "أعتقد أنه من المتفق عليه أن الملاحظة التفصيلية الدقيقة التي قام بها الباحثون المسلمون قد ساعدت على تقدم المعرفة العلمية، وأنه عن طريق هذه الملاحظات وصل المنهج التجريبي إلى أوروبا في العصور الوسطى"، ثم يعلّق قطب قائلاً: "وفي ذلك الاعتراف ما يكفي لإثبات جهد المسلمين في ترقية العلوم نظرياً وتجريبياً " (قطب،1981، ص99).

ومن الأمثلة التي تدلل على براعة العقل المسلم، ما أبدعه في علم الكيمياء حيث أخذ العقل المسلم من التراث اليوناني أن هناك شيئاً يسمى "حجر الفلاسفة"، يتخيله عقل اليونان، يمكن أن يحول المعادن الخفيفة إلى ذهب، فأخذ العقل المسلم يجرب هذه المعادن، وفي أثناء بحثه العملي التجريبي عن نظرية "حجر الفلاسفة"، عرف كثيراً جداً من خواص المادة، وكان هذا هو الطريق الجديد الذي رسمه العقل المؤمن المسلم للبحث العلمي، والذي تتلمذت عليه أوروبا، وأقامت عليه نهضتها العلمية المعاصرة، هذا التقدم المادي، الذي أنتجه العقل المسلم، لم يفتتن به المسلمون، ولم يخرج بهم عن إنسانيتهم، فالعقل المسلم غير مستعبد للطاقة المادية (قطب،1991، ص102).

ويرى محمد قطب أن العلم عند المسلمين لم يكن مثاراً للفتنة، لأنهم صاحبوه عدة قرون على رزانة وروية، فلم يفاجئوا به كما فوجئت أوروبا في عصر النهضة، ولأن نبع في حياتهم من نبع الدين فلم يثر بينه وبين الدين ذلك الخصام الذي ثار بين الدين والعلم في أوربا، ولأن المعرفة كلها في حس المسلم نفحة ربانية يفتح بها على عبادة، فيكون جزاؤها في حسه مزيداً من التقرب إلى الله ﷻ، لا بعداً عنه وازورارا عن عبادته (قطب،1983،ص435).

التربية الإسلامية للعقل، تعطي العقل مكانه اللائق به، بلا إفراط ولا تفريط، فلا هي تغالي في تقدير قيمة العقل فتقحمه فيما ليس من شئونه، أو تجعله المرجع الأخير لكل شئ حتى الوحي الرباني، ولا هي تبخسه قدره فتمنعه من مزاولة نشاطه في ميادينه الطبيعية التي يصلح لها ويحسن العمل فيها، وتكل إلي العقل مهام خطيرة وواسعة، تكل إليه مهمة حراسة الوحي الذي تكفل الله ﷻ بحفظه من كل تأويل فاسد مضل، وحراسة أحكام الله ﷻ من الانحراف بها عن مقاصد الشريعة، وحراسة المجتمع من الآفات الاجتماعية والسياسية والفكرية والخلقية، التي تؤدي إلي تدميره، كما تكل إليه مهمة التقدم العلمي والبحث التجريبي وعمارة الأرض، ولا تسمح له أن يحيد عن الوحي الرباني والمنهج الرباني، ولا أن يجتهد من عنده ما لم يأذن به الله ﷻ(قطب، 1983، ص463).

هذه من الأمور التي يربى عليها العقل المسلم، يربى على تعلم السنن التي تسير بها الحياة البشرية على الأرض، وهو في ذلك متصل بالله، كما رُبي وهو يتدبر آيات الله في الكون ليعرف وحدانية الله، فهو مع الله ﷻ، كما رُبي وهو يتدبر سنن الله ﷻ في الكون ليستخلص طاقاته فهو يعيش مع الله ﷻ، حين رُبي على تدبر السنن التي تجري بها الحياة البشرية في الأرض.

ويمكن الاستفادة من ذلك التوجيه الرباني، في عدة جوانب، منها:

1- أن الحقيقة أو المعرفة العلمية التي مصدرها العقل، لا بد أن تتفق مع ما جاء به الوحي.

2- أن الوحي هو الذي يقدم على العقل، والوحي هو الذي يوجه العقل، ليفكر ويتأمل ويتدبر، ضمن ضوابط معينة يحددها الوحي مسبقاً.

ثالثاً- المجال الجسمي:

التربية الإسلامية اهتمت ببناء شخصية الإنسان بناءً شاملاً، فهي إلى جانب اهتمامها ورعايتها للجانبين الروحي والعقلي، تحرص أيضاً على تنمية الجانب الجسمي، وتهتم بسلامته، وتُعنى بتربيته ليظل سليماً صحيحاً قوياً قادراً على القيام بمهامه وواجباته في الحياة .

والجسم بشموله، يهتم الإسلام بتربيته، والربط بينه وبين الروح والعقل، فقوة الجسم قوة للروح والعقل، وقوة الروح والعقل يجب أن تكون قوة للجسم، وحين يطلب الإسلام الحفاظ على الأجسام فإنما يطلب حفظها عن الدنس، وعن كل ما من شأنه أن يُضعف القوى الجسمية ويؤدي إلى الفراغ الروحي والعقلي، وبالتالي شل طاقات الجسم الحيوية عن أداء مهمتها كما أراد لها الله ﷻ .

- **مفهوم التربية الجسمية:** حفظ وتنمية الجانب الجسمي، ليقوم بدوره الذي خُلق من أجله، والمتمثل في تحقيق العبودية لله ﷻ (الحازمي ، 2000، ص195) .

ويمكن للباحث تعريف التربية الجسمية، تعريفاً إجرائياً بأنها: إعداد الجسم كله إعداداً سليماً، حيث إنه بالإضافة إلى الاهتمام بالعضلات والحواس، يجب الاهتمام بالطاقة الحيوية المنبثقة من الجسم، والمتمثلة في مشاعر النفس، وطاقة الدوافع الفطرية، والنزعات والانفعالات .

- **أهداف التربية الجسمية:**

للتربية الجسمية في الإسلام مجموعة من الأهداف التي تعد جزءاً لا يتجزأ من الأهداف العامة للتربية الإسلامية، حيث تختلف في أهدافها عن التربيات الأخرى المخالفة للمنهج الإسلامي (الحازمي، 2000، ص195)، ويمكن تلخيص هذه الأهداف في النقاط التالية:

1- القدرة على أداء الواجبات الشرعية المكلف بها الإنسان، مثل العبادات والعمل وإعمار الكون.

2- القدرة على مقاومة الأمراض، لأن الجسم الضعيف أكثر عرضة للأمراض، لعدم قدرته على مقاومتها، والأمراض إما نفسية أو عضوية.

3- أن يكون أكثر نشاطاً للعمل، بحيث يكون الجسم نشيطاً قوياً، مصاحباً لهمة عالية تدفعه إلى العمل بما هو مكلف به، من العمل، والكسب الحلال، وتحمّل مسئولياته .

4- تحقيق الصحة النفسية، فنشاط الجسم وحيويته تنعكس على نفسية الإنسان، فيشعر بالراحة النفسية، ويُذهب الملل والكآبة، فيكون الإنسان أكثر قابلية ودافعية لأداء واجباته.
5- تحقيق الصحة والعافية البدنية، صحة البدن وسلامته تزيد من سعادة الإنسان، والمرض يجلب له الهم والألم، فالعناية بصحة الجسم علاج ووقاية وإنماء، وفق المنهج الإسلامي.

تربية الجسم في التصور الإسلامي:

للتربية الإسلامية طريقتها الخاصة في اهتمامها بالإنسان، وتتمثل هذه الطريقة في معالجة الكائن البشري كله معالجة شاملة، لا تترك منه شيئا، ولا تغفل عن شيء، جسمه وعقله وروحه، حياته المادية والمعنوية، وكل نشاطه في الأرض (قطب،1981، ص18) .

وحين نتحدث عن الجسم لا نقصد فقط العضلات والوشائج، لا نقصد قبضة الطين، فلا وجود لقبضة الطين قائمة بذاتها، فإذا كان هذا الجسد من لحم ودم وعظام، وأعضاء معروفة ومحسوسة إلا أنها لا تعمل وحدها بعيداً عن الكيان البشري والعقل والروح، وحين يختل الإنسان يمكن أن يكون جسداً بلا روح وعقل، أو العكس، فالحالة السوية للإنسان هي هذا الكيان المترابط الذي يجمع كل جزئياته ويسير ويعمل معاً بكله المترابط الشامل(قطب،1981، ص110).

إن الغرب قد أخذ جانباً واحداً من الإنسان ومن الحياة الإنسانية، وأهمل الآخر، ففي العصور الوسطى الأوربية ركّز على عالم الغيب، وعالم الآخرة، وعالم الروح، وأهمل الحياة الدنيا، وأهمل الجسد ودوافعه الفطرية، وحجرت الكنيسة على العقل، وكان ذلك كله سبباً في الظلمات التي توصف بها العصور الوسطى هناك، وفي الوقت الحاضر الذي يسمونه "عصر النهضة" ركّز الغرب على عالم الشهادة، والحياة الدنيا، ونشاط الجسد ولذائذه الحسية، وأهمل عالم الغيب وعالم الآخرة، وعالم الروح، فضلاً عن تأليه العقل، وجعله هو المتحكم في كل الأمور، ما يصلح له وما لا يصلح على السواء، وكان ذلك سببا في انحدار القيم والمبادئ، والتحلل الخُلقي الذي لا مثيل له في التاريخ، في كلا الحالتين كان الغرب يعيش في الظلمات، كان يعيش بمسخ مشوّه هو نصف إنسان، إما هذا النصف وإما النصف الآخر، ولم يجتمع له قط كيانه المتكامل الذي خلق الله ﷻ عليه الإنسان، مع عدم خلوها من بعض الجوانب الايجابية، فما من جاهلية في التاريخ كله كانت كلها شراً (قطب، 1998، ص47) .

مما سبق يتضح أن تربية الجسم يجب ألاّ تكون على حساب الروح أو العقل، كل ذلك يؤثر على بناء الجسم وقوته، وبالتالي يعود بالضعف على روحه وعقله، إنها ارتباطات وثيقة يصعب فصلها وتمييزها عن بعضها، فالروح والعقل، يجب أن يسيرا جنباً إلى جنب مع الجسم ومتطلباته.

التربية البدنية للجسم:

للإسلام عناية بالجسم، من حيث هو عضلات وأعصاب وعظام ولحم ودم، وفي حديث الرسول عليه الصلاة والسلام أنه قال: "**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ**" (مسلم، د.ت، ج4، ص2052)، هذا الحديث يشير إلى كل جوانب القوة بما فيها قوة الجسد.

وأبلغ دليل على عناية الإسلام بالجسم، أن العبادات الإسلامية تشرك الجسم في العبادة، والصلاة بصفة خاصة، ملحوظ فيها ذلك الارتباط، فالوضوء عملية جسمية – وإن كانت له معانٍ روحية – قصد بها تطهير البدن قبل الدخول في الصلاة، والصلاة ذاتها حركة جسم وهي في ذات الوقت يقظة فكر وطلاقة روح، ويظل الجسم مشاركاً للعقل والروح في أثناء الصلاة، يشارك بالحركة والخشوع، يشارك بالمحافظة على الطهارة، وإلا فسدت الصلاة ، والصيام عبادة نفسية جسمية في آن واحد، وكذلك العبادة بمعناها الواسع"عبادة العمل"،إنها مشاركة جسمية في التوجه إلى الله ﷻ(قطب، 1981، ج1، 107).

وهنا قد يلتقي الإسلام ظاهرياً مع نظم كثيرة في الأرض، تعنى بالجسد، وبتقوية عضلاته، ولكن الغاية تختلف، فقوة الجسد في الإسلام مطلوبة لتحقيق غاية الوجود الإنساني، ولتحقيق العبادة على نطاقها الواسع، وليكون المؤمن قوياً فيكون خيراً وأحب إلى الله ﷻ من المؤمن الضعيف، أما النظم الأخرى، فلها أهداف وغايات مختلفة عما في الإسلام، فمثلاً في بعض النظم المادية، تربية العضلات وكمال الأجسام هي للاستعراض، حيث يقف رجال يستعرضون جمال أجسادهم، مزهوين بها مفتونين، وهذا لا يمكن أن يكون في برنامج الإسلام، فالإسلام يقوي عضلات الرجل ويأمره بالتدرب على الجهد والحركة والرشاقة، ولكن لا يقوم بالاستعراض من أجل الاستعراض، ولا يُفتن بعضلاته، فإن التقى الإسلام مع هذه النظم في تقوية الجسد وفي الرياضات الخاصة، التي تقوي المقدرة الجسدية، فإنه يختلف عنها في الغاية والهدف .

ومن عناية الإسلام بالجسد أنه يدرب الرجل والمرأة كليهما التدريب المناسب لهما، بحيث إنه كلف الرجل بتكاليف الجهاد وحمل السلاح وخوض الحرب، والصبر على مشقاتها، فهو يكلفه من التدريبات الرياضية ما يعينه على هذا الأمر، وكلف الأنثى أن تكون ملكة بيتها، وأن تكون مربية الأجيال، وكلفها بأنواع التدريب الجسدي الذي يتناسب مع هذا الدور.

فالإسلام يحثّ على العناية بالجسد والتربية البدنية، كالنظافة والتغذية والرياضة والوقاية والعلاج من الأمراض، وذلك لإعداد جيلٍ قوي سليم من الضعف والمرض والخمول، والإسلام يريد أجساما قوية يمكن أن تؤدي واجبها في المجتمع الإسلامي، ولذلك كان المؤمن القوي خيراً وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، كما قال النبي ﷺ في الحديث السابق.

وظائف الجسم في التصور الإسلامي:

الغاية الأساسية لجسم الإنسان هي حفظ الحياة على الأرض ويتم ذلك من خلال مجموعة الوظائف الفطرية التي إن قام بها الإنسان شعر بالراحة والمتعة، وإن تركها وأهملها شعر بالألم والاضطراب.

إن للحياة أهدافا حيوية لابد من تحقيقها لتستمر الحياة على وجه الأرض، هذه الأهداف تتمثل في المحافظة على الفرد، والمحافظة على النوع، وقد وضع الله ﷻ في الفطرة ضمانة التنفيذ، في جسد الإنسان، الجسد الذي هو اللحم والدم، وهو النوازع الفطرية، وهو الشهوة الملحة التي لا تهدأ ولا تكف، والجسم هو المطالب بحفظ الحياة على الأرض، وتحقيق أهداف الحياة،

وقد وضع محمد قطب مجموعة من الوظائف الأساسية التي يجب أن يقوم بها الإنسان في الحياة، وهي أهداف وغايات الإنسان في الكون(قطب، 1989، ص70) وتتمثل فيما يلي:

1- **المحافظة على الذات:** هذا هو الهدف الأول، لكي يحافظ الفرد على نفسه لابد له من وسيلة، ووسيلته لحفظ الذات هي الطعام والشراب، والمسكن والكساء، فإحساس الجوع والعطش دافع عنيف لا يمكن السكوت عليه وذلك ليكون ضمان بألّا يتهاون الفرد في المحافظة على ذاته، ومن هنا فقد أباح الله الطعام وبين المنهج الذي يسير عليه المسلم في هذا، بحيث يستفيد المسلم منه الفائدة الكاملة وبحيث لا يزيد عن حاجته فينتج عنه الضرر، فالغذاء وسيلة لا غاية، وسيلة تنبه المسلمين إلى العناية بالأساليب التي تقي الجسم وتقويه وتهيئ المسلم لوظيفته في هذه الحياة .

2- **المحافظة بعد ذلك على النوع:** ولكي يحافظ الفرد على النوع لابد له من طاقة جنسية، ووسيلته النسل والإكثار، والدافع الجنسي عميق الجذور في النفس البشرية، وحكمته واضحة، فإذا كان الإحساس الجنسي ضعيفاً فلن يستمر النوع البشري على وجه الأرض، كما أن الإسلام يريد أيضا ذرية صالحة تؤدي وظيفتها في هذه الحياة، فنظم الجنس لتكون ممارسته في الحدود التي رسمها الإسلام حتى يضمن النظافة والاعتدال .

3- **القيام بواجب الإعمار:** لكي يقوم الإنسان بمهمته في الحياة على أحسن وجه، جعل الله فيه النزعة الدائمة إلى حب المعرفة، وعن طريق هذه النزعة ترتقي الحياة وتتقدم، وهي تحقق أهدافها الأصيلة في ذات الوقت، فالرقي هدف أصيل من أهداف الحياة، تنزع إليه نزوعاً ذاتياً .

وهناك حكمة في جعل نوازع الجسد من العنف والإلحاح بحيث يتعذر أو يستحيل عدم الاستجابة إليها، وبقدر ما يوجد ألم أو قلق في عدم الاستجابة لنوازع الجسد، يوجد لذة في الاستجابة لها، وبذلك وُضعت كل الضمانات التي تكفل استجابة الفرد لأهداف الحياة، دون أن يحس في الوقت ذاته بأنه مكلف بأداء فرض ثقيل (قطب، 1989، ص70) .

هذه هي الدوافع الفطرية التي أودعها الله فطرة الإنسان ليحافظ على نفسه، ويحافظ على نوعه، وجعل في بنيته الضمان لتحقيق أهدافها وتنفيذ مطالبها، والدوافع الفطرية .

ولكي يؤدي المسلم وظيفته في هذه الحياة لابد وأن تكون صحته سليمة، وعضلاته قوية وحواسه تؤدي وظيفتها على أكمل وجه، بحيث يؤدي كل عضو من أعضاء الجسم وظيفته، ويكون هناك تناسق بين ذلك كله، فوظيفة الحواس أن ينتفع الإنسان بها الانتفاع السليم الذي يميز بينه وبين غيره من الكائنات، ووظيفة العين أن ترى الحقائق التي أمامها، ووظيفة الأذن أن تسمع ما يعود عليها بالفائدة في الدنيا والآخرة، ولذلك نعى القرآن الكريم على الذين لهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (الأعراف، الآية: 179).

تربية الإسلام لطاقات ودوافع الجسم:

الجسم البشري هو مجموعة من الطاقات: طاقة عضلية، طاقة شهوانية، طاقة فيها رغبات، يتعب الإنسان في كبحها وتنظيمها، وحين خلق الله ﷻ الإنسان وكلفه بأمر الخلافة في الأرض، أعطاه أدوات تلك الخلافة وهي هذه الطاقات، الطاقة الروحية والطاقة العقلية والطاقة الجسدية النفسية، والحكمة الإلهية في خلق الإنسان بهذه الطاقات هي أن الله يعلم أن الإنسان محتاج لدوافع قوية جداً، ليقوم بدور الخلافة، فلو كانت دوافعه محدودة، أو ضعيفة لقعد عن أن يقوم بدور الخلافة .

والكلام عن الجسم يقتضي حتماً الكلام عن هذه الطاقات المنبثقة عنه، من غرائزه، وانفعالاته ومشاعره، وإشباع رغباته الفطرية (قطب،1981، ص100).

إن اهتمام التربية الإسلامية بالجانب الجسمي ليس مُنصباً على الجسم بمعناه العضوي المتمثل في الأجهزة الحيوية والعضلات ونحوها، وإنما يمتد ليصل إلى الطاقة المنبثقة منه، والتي تكسب معنى الحيوية، والمتمثلة في مشاعر النفس التي يخصها الإسلام بجهد فائق من التربية والتدريب .

وكما يعتني الإسلام بتربية الجسد والتنمية المادية للإنسان، يعتني كذلك بتربية الغرائز والميول الفطرية عند الإنسان، كغريزة الجنس والتملك والاجتماع وحب العلم، ويربيها تربية متزنة ملتزمة، تعطي الميل الغريزي والفطري حقه، وتحميه من الشذوذ والانحراف(قطب،1981، ص106).

وكما أن تربية الجسم تكون بالتربية البدنية كالنظافة والتغذية والرياضة والوقاية والعلاج، فإن دوافع هذا الجسم الفطرية، تحتاج أيضا إلى تربية، وتربية الإسلام لها تكون أولاً عن طريق ضبطها.

ضبط دوافع الجسم الفطرية:

الإنسان أفضل مخلوقات الله تعالى وقد كرمه الله ﷻ، وبين له كيف يرتقي بطاقاته كلها، ويوفرها لأداء وظيفته في هذه الحياة، ويعمل على حفظها من الهبوط والانطلاق في ملذات الحياة .

يركز محمد قطب حديثه على الجانب الأهم في تربية الجسد، بوصفه معيناً لشهوات النفس، حيث لايمكن التفريق بين الجسد وبين النفس، في حين يحاول علم النفس التجريبي ومذاهب

نفسية أخرى، أن تجرد الجسد في ذاته، بوصفه غُدداً تحمل الغرائز والمشاعر، هذه الغدد لها مراكز في المخ، إذا نزعت من الجسد زالت هذه المشاعر.

طريقة الإسلام الأساسية في معالجة النوازع الفطرية، أنه يعترف بها أولاً، ويعترف بحق الفرد في الإحساس بها وفي مزاولتها في الحدود المشروعة، وحدود الإسلام لا تكبت هذه المشاعر والشهوات، ولكن تنظمها وتضبطها فقط، وتحدد لها ميادين معينة يكون فيها مأمون العاقبة، هذه القيود التي يفرضها الإسلام على شهوات الفرد، هي قيود منظور فيها لمصلحة الفرد وليست مفروضة عليه لشهوة التحكم والاستعباد (قطب، 1989، ص82) .

والإسلام لا يدع الناس في صراعهم الشاق مع شهواتهم، بل يقدم لهم العون العملي والنفسي والروحي ليساعدهم على الوصول إلى الهدف المنشود .

فمن الناحية العملية الإسلام يشغلهم بالعمل والجهاد، والعمل ميدانه واسع، ويشمل تعمير الأرض من كل وجهة يمكن فيها التعمير، والجهاد ميدانه واسع، منه الجهاد الأصغر والجهاد الأكبر، وهو جهاد النفس، وهو أشق وأصعب.

إلى جانب هذه المشغلة العملية يضع الإسلام العبادات التي تعينهم على الخير وعلى تحقيق أهداف الإنسانية، العليا حين تطهر أرواحهم وتتصل قلوبهم بالله .

فالصلاة تطهر النفس من الفحشاء، ومعاونتها على التطهر بالتذكير الدائم بصلة الإنسان مع الله، والصوم تجنيد للنفس، وتمرين لها على الإرادة الضابطة، لضبط شهوته والتحكم بها، والزكاة ضبط لشهوة المال، وتطهير من الشح، والحج له أثره الساحر في تطهير النفس وتقريبها من المُثل العليا، بقربها المادي والمعنوي من البيت الحرام ومن الرسول ﷺ، فالعبادات كلها وسيلة لمعاونة الفرد في ضعفه ليرتفع إلى حيث ينبغي أن يكون (قطب، 1989، ص99).

وفرق كبير في هذا المجال بين نظرة المسيحية كما صورتها الكنيسة، وبين نظرة الإسلام، فقد كانت الكنيسة تبالغ في فرض القيود على النشاط الحيوي، وتنكر حق الفرد في مزاولة كثير من ألوان النشاط، بل في الإحساس بالرغبة في هذا النشاط، أي أنها لم تكتفي بوضع القيود في الجانب العملي بل تتعداه إلى مجال الشعور في داخل النفس، هذه التعاليم المتزمتة كثير منها ما يخالف الطبائع البشرية ويطالبها بما ليس في طاقتها(قطب، 1989، ص72).

أما الإسلام فقد كان أدرى بالطبيعة البشرية، لقوله تعالى: ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ (الملك، الآية:14)، وأحكم في معالجتها حين أباح للناس نشاطهم الحيوي المشروع، فأباح لهم شهوة الطعام وشهوة الجنس وشهوة الاستمتاع بطيبات الحياة، بل ودعاهم دعوة صريحة إلى هذا الاستمتاع، كما في قول الله تعالى: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ**

الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾(آل عمران،الآية:14)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (القصص،الآية:77)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ (الأعراف، الآية: 32).

فالإسلام يعترف بالنشاط الحيوي للإنسان، ويحق للفرد أن يزاول هذا النشاط في حدوده المعقولة التي لا تؤذي الفرد ولا المجتمع، بحيث يضبط الإنسان شهوته، ويهذبها وينظفها، ولا يكبتها ويحاربها، ولا يتركها تستعبده، فإن ذلك يستنفذ الطاقة ولا يترك رصيداً للقوة، التي يؤدي بها المسلم وظيفته في هذه الحياة، وفي ظل هذه الفكرة وذلك المنهج، لا يوجد مجال للكبت، ولا أصل لمحاربة الطاقات .

مما سبق يمكن أن يستنتج الباحث مجموعة من النتائج التي تبين مدى اهتمام محمد قطب بقضية بناء وإعداد الشخصية المسلمة، وذلك من خلال النقاط التالية:

1- يتبين أن منهج الغرب في تناوله لتربية الإنسان، لا يتفق مع المنهج الإسلامي، لأنه نتاج ظروف مختلفة، وليس عِلماً موضوعياً كما يزعم الغرب.

2- إذا انطلقت التربية من النظرة الشاملة للإنسان، وفق منهج الله ﷻ، ولم تفصل بين روحه وعقله وجسمه، تستطيع تربية الإنسان المسلم الذي يعمل على تحقيق خلافة الله في الأرض، وتتقدم الأمة الإسلامية وتستعيد أمجادها، وتستطيع تحقيق ما هو خير للإنسانية كلها، وهكذا يتم تحقيق المفهوم الشامل لكلمة التوحيد "لا إله إلا الله" والعمل بمقتضياتها.

3- كما يتضح أن بناء الشخصية الإسلامية يجب أن يكون وفق سنة النبي ﷺ، ويتمثل في الصحابة الكرام وفي الأئمة والسلف الصالح، ويتوجب بيان المنهج الذي اتبعه النبي ﷺ في بناء شخصيات الصحابة وتوظيف هذا المنهج في تطوير القدرة على بناء الشخصية المسلمة المعاصرة.

الفصل السادس

الكفايات الأساسية للمربي من وجهة نظر محمد قطب

تمهيد

أولاً: المربي أعلى مرتبة من المتلقي

ثانياً: أن يكون عنده ما يعطيه

ثالثاً: أن يحسن طريقة العطاء

رابعاً: الاهتمام بمن يربيهم

خامساً: المتابعة و التوجيه المستمر

سادساً: القدرة على القيادة

تمهيد:

إن مهنة التربية والتعليم مهنة عالية المكانة، ووظيفة المربي من أشرف الوظائف وأعلاها منزلة، وتقع على عاتقه مسئولية كبيرة في التربية والتوجيه، وذلك لغرس مبادئ الإسلام وتنمية القيم وتعديل السلوك نحو الأفضل، والمربي هو صاحب رسالة جليلة وعظيمة، لأن مهمته هي مهمة الأنبياء، فهو يربي على قيم وتعاليم الإسلام، ويدعو إلى مكارم الأخلاق، ويسعى لتكوين جيل مسلم يفهم الإسلام فهماً صحيحاً، ويؤمن به إيماناً عميقاً، ويعمل به في نفسه وأهله ومجتمعه، والمربي هو حجر الزاوية في العملية التربوية، ونقطة البدء في نجاح العملية التربوية يتوقف عليه إلى حد كبير، وهو بمثابة الوالد والشيخ والمعلم والقائد والأخ.

ولكي يقوم المربي بدوره بكل كفاءة واقتدار، لابد أن يتمتع بقدرٍ كافٍ من القدرات والكفايات التي تمثل أهمية قصوى لفاعلية التربية، ورفع كفاءة المربي، لأداء دوره المنوط به على الوجه الأكمل، وتعتبر الكفايات التربوية من الأمور المهمة، التي يجب أن يمتلكها المربي، ويتصف بها ويطبقها بكل فاعلية وإتقان، ويكتسبها وينميها، ويمكن تعريف الكفايات كما يلي:

تعريف الكفايات:-

الكفاية في اللغة: من كفى كفايةً، إذا قام بالأمر، يقال: استكفيتُه أمرٌ فكفانيه، وكفى كفايةً فهو كافٍ (ابن منظور، 1994، ص32)، والجمع: كفايات .

الكفاية في الاصطلاح: من خلال الاطلاع على الدراسات التي اهتمت بموضوع "الكفايات"، لاحظ الباحث تعدد آراء المفكرين والباحثين التربويين للكفايات، ولعل حداثة هذا المفهوم نسبياً، هي سبب تعدد الآراء حول مفهوم الكفايات .

الكفايات التربوية تعرف بأنها: "امتلاك المعلم المعرفة العامة والمهارات اللازمة للتدريس، ومدى انتقائه لها" (الهرمة، 1996، ص71).

وتعرف كفايات المعلم بأنها: "المعارف والمهارات المهنية التي يجب أن يملكها المعلم، ويستطيع ممارستها، من أجل أن يؤدي واجباته التعليمية أداءً متقناً، أو هي ما يلزم أن يعرفه المعلم ويقدر عليه ليؤدي واجباته التعليمية بكفاءة" (وزارة التربية والتعليم، 1427هـ، ص101).

يعرّفها(الحارثي، 1993م، ص15) بأنها: "مجموعة من المعارف والمهارات والقدرات والاتجاهات التي ينبغي أن يمتلكها المعلم، ويكون قادراً على تطبيقها بفاعلية وإتقانها أثناء التدريس ويتم اكتسابها من خلال برامج الإعداد قبل الخدمة، والتدريب والتوجيه أثناء الخدمة ".

وقد عرّفت(العنزي، 1428هـ، ص16)الكفايات التعليمية بأنها: "أهداف سلوكية إجرائية محددة تحديداً دقيقاً، يؤديها المعلم بدرجة عالية من الإتقان والمهارة، ناتجة عن معارف وخبرات سابقة لأداء جوانب أدواره المختلفة ".

في ضوء التعريفات السابقة، يمكن للباحث تعريف الكفايات التربوية بأنها: " مجموعة من المعارف والمهارات والقيم، التي ينبغي أن يمتلكها المربي، ويكون قادراً على تطبيقها بكفاءة ومهارة عالية".

وبالعودة إلى كتابات الأستاذ محمد قطب، وجد الباحث أن مصطلح "الكفايات" لم يرد باللفظ، ولكن ورد بمعناه الاصطلاحي، حيث أن له آراءً كثيرةً حول إعداد المربي، وخصائصه، ومدى كفاءته للقيام بالتربية، والمهام المنوطة به، وغير ذلك من المعاني التي تنطبق في مضمونها مع المعنى الاصطلاحي لمفهوم "الكفايات".

وبما أن الحديث في هذا الفصل عن "كفايات المربي"، فيجب أن يتم تحديد ماهية المربي، لكي يتم معرفة الكفايات اللازمة له، يقول محمد قطب في حديثه عن المربين: "والمربون هم كل من تقع عليهم مهمة التربية، ابتداءً من الآباء في البيت، إلى المعلمين في المدرسة، إلى أساتذة الجامعات، إلى مفكري الأمة وعلمائها، هؤلاء كلهم مسئولون عن عملية التربية، كلٌ في محيطه، وكل بقدر ما أعطاه الله ﷻ من العلم والحكمة"(قطب، محاضرة: دور المربي في إعداد الأمة).

من هذا التعريف، ومن خلال الاطلاع على بعض المراجع التربوية، وجد الباحث أن كل فرد في المجتمع يقع عليه جانب من المسئولية التربوية، وليست مهمة التربية مقتصرة على المعلم في المدرسة – كما يعتقد الكثير– يقول محمد قطب: "إن تربية طفل واحد في الإسلام، كتربية ألف طفل، كتربية جميع الأطفال، تحتاج إلى البيت المسلم، والشارع المسلم، والمدرسة المسلمة، والمجتمع المسلم، هذه كلها مجتمعة، ذات أثر بعيد في تنشئة الأطفال، وهي التي تطبعهم بطابعها، فتنشئهم على استقامة، أو تنشئهم على انحراف"(قطب، 1992، ص89).

مما سبق يتضح أن ركائز التربية الأساسية هي البيت والمسجد والشارع والمدرسة والمجتمع، وهي بمجموعها تعطي الحصيلة النهائية للعملية التربوية السليمة، إذا ما كان بينها تنسيق وتكامل، ومنها ما يحتاج إلى مربين ذوي كفاءة عالية.

وللمربي الناجح خصائص وكفايات عديدة وسمات متنوعة، من هذه الخصائص ما هو مكتسب، ومنها ما هو فطري، يمكن صقله واستثماره، وذلك لإحداث التفاعل والانسجام بينه وبين المتربين، وبدون التفاعل يفقد المربي صفته التربوية الإنسانية، ويتحول إلى موظف رسمي، لا فرق بينه وبين من يجلس على طاولته للتعامل مع الأوراق، ولا فرق بينه وبين المهندس الذي يتعامل – في موضوعاته– مع المباني والطرق والآليات(النغيمشي، 1424، ص253).

والمربي الذي يمتلك قدراً كبيراً من الكفايات التربوية، يكون تأثيره فاعلاً على طلبته، من هنا تبرز أهمية تحديد "الكفايات" التي يحتاج إليها المربي ليبني علاقة تفاعلية ومثمرة .

ومن خلال البحث والتحليل في كتابات محمد قطب، تمكن الباحث من الوقوف على مجموعة من الكفايات والسمات الأساسية، التي يجب أن يتصف بها المربي المسلم، والتي تمثلت في شخص النبي ﷺ، وأهم هذه الكفايات ما يلي:

أولاً:- أن تكون شخصية المربي أعلى من شخصية المتلقي:

يجب أن يكون المربي أعلى مكانة ممن يربيهم، وليس بالضرورة أكبر سناً – وإن كان عامل السن له أهميته – لكن أن يكون أعلى في قدراته وخبراته وإمكاناته .

لذلك يرى(قطب، 1992، ص43)" أنه ينبغي أولاً أن يحس الشخص الذي يتلقى التربية، أن مربيه أعلى منه، وأنه في موقف الآخذ المتلقي، لا في موقف الند ولا في موقف أعلى من موقف المربي. وعن تفسيره لهذه الحالة الشعورية يقول قطب: "وتلك حقيقة نفسية تعمل عملها في النفوس، فأنت لكي تتلقى، لابد أن تقتنع أنك في موقف المتلقي، وإلا فلو أحسست أنك في الموقف الأعلى فما الذي يدفعك أن تتلقى من شخص بعينه من الناس"(قطب، 1992، ص44).

وعلو شخصية المربي يتضمن عناصر متعددة، روحية وعقلية وجسدية وأخلاقية ونفسية، وهي في مجموعها مكونات شخصية الإنسان، وقد يكون المربي متفوقاً على المتربي في هذه العناصر كلها مجتمعة، أو في بعضها، وذلك حسب الموقف التعليمي، وفئة المتلقين.

ولهذا يتفاوت الناس في مدى قدرتهم على التربية، فكثير من الآباء، ونظراً لفارق السن والخبرة، يجيدون تربية أبنائهم في الصغر، لأنهم أعلى مكانة، لكن كلما تقدم السن ازداد الأمر صعوبة، ويقل الذين يستجيب لهم أبناؤهم، أما تربية الكبار، فهي تحتاج إلى قيادة، وإلى زعامة، يحس الكبار أمامها أنهم أصغر من قائدهم، وأنهم في موقف التلقي من المربي .

ومن المربين من تكون طاقته في أن يربي أبناءه الصغار، ومنهم من يجيد تربية مجموعة محددة من الناس، ومنهم من تكون أكثر من ذلك، ومنهم من يربي مجتمعاً بأسره، أمّا الأمة كلها على امتداد الزمان والمكان فقد اختار الله ﷻ لها المربي الأول محمد ﷺ .

ولهذا كان النبي ﷺ يملك أعلى صفات البشرية، في كل جانب من الجوانب، فهو من خير الناس نسباً ومنزلة، وهو أوسعهم خُلُقاً، يقول تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(القلم، الآية:4)، وقوله: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾(آل عمران،الآية: 159)، وكان أحلم الناس، وأكرم الناس، وأشجع الناس، ولم تعرف البشرية من قديم الزمان إلى مبعث النبيﷺ وبعده قائداً مثله، في القدرة على بناء الأمم ورعايتها، وفي حكم الشعوب وسياستها، وفي تغيير الأوضاع السيئة وإصلاحها، وكل من عرف النبي ﷺ ووقف على فصول سيرته العطرة، أدرك ما كان يتمتع به النبي ﷺ من تلك المقومات.

ولقد حدد القرآن الكريم مهمة الرسول ﷺ وذكر هذه المهمة الأساسية، صريحة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾(آل عمران،الآية: 164) فقد أحصت هذه الآية من مهمات الرسول ﷺ،

التعليم والتربية، تعليم الكتاب والحكمة، وتربية الأنفس عليهما، وكان الجانب الأعظم من حياة رسول الله ﷺ مستغرقاً بهذا الجانب، إذ أنه هو الجانب الذي يصدر عنه كل خير.

كما أن أفعال النبي ﷺ وأقواله تعتبر مستنداً ومرجعاً لاستنباط صفات المعلم، وطرق التدريس المختلفة، وذلك لأن لنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾(الأحزاب، الآية:21)، ولأنه المعلم الأول الذي علّم وربّى صحابته فكانوا خير طلاب لخير معلّم (الشلهوب، 1417، ص7).

فالمربي هو العنصر الفعّال في عملية التعليم، وبقدر ما يحمل في عقله من علم وفكر، وما يحمل في قلبه من إيمان برسالته ومحبة لتلاميذه، وما أوتي من موهبة وخبرة في حسن طريقة التعلم، تكون مكانته بارزة بين طلابه، بل في المجتمع كله، ومن ثم يكون نجاحه وأثره في أبنائه وطلابه.

ثانياً:- الجمع بين الجانب المعرفي والخبرة العملية:

على المربي أو المعلم المسلم أن يكون على سعة من العلم، وأن يكون على نصيب وافر من المعرفة، وعمق في الفهم حتى يكسب احترام طلابه وثقتهم به، والمربي ذو الثقافة العالية يستطيع أن يجذب الطلاب إليه، ويجعلهم يحبونه، لاعتقادهم بأنه يمتلك قدرات عالية يمكن أن يستفيدوا منها، وفي ذلك يقول الإمام الغزالي: "على المربي ألّا يدع فناً من العلوم المحمودة، ولا نوعاً من أنواعه، إلا وينظر فيه نظراً يطّلع به على مقصده وغايته، ثم إن ساعده العمر ظل يتبحر فيه، وإلا اشتغل بالأهم منه واستوفاه وتطرف من البقية" (الغزالي، 1982، ج1، ص51) .

ويقول(قطب،1992، ص44): "وينبغي أن يحس المتلقي أن مربيه عنده ما يعطيه، ولذلك ينبغي أن تكون عند المربي حصيلة يعطيها الآخرين، في صورة تجربة واقعية" .

وبالنظر في رأي محمد قطب فإنه يركز على أمرين غاية في الأهمية:

1- أن يمتلك المربي حصيلة علمية وثقافية وفكرية، هذه الحصيلة تمكّنه من القدرة على الإجابة على التساؤلات التي يطرحها المتربون والمتلقون، والقدرة العقلية والخبرة العملية التي تعينه على مساعدة من يربيهم على تجاوز مشكلاتهم، فيجيد التعامل معها، ويجيد تقديم الرأي المناسب لحلها، ولكي تكون لدى المربي هذه الحصيلة، يتوجب عليه أن يقرأ بتوسعٍ وتعمقٍ، ويُقبل على الدراسة والبحث بشغف، ليتمكن من الإلمام بالمعرفة اللازمة، وتقديمها بأحسن صورة لطلابه، كما أنه يحاول أن يأتيهم بالجديد دائما، ولا يكون له ذلك إلا إذا كان دائم البحث والإطلاع وطلب العلم، والسهر عليه، ومواكبة الثورة التكنولوجية الهائلة، في عالم المعرفة .

2- هذه الحصيلة العلمية، ينبغي على المربي أن يعطيها في صورة تجربة واقعية، وهذا هو الأهم من وجهة نظر قطب، قد نجد شخصية فائقة التكوين، متفوق عقلياً أو روحياً أو نفسياً أو عصبياً

أو أخلاقياً، ولكنه – لسبب ما– لا يستطيع أن يعطي التجربة الواقعية، لأنه عَزوف عن الناس، لأنه صاحب تجربة فكرية فقط، بغير رصيد من التجربة الواقعية، لأنه رجل "مثالي" حالم يحلم بالمثل، ولا يمارس التطبيق الواقعي أو لا يحسنه، إلى غير ذلك من الأسباب التي تشكّل عيباً في الشخصية، ولكنها لا تمنعها من أن تكون كبيرة، أكبر من شخصية المتلقي، ومع ذلك تعجز عن القيام بدور التربية والتوجيه (قطب، 1992، ص45).

كذلك يجب أن يكون المربي المسلم فاهماً لمشكلات الحياة المعاصرة، وعلاج الإسلام لها، واعياً بالمؤثرات والاتجاهات العالمية، وما تتركه من أثر على معتقداتهم وتفكيرهم وسلوكهم.

يشير (النحلاوي،1979،ص158) إلى أهمية وعي المربي، يقول: "والمعلم لا يكفيه أن يعرف الخير فيدعو إليه، بل لابد له أن يطّلع على ما يبيّته دعاة الشر والكفر من الكيد للأمة الإسلامية ".

فإذا أراد المربي أن يمتلك قلوب المتلقين، لابد أن يملك عقولهم بما يقدمه لهم من علم ومعرفة، وعلى المربي أن لا يحصر نفسه في تخصصه فقط، بل لابد من الإطلاع على العلوم الأخرى، والمربي الناجح هو الذي يستطيع أن يأخذ من كل علم جانباً ولو قليلاً، لأنه كلما ازدادت ثقافة المربي وسعة اطلاعه، كلما كان أقدر على التعامل مع طلابه، وتقديم المادة العلمية.

ثالثاً:– حسن الطريقة في تربيته :

كثيرٌ من المربين يملكون الخبرة والعلم والمعرفة، ويجيدون الحديث، ويجيدون التنظير والنقاش، لكن ذلك وحده لا يؤهلهم لأن يتولوا التربية فقد لا يستطيعون العطاء، وكثيراً ما يُعجب المرء بشخصيات من أمثال هؤلاء، ويظن أنهم أفضل الطاقات المؤهلة للتربية، دون النظر إلى الجوانب الأخرى.

فالمربي بالإضافة إلى الحصيلة العلمية والمعرفية التي يمتلكها ويعطيها – وهذا ليس كافياً للتربية– بل يجب على المربي أن يجيد ويحسن طريقة عرض هذه المعارف وإعطائها، فالتربية ليست مجرد معلومات أو توجيهات تقال للناس، وليست مجرد أوامر أو نواهي، بل هي عطاء واسع يشمل جوانب متعددة في شخصية الإنسان، ويتعامل معها في أحوالها المختلفة والمتفاوتة، ومن ثم فالذي يتولى هذه المهمة لابد أن يملك القدرة على التعامل مع هذا الواقع .

ويؤكد(قطب،1992، ص45) على أهمية تحسين طريقة الإلقاء يقول: "ينبغي أن يكون التقديم في صورة تُرغّب المتلقي في أن يتلقى، لا في صورة تنفره" .

فينبغي على المربي أن يعطي ما عنده من علوم بطريقة حسنة، وإلّا ضاع الأثر المطلوب، أو ينقلب إلى الضد حين يعطي المربي ما عنده بطريقة منفرة،

ومن هنا يتضح أنه من الإحسان في التربية أن تتضمن جانب الحب المتبادل بين المربي والمتربي، ومن الضروري أن تُبنى علاقات بين المعلم والمتعلم تسودها الثقة والمحبة المتبادلة، لأن العلاقة القائمة على الثقة لها أهمية بالغة بالنسبة لعمل المربي، إذ أن منشأ هذه العلاقة الاحترام المتبادل،

وهذا يعني أن المربي يحترم الطلاب كأفراد لهم استقلالهم واعتبارهم وشخصيتهم .

وحول هذا المعني يتحدث الأستاذ محمد قطب عن أهمية "الإحسان" في التربية بشكل يحبب المتربي ولا ينفره، يقول(قطب،1992،ص45): "وقد يشعر المربي أنه يكفيه إثبات حبه لمن يربيه، ووجود الحب أمر ضروري للتلقي، لكن الحب وحده لا يكفي، فقد تحب طفلك وتحب له الخير، ولكن طريقتك في تقديم الخير إليه تشككه في حبك له، وتوهمه أنك تكرهه وأن توجيهاتك له صادرة عن البغض لا عن الحب، لأنك تقدمها له في صورة فظة، لا رفق فيها ولا لين، من أجل ذلك يمن الله ﷻ على رسوله ﷺ بهذه الموهبة النبيلة في شخصه الكريم في قوله تعالى: **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾** (آل عمران،الآية: 159).

في هذه الآية توجيه رباني من الله ﷻ موجَّه إلى النبي ﷺ، يبين له أن لينه ورحمته كانت سبباً في التفاف الصحابة من حوله وحبهم له، وأنه لو كان فظاً وغليظ القلب لانفضوا من حوله .

والرسول ﷺ هو القدوة في التعامل، وليس أدل على رفق النبيﷺ في أسلوبه التربوي من قصة الأعرابي الذي بال في المسجد، عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: "**قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ**" (البخاري، 1422،ج1، ص54) حيث نهى النبي ﷺ صحابته أن يقطعوا عليه بوله، ثم أمر رجلاً من أصحابه أن يزيل أثر النجاسة بالماء، ثم دعا الأعرابي وأخبره بخطئه، ثم علّمه ﷺ برفق ولين.

لذلك ينبغي على المربي أن يكون عطوفاً ليناً محباً حليماً، لأن التلاميذ يحبون المعلم الحنون العطوف اللّين الجانب، وتزداد محبتهم له عندما يعلمون أن حلمه وعطفه نابع من محبته لهم، فهو حازم وحكيم في معالجة المواقف، معالجة مناسبة متزنة بقوة وحزم، بعيداً عن العصبية والانفعال وبعيداً عن التهاون أو القسوة والشدة والبطش، متمثلاً قول الرسول ﷺ في الحديث: " **لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**" (البخاري، 1422، ج8، ص28).

مما سبق يتضح أن كون المربي قادراً على الإعطاء لا يكفي، بل لابد من أن يكون حَسَن العطاء، والمربي الذي يملك حُسن الإعطاء هو الذي يجيد استخدام الأسلوب الأمثل، وأن يحقق لكل مقام مقاله المناسب، والمعلم المتحمس لمهنته ومادته يعتبر نموذجاً سلوكياً جيداً لتلاميذه، ويدعوهم إلى حبه وتقليده لا شعورياً في هذه الصفات .

رابعاً:- المقدرة على الاهتمام بمن يربيهم:

ينبغي أن يكون عند المربي المقدرة على الاهتمام بالآخرين، والاهتمام بأن يعطيهم ما عنده من الخير، والاهتمام بالآخرين عنصر ضروري في عملية التربية، من جانب المربي وجانب المتلقي،

أما المربي فإن فَقَدَ الاهتمام بالآخرين فلن يتجه أصلاً إلى التربية، فضلاً عن كونه لا يصلح لها، وأما المتلقي فلا يمكن أن ينشرح صدره للتلقي من شخص يحس في أعماقه أنه لا يهتم به، فالاهتمام والرعاية عنصر ضروري من عناصر التربية، لابد أن يتوفر في المربي لكي ينجح في مهمته الخطيرة (قطب، 1992، ص46).

يقول(قطب، محاضرة: دور المربي في تربية الأمة): "وعملية التربية تحتاج إلى موعظة وتحتاج إلى قدوة، والمربي الذي يربي مجموعة من الناس يحتاج إلى معايشتهم ومصاحبتهم وحبهم، فالتربية ليست وظيفة يقوم بها المربي، إنما هي رسالة تملأ قلبه، يحس بها ولو لم يكلّفه أحد، يحس أنه تكليف رباني له، أن يربي شباب هذه الأمة، فهو قدوة وهو واعظ، وهو في ذات الوقت موجِّه ومربي من خلال المصاحبة ومن خلال الحب، ولا تربية بغير حب صادق، لقد كان رسول الله ﷺ فريداً في البشرية كلها، فقد كان يعطي من نفسه لصحابته، بالقدر الذي يظن كل واحد منهم أنه هو الأثير عند رسول الله ﷺ، إنه منهج لهم ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة، نحاول عند قيامنا بالتربية، أن نوزع حبنا واهتماماتنا، على كل الذين نربيهم بالسوية، حتى تنشأ نفوسهم سوية" .

إن المربي الجيد هو الذي يعرف بأن عملية التربية هي اتصال بين شخصين، أحدهما شخصية المتعلم بكل أفكاره وعواطفه واتجاهاته، والآخر هو المعلم بكل أفكاره وانفعالاته واتجاهاته أيضاً.
هذا الاتصال يجب أن تسوده العلاقات الإنسانية بين المعلم والمتعلم،فعلى المعلم أن يقدّر المشاعر الإنسانية لدى المتعلمين، ويشاركهم فيها، فالمتعلم قد يحزن على موت صديق أو قريب، أو مصيبة أصابت أهله ووطنه، ويفرح في المناسبات التي فيها أفراح، فعلى المعلم أن يحترم هذه المشاعر ويحاول المشاركة فيها قدر المستطاع(ربيع والدليمي، 2009، ص88) .

مما سبق يتضح أن اهتمام المربي ينبني على إقامة علاقات إنسانية بينه وبين المتعلم، ولذلك على المربي أو المعلم أن يتصف بخصائص، تُكوّن وتُنمي هذه العلاقات الإنسانية، وهي كما يلي:
1- أن يتفهم مهامه تجاه مجتمعه وأمته، عن طريق المواقف التعليمية، وما ينشأ عن علاقات متبادلة بين المعلم والمتعلم، وهى علاقات يجب أن تتميز بالحوار والتفاعل وتبادل الخبرة .
2- فهم ظروف المتربين المختلفة اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً، انطلاقاً من فهمه لأحوال المجتمع الذي يعيشون فيه، والتي تمثل الخلفية الدافعة لكثير من أقوالهم وتصرفاتهم.
3- تعليم طلابه كيفية إقامة علاقات إيجابية مع الآخرين .
4- يشارك تلاميذه في الرحلات العامة والاحتفالات، والمناسبات، بمرح ولهو بريء، في حدود المألوف، ودون تجاوز الخطوط الحمراء التي يجب أن تفصل بين المعلم وطلابه في التعامل.
5- المعلم الإنسان، هو المعلم القادر على التواصل مع الآخرين، والمتعاطف والودود والصادق والمتحمس والمرِح والمنفتح والمبادر والقابل للنقد والمتقبل للآخرين .

فالتلاميذ يقدّرون في المعلم: المهارة في التدريس والوضوح، والاهتمام بالعمل، والتحكم الجيد في الفصل، والعدل والحياء، والصبر والمرح، والفهم القائم على التعاطف والاهتمام بالتلاميذ، ورغبته في معاونتهم والعطف عليهم والاهتمام بمشاعرهم، الاهتمام بالتعرف على مشكلاتهم، ومساعدتهم على حلها، وهذه الصفات المختارة، والتي هي من مؤهلات المربي، والأب والمدرس والداعية والعالم، لممارسة عملية التربية كل في حدود واجباته وإمكاناته.

ومن يتأمل في سيرة النبي ﷺ يجد الشواهد العديدة من اهتمامه ﷺ وعنايته بأصحابه، وإنزالهم المنزلة اللائقة، ومن ذلك تكليفه ﷺ بعض أصحابه بل والشباب منهم بمهام لا يقوم بها إلا الكبار، ومن ذلك تكليف زيد بن ثابت رضي الله عنه بكتابة الوحي وهو غلام، ومنها تأمير أسامة بن زيد رضي الله عنه وهو دون العشرين من عمره على جيش يغزو الروم، وفيه كبار أصحابه، ومنها توليته عتاب بن أسيد رضي الله عنه أميراً على مكة، وكان عمره حينها نيفاً وعشرين سنة (الدويش، 1420، ص34).

فكما كان الرسول ﷺ هو المعلم الأول، بعد الله ﷻ، وكان هو المربى الأكمل، فمهمة المعلم كذلك أن يكون هو القدوة لتلاميذه، فيما يربيهم عليه من مكارم الأخلاق، وأن يهتم بتربيتهم عليها، ولا يكتفي بتلقينهم المعلومات وتدريبهم على الخبرات، فأياً كانت قيمة تلك المعلومات والخبرات فهي وحدها لا تصنع (إنساناً) ولا تحرك البشرية إلى عمل واحد من أعمال الخير، إنما الذي يحركها إلى عمل الخير هو إيمانها بالقيم العليا والمبادئ الإنسانية(قطب، د.ت، ص225).

من أجل ذلك كانت المهمة الأولى للتعليم، قبل إعطاء المعلومات وتكوين الخبرات، هي تكوين القلب الذي سيستخدم المعلومات والخبرات، لكي يستخدمها للخير، ولنفع البشرية، وتكوين القلب إنما يكون بتأديبه بأدب النبوة، فذلك هو السبيل إلى الارتفاع به حتى يصبح (في أحسن تقويم).
ولذلك على المربي أن يهتم بمن يربيهم، من خلال الدرس، وخارجه، وأن يحيط المربي بتفاصيل من حياة ونفسية المتربي، لكي يبني علاقات تتميز بالحوار، والتفاعل وتبادل الخبرة وتنمية القدرات، وممارسة قوى التعبير والتفكير وإطلاق قوى الإبداع، وتهذيب الأخلاق وتطوير الشخصية .

خامساً:- المقدرة على المتابعة و التوجيه المستمر:

إضافة لما سبق ذكره من كفايات المربي، يذكر الأستاذ محمد قطب كفاءة هامة، يجب أن يدركها المربي ويتقنها، وهي متابعة وتوجيه أبنائه وطلابه باستمرار، يقول(قطب،1992،ص47): "فالتربية عملية مستمرة لا يكفي فيها توجيه عابر، مهما كان مخلصاً، ومهما كان صواباً في ذاته، إنما يحتاج الأمر إلى المتابعة والتوجيه المستمر، والشخص الذي لا يجد في نفسه الطاقة على المتابعة والتوجيه المستمر، شخص لا يصلح للتربية، ولو كان فيه كل جميل من الخصال" .
ويرى محمد قطب: "أنه ليس معنى التوجيه المستمر هو المحاسبة على كل هفوة، فذلك ينفّر ولا يربي، فالمربي الحكيم يتغاضى أحياناً أو كثيراً عن الهفوة، وهو كاره لها، لأنه يدرك أن استمرار

التنبيه إليها قد يُحدث ردّ فعل مضاد في نفس المتلقي، ولكن إهمال التنبيه ضار كالإلحاح فيه، وحكمة المربي وخبرته هي التي تدله على الوقت الذي يحسن فيه التغاضي، والوقت الذي يحسن فيه التوجيه، ولكن ينبغي التنبه دائماً من جانب المربي إلى سلوك من يربيه، سواء قرر تنبيهه في هذه المرة أو التغاضي عما يفعل، فالتغاضي شيء، والغفلة عن التنبيه شيء آخر، أولهما قد يكون مطلوباً بين الحين والحين، أما الثاني فعيب في التربية خطير" (قطب، 1992، ص47).

وينبغي على المعلم أن يبني برامجه التعليمية مع طلبته على أساس توجيههم وإرشادهم نحو التعلم وزيادة معرفتهم، والهدف من التوجيه والإرشاد التربوي ليس حل المشكلات فقط، بل الكشف عن الحالات الإبداعية وتوجيهها وتنسيقها بالاتجاه الملائم لها، ويحتاج المربي للتوجيه المستمر، ليتزود بالمعلومات التي تساعده في تقويم العملية التربوية، ورسم خططه المستقبلية.

وتقويم العملية التربوية يكون في الجوانب التالية:(الدويش، 1420، ص9).

أ- يُقوِّم الأفراد ويحدد قدراتهم، ليعطي كل شخص ما يناسبه .

ب- يُقوِّم الأفراد بعد تلقيهم للتربية، ليقيس مدى ما تلقوه وأثره عليهم.

ج- يُقوِّم الأعمال والبرامج والحلول .

د- ويُقوِّم المشكلات ليضعها في إطارها وموقعها الصحيح، دون مبالغة أو تهوين من شأنها.

والتقويم الذي يحتاجه المربي هنا هو التقويم العلمي الموضوعي، الذي ينطلق من أسس محددة موضوعية، لا الانطباع الشخصي تجاه عمل أو فرد ما، ومن ثم يحتاج المربي إلى أن يتعرف على العوامل والعناصر الموضوعية التي يُقوِّم من خلالها، ويعطي كل عامل نسبته ووزنه المناسب، ثم يحتاج إلى أن يملك القدرة على التحقق من وجود هذه المعايير ودرجة ذلك، والخبرة والتجربة، بالإضافة إلى المناقشات الجماعية، مع الاطلاع والممارسة، كل ذلك مما يسهم في زيادة قدرة المربي على التقويم والتوجيه المستمر.

إن المتتبع لسيرة النبي ﷺ يجد أنه دائم المتابعة والتفقد لأصحابه، من النواحي الإيمانية، والاجتماعية والنفسية والاقتصادية، والرسول ﷺ كان يدرب أصحابه، ويزودهم بالخبرات والتوجيهات اللازمة والمعلومات، ويصحح أخطاءهم، كل ذلك بطريقة علمية توجيهية، وبمواقف عملية تطبيقية، حتى تخرَّج من مدرسته علماء ذوو خبرة تربوية نادرة، أتقنوا التفاعل والاتصال، ونجحوا في كسب الأفراد والجماعات، وإدخالهم في الإسلام وتعليمهم إياه، فأحبهم الناس، فأقبلوا عليهم،

والشواهد على ذلك كثيرة، فهذا معاذ بن جبل ﷺ، فقد وجهه الرسول ﷺ توجيهات عديدة، وأوصاه بوصايا جليلة، حتى تضلّع بالعلم والحكمة وبعثه للدعوة والتعليم، وصار يعلّم الناس ويرعى شئونهم، ومن أمثلة ذلك ما روي عن معاذ بن جبل ﷺ أنه قال: يا رسول الله أوصني، قال الرسول

ﷺ: "**اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُما كُنْتَ**". قال: زدني، قال: "**وأتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَة تَمْحُها**". قال: زدني، قال: "**وخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**" (أحمد، 2001، ج5، ص523) .

وعنه أيضاً أن النبي ﷺ أخذ بيده يوماً ثم قال: "**يَا مُعَاذُ إِنِّي لَأُحِبُّكَ**" فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا أُحِبُّكَ. قَالَ: **أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**" (أحمد،2001، ج5، ص245).

إن أي عمل مهما دق حجمه لا يخضع للتقويم المستمر، فسيكون عملاً ضعيفاً هزيلاً، وخاصة العمل التربوي، الذي هو بناء لشخصية الإنسان، التي تتغير بين الحين والأخر، وإذا كان المربي يطمح للتميز والفاعلية، فعليه أن يقوّم المتربين بشكل مستمر، لكي يعطي كل فرد ما يناسبه، ويقوّم المناهج والبرامج لقياس مدى ملاءمتها لهم (القرشي، 2009، ص255) .

يظهر الدور التوجيهي الإرشادي للمربي، من خلال مساعدة المتعلم في فهم نفسه، وفهم مشاكله، وتدفعه ليستغل إمكاناته الذاتية من قدرات ومهارات واستعدادات وميول، وإمكانات البيئة التي يعيش فيها، فيختار الطرق المناسبة ليحل مشاكله بشكل عملي، يؤدي إلى تكيف المتعلم مع نفسه ومع مجتمعه، وبالتالي إلى بناء الشخصية المتكاملة جسمياً وعقلياً وروحياً واجتماعياً، ويبدو كل هذا من خلال سلوكيات معينة يقوم بها المعلم .

والمعلم هو أعرف الناس بتلاميذه، يعرف ميولهم وإمكانياتهم وقدراتهم، وما يناسبهم ويصلح لهم، فهو القادر على توجيه طلابه إلى التعليم المناسب لهم، وهو القادر على توجيههم إلى القسم العلمي أو الأدبي في المرحلة الثانوية، والمعلم هو القادر على رسم الحياة الجامعية لتلاميذه، وهنا يكبر المعلم في عيون طلابه، وتسمو علاقتهم به وتزداد محبتهم له، عندما يعلموا أنه يحمل همهم ويسأل عنهم وعن دراستهم، حتى بعد أن انتهت علاقتهم بالمدرسة وتخرجوا منها .

سادساً:- القدرة على القيادة:

والقيادة معناها توجيه الأمة إلى ما ينبغي أن تتجه إليه، وإيقاظها له إن كانت غافلة عنه، وتجنيدها له بكل طاقتها حتى تصل إلى تحقيقه (قطب، 1988، ص251).

والمربي ما لم يكن قائداً، قادراً على القيادة والإقناع، فلن يستطيع تربية الناس، لأن التربية ليست إصداراً للأوامر فحسب، إنما ينبغي أن يكون لدى المربي القدرة على جعل المتربي ينفّذ تلك الأوامر، فالمربي هو القائد التربوي الذي يتصدر لعملية توصيل الخبرات والمعلومات التربوية، وتوجيه السلوك لدى المتعلمين الذين يقوم بتربيتهم وتعليمهم.

يقول الأستاذ محمد قطب: "إن من يعجز عن القيادة لا يصلح للتربية ولو كان في ذاته شخصاً طيباً مشتملاً على كل جميل من الخصال" (قطب، 1992، ص48).

ويضيف أيضاً: "والقيادة موهبة توحي للمتلقي أن يتلقى أولاً، وأن يطمئن لما يتلقى ثانياً، ثم أن يطيع، وبغير ذلك لا يكون للتوجيه جدوى، ولا يتم من عملية التربية شئ، ولو كانت التوجيهات صحيحة، ولو كانت عند المربي القدرة على المتابعة والاهتمام" (قطب، 1992، ص48).

وقد وهب الله ﷻ جميع الأنبياء عليهم السلام، القدرة على القيادة، وذلك لأن المهمة التي بُعثوا من أجلها هي تربية الناس على الإيمان بالله ﷻ، وهي مهمة تتطلب القدرة على القيادة، وقد بعث الله رُسله من صفوة خلقه، واختارهم من ذوي الصفات التي تصلح للأسوة والقدوة، ذلك لأن الرُّسُل هم هداة البشرية، وهم معلموها ومربوها، وقادتها الذين يقودونها إلى الخير، فلزم من ذلك أن يكونوا هم بذواتهم القدوة في كل ما يدعون إليه من مكارم الأخلاق (قطب،1981، ص234)

والقدوة الأولى المتمثلة في المربي الأول محمد ﷺ هي التي خرّجت أجيالاً على مر العصور، تربت على معنى الصبر والتحمل والشجاعة، ففي يوم حنين، وجنود المسلمين يتراجعون، كان قائدهم ومربيهم محمد ﷺ لا يكتفي بوعظهم بالثبات في مثل هذا الموقف، لأن مئات الكلمات والمواعظ والخطب في الثبات لا تفعل فعل النبي ﷺ،لاسيما والجنود في حالة من الخوف والهلع، ففي مثل هذا الموقف هم بحاجة إلي القائد المربي القدوة الذي يرجعهم إلي جادة الصواب.

وكانت نتيجة هذا الموقف من النبي ﷺ القائد المربي، أن الصحابة ﷺ كانوا جنوداً فائقين للدعوة ولقائدهم النبي ﷺ، الذي ربّاهم في الوقت ذاته بحيث يكون كل واحد منهم ركناً في الموقع الذي يكون فيه، فقاموا بالمهام التي وكَّلها إليهم على المستوى الفائق الذي يعرفه التاريخ، وكانوا هم القدوة للناس، في تربيتهم على هذا الدين، ثم كانوا هم حَمَلَة الأمانة من بعده، والقادة الذين قادوا الأمة من بعده في الخلافة الراشدة التي يعرفها التاريخ،(قطب، 1988، ص330) .

إن المطلوب في التربية، هو تربية جماعة تكون جنوداً ملتزمين للقائد، وتكون في الوقت نفسه قيادات تحمل المسئولية بعد ذهاب القائد، وكل قائد لابد أن يذهب في يوم من الأيام، وذلك هو المنهج النبوي، الذي أخرج أعظم جند وأعظم قيادات عرفتهم البشرية(قطب، 1988، ص396).

إن القائد المربي يؤمن كغيره من المربين، بأن التربية هي عملية نمو واكتساب للخبرة، وتغيير مرغوب فيه في سلوك الفرد والجماعة، وهي تتحقق عن طريق تفاعل الطالب مع محيطه ومجتمعه، ومع البيئة العامة التي يعيش فيها، فالقائد المربي يستوحي أهداف طريقته ومبادئها وأساليبها ووسائلها من الإسلام وأخلاقياته، ويحاول تطبيقها في جو تربوي ديني كامل.

كما أن مسئولية القائد المربي مسئولية عظيمة أمام الله ﷻ وأمام المتلقين، فلا ينبغي للمربي أن يتوارى في المواقف التي ينبغي أن يظهر فيها، سواء في حل المشاكل، أو فيما يتعلق بمواجهة الناس في غيرها من المواقف، وقد كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس سبّاقاً في شدائد الأمور.

الفصل السابع

معالم النظرية التربوية في كتابات محمد قطب

تمهيد

جهود محمد قطب

مفهوم النظرية التربوية الإسلامية

تعريفات النظرية

مصادر النظرية التربوية الإسلامية

أهداف النظرية التربوية الإسلامية

تمهيد:

يُعد الإسلام نظاماً كلياً تتفرع عنه أنظمة الحياة الأخرى، الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية والخلقية، ويندرج تحت كل واحدٍ من هذه الأنظمة الفرعية، أنظمة أخرى أكثر تفصيلاً، فالإسلام هو النظام الكبير الجامع، كل نظام ينبثق عنه يحمل ملامحه وطبيعته وخصائصه وروحه التي تتجسد فيه، ولذلك يمكن القول أن النظرية التربوية في الإسلام ما هي إلا انعكاس نظري وتطبيقي للإسلام ذاته في واقع المجتمع، وفي مجال التربية، وهذا المدخل يسهل تصور موقع النظرية التربوية في الإسلام أو موقع الإسلام فيها.

ولذلك تحتل النظرية مكانة مهمة في العملية التربوية، وتستطيع أن توجه مجمل الممارسات التربوية وفقاً لمجموعة المبادئ المترابطة التي تشكل بنيتها، حيث إنه لديها القدرة على وصف الموقف التربوي الحالي، من جوانبه المختلفة، وتفسير إجراءات العمل وخطواته، وتبريرها، والدفاع عنها، مما يساعد في التنبؤ بالقضايا والمشكلات التربوية، واقتراح الحلول لها وهذا من شأنه أن يسهم في تطوير العلوم والدراسات والتقدم بها(العياصرة، 2007، ص2) .

هناك فئات عريضة من المسلمين تنظر إلى الغرب على أنه مركز الحضارة والتقدم الفكري، مما دفع بعض المفكرين لدراسة النظرية التربوية الغربية، ومناقشتها في ضوء معالم التربية الإسلامية، بغرض إبراز التصور الإسلامي للتربية، وقد برز منهم "محمد قطب"، الذي اجتهد في كتاباته من أجل تفسير الواقع المعاصر من منظور إسلامي، ومنطلق معرفي مخالف لنظرية المعرفة الغربية، ومن خلال كتابه "جاهلية القرن العشرين"، قدم قراءة متكاملة للحداثة الغربية، وامتدادها في المجال الإسلامي، وسماها(جاهلية ثانية)، تماثل من حيث الانحراف والفساد الجاهلية العربية قبل الإسلام،

وفي كتابه "مذاهب فكرية معاصرة"، قدم محمد قطب رؤية معرفية نقدية لهذه المذاهب، تعتمد على قراءة عميقة وتفكيكية لمقولاتها النظرية ولتجربتها الواقعية، كما قدّم بحث بعنوان "النظرية التربوية الإسلامية" تحدث فيه عن الجاهلية المعاصرة، وفرّق بين إعداد الإنسان الصالح، وإعداد المواطن الصالح، كهدف عام للتربية، كما أكد على حقيقة التربية وأثرها في تهذيب السلوك.

إن وضع نظرية التربية الإسلامية بجميع أبعادها ومتطلباتها وخصائصها، يتطلب دراسات واسعة ومطولة، ولا يتسع لها المجال في مثل هذا الفصل، ولذلك فإن مجال البحث في هذا الفصل يتمحور حول معالم النظرية التربوية الإسلامية، ويحاول الباحث الكشف عن ملامحها، وبيان مصادرها وأهدافها، ومجمل الجهود والنقاط التي تناولها محمد قطب من خلال كتاباته .

جهود محمد قطب في التأسيس لنظرية تربوية:

تحدث محمد قطب في بعض المبادئ التي جاء بها الإسلام، دون التعرض لمعنى النظرية، أو مناقشة طبيعتها، وقد تمثل عرضه لنظرية الإسلام في التربية، من خلال المقارنة بين النظريات الغربية ونظرة الإسلام، ودوره في الحياة عامة، وفي تنشئة الإنسان الصالح، وذلك لبيان أهمية وأهلية المنهج الإسلامي للحياة، مقدَّماً على كافة المناهج الوضعية.

إن للإسلام نظرية معينة في النفس الإنسانية تُبنى عليها كل توجيهاته وكل تشريعاته، وطريقة معالجته لهذه النفس، وطريقة تربيتها وتقويمها، وهذه النظرية لابد وأن تكون موجودة في القرآن الكريم، وفي أحاديث الرسول ﷺ، إذ أن سنة الرسول ﷺ هي التفسير الواقعي العملي للقرآن الكريم.

ويتحدث(قطب،1993،ص6-10) عن بداية تفكيره وجهوده في الكتابة حول موضوع النظرية الإسلامية، وقد قام الباحث باختصارها، ووضعها من خلال النقاط التالية:

أ- أول بدايات تفكيره في هذا الموضوع، كانت من خلال دراسته للقرآن والإسلام، فبدأت تتضح لديه معالم النظرية الإسلامية، حيث رأى محمد قطب أن للإسلام نظرية معينة في النفس الإنسانية، موجودة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

ب- كانت بدايات كتاباته من خلال كتابه "الإنسان بين المادية والإسلام"، حيث تحدث فيه عن نظرية الإسلام في النفس الإنسانية، في مجالها الفردي والاجتماعي، وعقد فيه مقارنة بين نظرة المدارس الغربية للنفس الإنسانية، وبين نظرة الإسلام، وما يترتب على كل منهما، ورأى قطب أن الخطوط العريضة لنظرية إسلامية في النفس الإنسانية ترتسم بين يديه في هذا الكتاب.

ج- كتب محمد قطب مجموعة من الخواطر بعنوان" في النفس والمجتمع "، فيها معالجة خفيفة لبعض الخطوط العريضة في النظرية الإنسانية، وقد ذكر(قطب،1983، ص7) في التقديم لهذه الخواطر: "هذه الخواطر تصلح بذوراً لتكوين نظرية إسلامية نفسية، حسبي منها أن أفتح الباب للباحثين يستخلصون منها ومن غيرها نظرية تفصيلية تشمل كل ميدان النفس، وتصلح أن توضع في ميدان البحث العلمي في مقابل النظريات الغربية، تتلافى ما فيها من انحرافات وعيوب" .

د- عند تأليفه كتاب " منهج التربية الإسلامية "، يوضح محمد قطب صورة النفس الإنسانية، كما يراها من خلال دراسته للقرآن الكريم، ولمنهج التربية الموجود فيه، فهو يرى أن هناك تطابقاً كاملاً بين منهج التربية في القرآن الكريم، وبين النفس البشرية، بحيث لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا اشتمل عليها، ومن خلال هذا الكتاب وضع خلاصة أفكاره حول هذا الموضوع .

هـ- أما في كتابه "دراسات في النفس الإنسانية"، فهو يرى أنه يحاول من خلاله استخلاص نظرية شاملة عن النفس الإنسانية.

مفهوم النظرية التربوية الإسلامية:

هناك اختلافات حول تحديد مفهوم النظرية بصفة عامة، ومفهوم النظرية من ميدان علم إلى آخر، ومن فلسفة إلى أخرى، فمفهوم النظرية في العلوم الطبيعية يختلف عنه في العلوم الإنسانية ومنها التربوية، ومفهوم "النظرية التربوية الإسلامية" مفهوم مختلف لمفهوم النظرية في الفكر الغربي، وكذلك الاختلافات من عصر إلى عصر، ومن مجتمع إلى آخر.

إن كلمة "النظرية" مصطلح حديث، غير وارد في الدراسات الإسلامية التراثية، وبخاصة لم يرد في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية، ولكن كلمة(النظرية)من النظر هي التي وردت كثيراً في القرآن الكريم، وقد بدأ استخدام مصطلح(نظرية) للدلالة على الجانب الذي يرشد ويوجه الممارسات العملية، وأخذ هذا المصطلح في الانتشار في النصف الثاني من القرن العشرين، دون تحديد واضح لمفهومه، إلى أن بدأ انتشار المصطلح من خلال بعض الدراسات.

وقد عُقدت ندوة بعنوان: "خبراء أسس التربية الإسلامية"عام 1981م، في مكة المكرمة، ناقشت عدة أبحاث تتصل بنظرية التربية الإسلامية، بل ويحمل معظمها عنوان: " النظرية التربوية الإسلامية"، ولكن هذه الأبحاث لم تناقش معنى النظرية ولم توضح طبيعتها، لكن طريقة معالجة الموضوع ومحتواه تدل دلالة واضحة على أن مجموعة المبادئ التي جاء بها الإسلام لتوجيه التربية، قُصد بها النظرية التربوية(عبدالله، 1406هـ، ص27)، وكان من ضمن تلك الأبحاث المقدَّمة للمؤتمر، بحث للأستاذ محمد قطب بعنوان: "النظرية التربوية الإسلامية"، وبحث للشيخ محمد الغزالي بعنوان: "النظرية التربوية الإسلامية للفرد والمجتمع"، وبحث للدكتور محمود السيد سلطان، وغيرها من الأبحاث التي فتحت المجال للباحثين في هذا المجال للنظر في أصول التربية الإسلامية لاستخلاص نظرية تربوية إسلامية، وتحديد المفاهيم التي تنوعت بتنوع هذه الدراسات .

كما عُقد في عمان عام 1991م مؤتمر تربوي بعنوان: "نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة" وكان من بين الأبحاث: بحث للدكتور مقداد يالجن، بعنوان:"معالم بناء نظرية التربية الإسلامية"، وبحث للدكتور بشير حاج التوم، بعنوان:"مكانة فلسفة التربية في النظرية التربوية الإسلامية"، وبحث للدكتور مهنا محمد غنايم بعنوان: "أسس بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة" وغيرها من الأبحاث، وهي من أكثر الأبحاث المنشورة، التي تعالج موضوع النظرية التربوية الإسلامية، وهذه البحوث قدمت اجتهادات لتعريف النظرية التربوية من منظور إسلامي، وتوضيح هذا المفهوم، وكذلك محاولة الكشف عن معالم ومكونات هذه النظرية.

وهناك الكثير من الرسائل العلمية، والأبحاث المحكمة، والمؤلفات، التي تناولت "النظرية"، والنظرية التربوية، بأبعادها المختلفة.

تعريفات النظرية :

تعددت تعريفات النظرية بمفهومها العام، وحتى يتضح مفهوم النظرية يعرض الباحث مجموعة من هذه التعريفات، لتسهم في تقديم مفهوم واضح لها، وكذلك يعرض الباحث تعريف النظرية التربوية، ثم يعرض مجموعة من تعريفات النظرية التربوية الإسلامية، ومن خلالها يضع الباحث تعريفاً إجرائياً للنظرية التربوية الإسلامية.

أولاً: النظرية في اللغة:-

جاء في لسان العرب أن النظر هو: تأمُّل الشيء بالعين، وتقول نظرتُ إلى كذا وكذا، من نظر العين ونظر القلب (ابن منظور، 1414هـ، مج5، ص215).

وفي القاموس المحيط، النظر هو: الفكر في الشيء (الفيروز أبادي، 1952، ص15).

ذكر(النحوي،1420، ص17) أن كلمة "نظر" جاءت بعدة معانٍ، منها: التأمل والتفكير وتقدير الأمر وقياسه، ويمكن أن ندرك معنى النظر بصورة أكثر دقة إذا ما رجعنا إلى تفسير بعض الآيات القرآنية التي وردت فيها لفظة "النظر" بمشتقاتها، ومن هذه الآيات القرآنية قوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ﴾(الأعراف،الآية:185)

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ (ق، الآية: 6)

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ (يوسف، الآية:109)

﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾(الطارق، الآية: 5).

في هذه الآيات يحث القرآن الكريم على النظر في خلق الكون والإنسان وسائر المخلوقات، والنظر في تاريخ الأمم السابقة، والهدف من النظر في هذه الآيات هو معرفة الله سبحانه وتعالى، فالنظر في القرآن الكريم يدل على الاستدلال والاعتبار والتفكر، وصاحب النظر السليم قادر على إدراك الظاهرة التي يقوم بملاحظتها ودراستها، إدراكاً متكاملاً يقوده إلى النفاذ إلى جوهر تلك الظاهرة وربطها بمسبباتها الحقيقية (عبدالله، 1406هـ، ص97)،

فالمقصود من النظر في هذه الآيات وغيرها، هو الاستدلال والتفكر والتأمل في النفس والأشياء والتاريخ واستخلاص العبر من المشاهدات والمخلوقات.

ثانياً: النظرية التربوية الإسلامية في الاصطلاح:-

لقد تعددت وتنوعت تعريفات النظرية التربوية الإسلامية بتعدد وتنوع الدراسات الخاصة بها، ومن خلال بعض المراجع يمكن التركيز على التعريفات التالية:

1- النظرية التربوية الإسلامية هي مجموعة مترابطة من المبادئ والقواعد والمفاهيم التربوية، المستمدة من القرآن الكريم والسنة المطهرة، والتي هي بمثابة الأساس المتين الذي يقوم عليه البناء التربوي الصالح (التوم، 1400هـ، ص32) .

2- هي المبادئ المستقاة من الكتاب والسنة، أو أنها مجموع آراء المفكرين المسلمين منذ عهد الخلفاء الراشدين وحتى وقتنا الحاضر (الخياط، 1424هـ، ص20).

3- هي تسمية بشرية لما في الإسلام من أسس ومبادئ تربوية، تنتظم في منظومة فكرية واضحة المعالم، ومحددة القسمات، ومتدرجة ومتكاملة، وشاملة لكل جوانب التربية في جانبيها الفكري والعملي(سلطان، 1980، ص14).

4- هي مجموعة المبادئ التي ترشد الممارسات التربوية، وتوجهها، والتي يزودنا بها القرآن الكريم والسنة المطهرة (عبدالله، 2001، ص41).

وفي ضوء التعريفات السابقة يستطيع الباحث أن يعرّف النظرية التربوية الإسلامية تعريفاً إجرائياً بأنها: "المبادئ والقيم والتوجيهات التي أمر بها الإسلام، بهدف تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى، وتوجيه سلوك المسلم ".

ويلاحظ من خلال التعريفات السابقة أنها أكدت على وجود النظرية التربوية في الإسلام من ناحية، كما بينت هذه التعريفات أن تلك النظرية التربوية الإسلامية، تستمد عناصرها بصورة أساسية من المصادر الإسلامية الثابتة المتمثلة في الكتاب والسنة.

مصادر النظرية التربوية الإسلامية:

لقد سبقت الإشارة إلى تلك المصادر، من خلال التعريفات الواردة للنظرية التربوية الإسلامية، حيث تبين أنها تستمد عناصرها بصورة أساسية من القرآن الكريم والسنة النبوية.

فالتربية الإسلامية مستمدة من المنهج الإسلامي القويم، وهو منهج رباني كامل، صالح لكل زمان ومكان، وهذه المصادر هي المصادر الأصلية الثابتة، وهي القرآن الكريم والسنة المطهرة، وهما أصول النظرية التربوية في الإسلام، ومنهما تتزود النظرية التربوية في الإسلام بمجموعة من المبادئ الموجهة، وهذه المصادر أصولها ربانية، ومصدرها الوحي الإلهي، لذلك فهي ثابتة لا تتغير، وعند دراسة نظرة الإسلام إلى النفس الإنسانية فإن المرجع الأساسي هو القرآن الكريم والسنة المطهرة، وهناك مصادر أخرى مفسرة ومفصلة للكتاب والسنة، تأتي في ضوء ما جاء فيهما من أصول وقواعد عامة، مثل أقوال الصحابة، والاجتهاد، ودراسة التاريخ والفكر التربوي، وكتابات العلماء والمفكرين المسلمين عبر العصور (عبد المعطي، 1998، ص51).

والباحث في هذا المقام يقتصر على ذكر المصدرين الأساسيين(القرآن والسنة)، والذي تحدث محمد قطب عنهما في كتاباته.

أولاً: القرآن الكريم:-

القرآن الكريم مصدر رئيسي للتربية الإسلامية، وهناك آيات قرآنية معجزة بلفظها ومعناها، لكونها اشتملت على المعاني والمضامين والدروس التربوية، التي يمكن استنباطها منها، والقرآن الكريم كله توجيهات تربوية، هدفها هداية الإنسان إلى ربه، ليعبده حق العبادة، فيستقيم حاله في الدنيا والآخرة ويكون من الفائزين، كما أن له تطبيقاته وآثاره التربوية.

فالقرآن الكريم هو كتاب تربية وتوجيه، كتاب ينشئ النفوس على المنهج المستقيم، وهو يؤدي مهمته في تربية البشرية وتوجيهها الوجهة الصحيحة، دون أن يتعرض لنظريات العلم المختلفة، وقد ورد في ثناياه معلومات وإشارات كونية للإنسان، ليفتح بصيرته على آيات الله في الكون، فيتصل بالخالق ويحبه ويخشاه (قطب، 1993، ص8).

ويشتمل القرآن الكريم على العناصر الأساسية والإجابات الوافية المتصلة بالتربية، وعن الطبيعة الإنسانية، ومكوناتها وخصائصها، كما أن القرآن الكريم يبين طبيعة العلاقات المختلفة للإنسان، علاقته بالله، وعلاقته بالكون، وعلاقته بالإنسان، وعلاقته بالحياة، وعلاقته بالآخرة، كما أن القرآن الكريم يحدد الأبعاد التربوية للنفس الإنسانيّة عموماً، ويشتمل عبارات ذات محتوى تربوي، من إنذار وتبشير ووعدٍ ووعيد وأمل ورجاء.

والقرآن الكريم هو كتاب التربية الذي ربّى هذه الأمة، ومن ثم فإنه يحوى جميع عناصر التربية الصالحة، ومن ناحية أخرى فإن كل كلمة فيه هي توجيه تربوي لإنشاء الإنسان الصالح في هذه الأرض، سواء كان أمراً بعبادة، أو توجيهاً أخلاقياً، أو تشريعاً منظّماً لحياة البشر، أو حديثاً عن اليوم الآخر ووصفاً لمشاهد الحساب، أو توجيهاً عقلياً لتدبر آيات الله في الكون أو سننه في الحياة، كلها جاءت في القرآن للتربية والتوجيه (قطب، 2005، ص175).

ثانياً: السنة النبوية:-

والسنة النبوية المطهرة تأتي إما مؤكّدة لما في القرآن الكريم أو مبينة له، وهي ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل، وتعد السنة النبوية تطبيقاً عملياً للقرآن الكريم، تحيل المبادئ والأحكام والمعتقدات إلى واقع حي في حياة المسلم، وتقوم بتوضيح المنهج التربوي الإسلامي المتكامل الوارد فيه، وقد كانت هذه المهمة هي مهمة الرسول ﷺ كما جاء في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾(الجمعة، الآية: 2)، ولذلك كان الرسول ﷺ هو القدوة والمربي والمعلم، فقد كانت كل كلمة يقولها منهج تربية، ومنهج سلوك ومنهج تفكير ومنهج حياة .

أما عن مدى تجلي النظرية الإسلامية بمفهومها الاصطلاحي في القرآن الكريم والسنة، يوضح محمد قطب هذه النقطة بقوله: " القرآن الكريم وهو ينشئ النفوس ليس فيه " نظرية نفسية" مخططة مبوبة مبلورة، ذات فصول وتفصيلات، فليس من شأن القرآن الكريم وهو ينشئ النفوس ويربيها، أن يضع نظريات من هذا القبيل، ولكن فيه مع ذلك معلومات عن النفس الإنسانية كثيرة وشاملة، أكثر مما فيه من أي علم آخر، هذه المعلومات المنبثة في ثنايا القرآن، يمكن أن تُستوحَى في استخلاص نظرية شاملة عن النفس، تعمل التجربة والمشاهدة في توضيحها ووضع تفصيلاتها، كما تعمل في توضيح بقية الإشارات الكونية في القرآن الكريم، فقد وجه القرآن الكريم الإنسان إلى استجلاء أسرار النفس وذكر صفاتها وحالاتها، ولكنه ترك المشاهدة والتجربة أن يتحققا مما وراء ذلك من النظريات والتفصيلات (قطب، 1993، ص9) .

ولذلك يمكن القول أن الإسلام قدم للبشرية نظرية تربوية متكاملة، تظهر في مضامين آيات القرآن الكريم، كما تظهر في أحاديث الرسول ﷺ، فالقرآن الكريم والسنة النبوية فيهما أصول التربية الإسلامية، وما على المنظرين في مجال التربية الإسلامية سوى البحث من خلال هذه الأصول، عن تفاصيل النظرية التربوية الإسلامية، بكافة مكوناتها وأجزائها.

أهداف النظرية التربوية الإسلامية:

تختلف أهداف التربية الإسلامية عن أهداف أي تربية أخرى مخالفة للعقيدة الإسلامية، ففي المجتمعات المادية التي تحصر همها في إشباع الحاجات المادية والعضوية، الهدف العام الذي تسعى لتحقيقه هو الكسب المادي، وعندما تسود النظرة القومية الضيقة يصبح الهدف العام للتربية هو إعداد "المواطن الصالح"، هذه الأهداف التي تبنتها بعض النظريات التربوية، لا يتطابق أي منها مع الهدف العام في التربية الإسلامية، التي تهدف إلى إعداد وتنشئة "الإنسان الصالح"، الذي يعبد الله حق عبادته، بالمفهوم الواسع الشامل للعبادة.

إن مناهج التربية الغربية التي يضعها البشر بمعزل عن هدي الإسلام، تلتقي كلها على أن هدف التربية الذي ينبغي العمل على تحقيقه هو(إعداد المواطن الصالح)، بصفاته التي تحددها له.

أما في الإسلام، كما يقول الأستاذ محمد قطب: "فإن الهدف الرفيع الذي ترمي إليه التربية الإسلامية، هو إعداد الإنسان الصالح، الإنسان بجوهره الكامن في أعماقه، الإنسان من حيث هو إنسان، لا من حيث هو مواطن في هذه البقعة من الأرض أو في ذلك المكان، وذلك معنى أشمل من كل مفهوم للتربية عند غير المسلمين" (قطب، 1981، ص9).

فالإسلام لا يحصر نفسه في تلك الحدود القومية أو الوطنية الضّيقة، ولا يسعى لإعداد المواطن الصالح فحسب، وإنما يسعى لتحقيق هدف أكبر وأشمل وهو إعداد "الإنسان" الصالح، الإنسان على إطلاقه، بمعناه الشامل .

وحول الهدف العام من النظرية الإسلامية يقول(قطب،1993، ص9): "هدفنا من استخلاص نظرية شاملة عن النفس الإنسانية، هو معرفة مكونات هذه النفس، لنعرف بعد ذلك كيف تكون في صحتها ومرضها، واستوائها وانحرافها، ونفيد من هذه المعرفة في معالجة هذه النفس على أساس سليم"،

ومن خلال دراسة وتحليل كتابات محمد قطب في هذا المجال، يمكن تحديد أبرز الأهداف التي تسعى النظرية التربوية لتحقيقها، والتي تتركز في تحقيق العبودية لله، والتي تتحقق في التوحيد والإيمان الكامل بالله، والعبودية التامة له سبحانه، وبالتالي ينشأ الإنسان المؤمن الصالح .

أولاً: تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى:

من خصائص المنهج الإسلامي أنه منهج عبادة، والعبادة في المنهج الإسلامي ليست قاصرة على المناسك والعبادات المعروفة من صلاة وصيام وزكاة وحج، إنما هي معنى أعمق من ذلك، فهي تعني العبودية لله وحده، والتلقي من الله ﷻ وحده في أمر الدنيا والآخرة كله، ثم هي الصلة الدائمة بالله ﷻ في هذا كله (قطب، 1981، ص34).

والتربية الإسلامية تقوم على أساس العبادة الصحيحة، الخالصة لله ﷻ، ولكي تكون العبادة صحيحة خالصة لوجه الله ﷻ يجب توضيح سمات وخصائص العبادة الصحيحة وهي:

1- توحيد الله سبحانه وتعالى في ذاته وصفاته وأفعاله:

العبادة المطلوبة من العباد هي إفراد الله ﷻ بالألوهية والربوبية، الذي يشمل توحيد الله ﷻ في ذاته وأسمائه وصفاته، والتوجه إليه وحده بالشعائر التعبدية، والالتزام بما أنزل الله ﷻ، وعدم اتخاذ الشريعة من مصدر سواه، هذه العبادة –على هذه الصورة– هي التي تخرج الناس من الشرك وتجعلهم مسلمين، وهذا هو الإخلاص في حده الأدنى، الذي لا يقبل الله ﷻ من الناس أقل منه، ولا تقوم بغيره حقيقة الإسلام في داخل النفوس، ولا في واقع الحياة (قطب، 1997، ص34) .

إن التوحيد أمر عظيم جداً، وليس مجرد كلمة تنطق، إنه أمر شامل يشمل كل عمل الإنسان وكل فكره، ويشمل حتى مشاعره الداخلية التي قد يخفيها داخل نفسه ولا يبينها للناس، قال تعالى:﴿**قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾(الأنعام،الآية:162)، ولا يتم التوحيد في حقيقة الواقع حتى تكون كل أعمال الإنسان وكل أفكاره وكل مشاعره مستقيمة على منهج واحد، متوجهة كلها إلى الله ﷻ، مستمدة كلها من منهج الله، ويكون **التوحيد مشتملاً الجوانب التالية:**

أ- توحيد الله في ذاته:

النقطة الابتدائية لتنشئة الإنسان الصالح هي التوحيد، هي العبادة الحق لله ﷻ، فالذي يعبد الله وحده لا يتغير خُلقه من مكان إلى آخر، ولا من موضوع إلى آخر، لأن الله ﷻ الذي يعبده، واحد

في كل مكان، وواحد في كل موضوع، وعبادة الله ﷻ وحده دون شريك هي تزكية للإنسان، وتكريم له(قطب، 1400هـ، ص7)، والإنسان حين يكون عابداً لله الحق، فهو في أعلى حالاته وأكرم حالاته، وحين ينتكس من عبادة الله إلى عبادة غير الله من الآلهة المدّعاة، فهو أسفل سافلين.

فعبادة الله الواحد، وإفراده بالألوهية والربوبية التي يفرضها الإسلام، حقٌ خالصٌ لله تعالى، هي في الوقت ذاته رِفعة للإنسان وتكريم، وفلاح في الدنيا والآخرة، وتزكية ترفع الإنسان إلى الجنة.

ب- توحيد الله في أسمائه وصفاته وأفعاله:

القرآن الكريم يذكر أسماء الله الحسنى، ويأمرنا أن ندعوه بها ﴿**وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**﴾ (الأعراف، الآية: 180)، ويعرفنا بها الرسول ﷺ، فيقول: "**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**"(البخاري، 1422، ج3، ص198)، والمقصود بالإحصاء ليس مجرد ذكرها باللسان، والقلب غافل عن معناها، بل المقصود أن يمتلئ القلب بها ويتدبرها فينعكس أثر ذلك في السلوك، ويتبين من ذلك أن أسماء الله وصفاته وأفعاله الواردة في القرآن الكريم، هي مثل آيات قدرة الله في الخلق وفي الرزق، وفي الإحياء والإماتة، وفي إجراء الأحداث وفى علم الغيب، المقصود بها التعريف بالله، فتزداد معرفة العباد بربهم، ويعبدوه على بصيرة .

هذه الأسماء والصفات والأفعال الواردة في القرآن وفى الحديث، يعرّف القرآن الكريم بها:

﴿**هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ (الحشر،الآية:24) الله سبحانه هو الخالق، البارئ، المصور، العزيز، الحكيم.

﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾(آل عمران،الآية:26) هو مالك الملك، المعز المذل .

﴿**إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**﴾(الذاريات،الآية:58) (الرزاق) اسم من أسمائه، وهو كذلك صفة من صفاته، وينشأ عنها أن الله يرزق العباد بما يشاء من رزق، فهو يتحدث عن أسماء الله، تدل على صفات، وتنشأ عنها أفعال، فالتربية على العقيدة أمر غير مجرد المعرفة النظرية بحقائق العقيدة، فكثير من الناس إذا قلت له إن الله هو الرزاق وحده قال: نعم، فإذا تعرض لمحنة أو ضيق أو هدد في رزقه تزلزلت هذه الحقيقة في قلبه، لأنها لم تكن راسخة بالفعل، لم تكن تحولت إلى يقين، وإلى سلوك مبني على ذلك اليقين (قطب، 2005، ص185) .

وكل صفات الله ﷻ وأسمائه واردة في القرآن الكريم على هذا النحو، للتعريف بحقيقة الألوهية، وللتربية على حقيقة الإيمان، وأن الله ﷻ هو الضار النافع، المحي المميت، القابض الباسط، كلها ينبغي أن تتحول إلى يقين في القلب، ثم تتحول إلى سلوك عملي مبني على هذا اليقين، وعندئذ تكون التربية – كما تربت الأمة المسلمة الأولى – على حقائق الإيمان الواردة في القرآن الكريم.

ج- الإيمان باليوم الآخر المتمم لعقيدة التوحيد:

والإيمان باليوم الآخر يعني الإيمان بأن هناك حياة بعد الموت، وبعثاً وحساباً، وقد أوجب الإسلام الإيمان باليوم الآخر أو بالآخرة، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ**﴾ (الأنعام،الآية:92) فالإيمان بالآخرة من مقتضيات الإيمان بالكتاب.

يقول محمد قطب: "إن الإنسان إذا آمن باليوم الآخر، وأنه سيُبعث بعد الموت، وسيحاسب على كل ما عمله في حياته الدنيا، ثم يكون مصيره إما إلى الجنة وإما إلى النار، فإن هذا الإيمان سيترك في سلوكه وأعماله آثاراً كثيرة، ونتائج تربوية تنعكس على نفس المؤمن، وتظهر في تكوين شخصيته، وفي شؤون حياته كافّة، فهو يبعث في نفس المؤمن الشعور بالمسؤولية عن أعماله، وأن أعماله محصيّة عليه، وأنّه محاسب عليها، هذا الشعور يبعث الإنسان على الإكثار من العبادات وفعل الطاعات" (قطب، 1400، ص12).

ومن نتائج الإيمان باليوم الآخر، ضبط جميع الدّوافع والغرائز وفق نظام الإسلام، وإخضاعها إلى شريعة الله عزّ وجلّ، والصّبر على مصائب الدنيا وشدائدها، وشهواتها ومغرياتها، فالمؤمن يستعين على ذلك بالله، ويعلم أنّ ما عند الله خيرٌ وأبقى، فيكون إيمانه باليوم الآخر حافظاً له ومعينا، ويؤدي كذلك إلى تحقيق الأخلاق الفاضلة في سلوك وحياة المسلم تحقيقاً فعلياً ثابتاً.

فالإيمان باليوم الآخر يؤدي إلى انتشار أعمال الخير بين الناس، وإلى تقليل الجرائم والخصومات والظلم، وسائر أعمال الشر، وبذلك يصلح المجتمع.

إن توحيد الله في ذاته وأسمائه وصفاته، يحرر القلب البشري من قبضة الأرباب المرهوبة، فينطلق يعمل بكل حيويته وفاعليته في واقع الأرض، مستعلياً على الطواغيت، فإن الإيمان باليوم الآخر يحرر القلب من الأرباب المرغوبة، من عبودية الهوى والشهوات، فينطلق بكل حيويته وفاعليته يقوم بدور الخلافة الراشدة في الأرض، أي يقوم بعمارة الأرض على المستوى الأعلى، المستوى اللائق بالإنسان الذي رفعه الله وكرمه (قطب، 1400هـ، ص11).

هذا الحديث عن التوحيد يوضح أثره في التربية، ويبين الفارق الضخم بين الإنسان الذي يتربى تربية صحيحة على التوحيد، والإنسان الذي يتربى على أي منهج آخر غير قائم على التوحيد الخالص لرب العالمين، وهو الفرق بين الإنسان الصالح، والمواطن الصالح .

2- إصلاح النفس البشرية وتزكيتها:

العبادة الصحيحة لله هي السبيل لإصلاح النفس البشرية وتزكيتها، **و**إصلاح النفس البشرية هو أساس كل إصلاح، وهذه السنة الإلهية قررها القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾(الرعد،الآية:11) وتغيير النفوس يكون بإصلاحها، وتطهيرها بالعلم النافع، والعمل

الصالح، وقد بيّن القرآن الكريم والسنة النبوية أهمية تزكية النفوس، وما لها من مكانة عالية ومنزلة رفيعة، ومن ذلك قوله تعالى: **﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾**(الشمس،الآيات:9-10) والمتأمل في هذه السورة يجد أن الله عز وجل قد أقسم فيها أحد عشر قسماً، على أن صلاح العبد وفلاحه منوط بتزكية نفسه، ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى: **﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾** (الأعلى،الآيتان:14- 15).

كما أنَّ مهمة الرسول ﷺ كانت دعوة الناس إلى تزكية نفوسهم، قال تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾** (الجمعة، الآية: 2).

ويرى(قطب، 1400هـ، ص7) أن عبادة الله ﷻ وحده دون شريك، "هي تزكية للإنسان وتكريم له، فالإنسان عابد بطبعه، فلا يوجد إنسان لا يعبد، إنما الفارق بين إنسان وإنسان يأتي من توجيه العبادة إلى الله الحق سبحانه، أو توجيهها إلى إله زائف لا يستحق أن توجه العبادة إليه" .

وتعتبر العبادة وذكر الله ﷻ دعامة أساسيّة من دعائم التربية، تؤديان إلى تزكية الإنسان وتطهيره عقلاً ونفساً وقلباً وجسداً، والعبادات في الإسلام ليست مقصودة لذاتها، بل يفرضها الله ﷻ على عباده، لأنها تعينهم على الخير، وعلى تحقيق أهداف الإنسانية العليا، حين تطهر أرواحهم وتصل قلوبهم بالله ﷻ، فالعبادات كلها وسيلة لا غاية، وسيلة لمعاونة الفرد لكي يرتفع إلى حيث ينبغي أن يكون(قطب،1989، ص99).

وتزكية النفوس تتحقق بأمور كثيرة، ومن أهمها ما يلي:

أ- **التوحيد:** فالتزكية تكون في التوحيد الخالص لله ﷻ، ولذلك قال موسى لفرعون وهو يدعوه إلى التوحيد: **﴿هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى. وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾** (النازعات، الآيتان: 18-19) .

ب- **الصلاة:** وهي من أعظم ما تزكو به النفوس، ولذلك قرن الله ﷻ بينها وبين التزكية في قوله تعالى: **﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾**(الأعلى، الآيات: 14-15)، **﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾**(العنكبوت ،الآية:45)، فالصلاة إذن وسيلة لهدف آخر هو تطهير النفس من الفحشاء، بالتذكير الدائم بصلة المخلوق بالخالق.

وقد شبه النبي ﷺ تطهير الصلاة للنفوس، بتطهير الماء للأبدان، فقال الرسول ﷺ: " **أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَراً بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مرَّاتٍ، هل يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٍ قَالُوا لَا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْء. قَالَ: فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا**"(مسلم،1985،ج1، ص462).

ج- **الصدقة: قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾** (التوبة، الآية: 103).

قال الشيخ السعدي:"وفيها أن العبد لا يمكنه أن يتطهر ويتزكى حتى يخرج زكاة ماله، وأنه لايكفرها شيء سوى أدائها لأن الزكاة والتطهير متوقف على إخراجها(السعدي،2000،ج3، ص293).

د- **ترك المعاصي والمحرمات:** قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (الشمس، الآية:9) أي: زكى نفسه بفعل الطاعات، ثم قال: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس، الآية:10) أي: خسر من دساها بالفجور والمعاصي، قال شيخ الإسلام: "فكذلك النفس والأعمال لا تزكو ولا تطهر حتى يزال عنها ما يناقضها، من فعل السوء والمعاصي والشرك، فالتزكية هي باجتناب ذلك، ولا يكون الرجل متزكيا إلا مع ترك الشر، فإنه يدنس النفس" (ابن تيمية، 1994، ج10، ص629).

هـ- **الدعاء:** على الإنسان المسلم أن يلجأ إلى الله ﷻ بالدعاء والتضرع، ليصلح له نفسه ويزكيها، ولذلك كان من دعاء النبي ﷺ: "**اللَّهمَّ آتِ نفسي تقوَاهَا، وزَكِّهَا أنت خير من زكَّاها أنت وليُّها ومولاها** " (مسلم،1985، ج4، 2088) .

لذلك تعتبر تزكية النفوس من أعظم غايات العبادات التي شرعها الإسلام، وهي تزكية النفوس وتهذيبها والترقي بها نحو محاسن الأخلاق ومكارمها، بحيث يصير المسلم المقيم لفرائض الله تعالى من أحسن الناس أخلاقاً وأنبلهم سلوكاً، وكل شعيرة من شعائر الإسلام وكل ركن من أركانه تهدف إلى تحقيق هذه الغاية، وعلى الإنسان المسلم أن يستلهم هذه الروح ويستشعر هذه الغاية من العبادات في كل الأحوال لكي تحسن أخلاقه.

ثانياً: إعداد الإنسان الصالح:

الإنسان الذي تتطلَّع نظريات التربية إلى إخراجه، هو الذي يقوم بالعمل الصالح كاملاً، والتربية الإسلامية تعمل على إخراج الإنسان الصالح الذي يقوم بالعمل المشار إليه.

لقد تميزت التربية الإسلامية عن غيرها، في أنها تسعى إلى إيجاد الإنسان الصالح، بكل ما تحمله هذه الكلمة من معاني الإنسانية، فهي تنمي في الإنسان المسلم حسن التعامل مع كل الناس، على اختلاف أجناسهم وألوانهم وأوطانهم، على أنهم بشر، خلقهم الله ﷻ، ومقياس التفاضل بينهم هو ما قرره الله ﷻ في كتابه العزيز: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(الحجرات،الآية:13)، فالإنسان في التربية الإسلامية يستحق الاحترام بصفته الإنسانية، وبمدى التزامه بالقيم الإسلامية الإنسانية.

على عكس ما تهدف إليه النظريات التربوية الأخرى، التي تسعى إلى إيجاد المواطن الصالح، وهناك فرق بين "الإنسان الصالح" و"المواطن الصالح"- وقد سبق الحديث عنه - فالإنسان الصالح الذي تنشده التربية الإسلامية، صالح في كل مكان يتواجد فيه، والمواطن الصالح

(في نظر بعض الأمم) هو من يلتزم بالقوانين والأنظمة داخل حدود الدولة، ولكنه إذا خرج خارج حدود دولته فله تصرف آخر، فمثلا تجد المواطن الأمريكي والبريطاني صالحا في دولته(من وجهة نظر دولته)، ولكنه عندما يخرج من حدود دولته يتحول إلى شيطان، يستعمر الناس ويتسلط عليهم ويذلهم وينهب خيراتهم، ويستعلي عليهم، ويسومهم سوء العذاب، ولا تعتبره دولته في هذه الحالة إنسانا غير صالح، بل وتحتج على من يقف ليقاومه ويدافع عن نفسه وتعتبره معتديا وإرهابياً ومخالفاً للقانون، فالروسي الذي يقتل الشيشان مواطن صالح في عرف قومه، واليهودي الذي يقتل المسلمين ويغتصب أرضهم وديارهم مواطن صالح في عرف قومه، والهندي الذي يقتل أهالي كشمير ويحرم عليهم أن يقرروا مصيرهم لأنفسهم، هو مواطن صالح في عرف قومه، وهم أبعد ما يكونون عن صفة الإنسانية، فضلاً عن صفة (الإنسان الصالح) .

حول هذا المعنى يتحدث محمد قطب، حيث يقول(قطب، 1400، ص8): "ينبغي التفريق بين الإنسان الصالح الذي يهدف الإسلام إلى تربيته، وبين المواطن الصالح الذي تهدف لتربيته كل مناهج التربية الأخرى، والإنسان الصالح الذي يربيه الإسلام، هو الذي وعى وطبق قول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾(النساء،الآية:135)، ولن يوجد قَط الإنسان الصالح بهذه الصورة إلا في ظل التوحيد، لأن الذي يعبد الله ﷻ وحده لا يتغير خُلُقه من مكان إلى آخر، أما الذي يعبد ذلك الوثن الذي اسمه الوطن، فوجهته إلى ذلك الوثن، وهو محدود بمكان معين وبمصالح معينة، ومن ثم فهو في خدمة (وثنه) حيثما وجهه".

وفق هذا التصور، تُعتبر النظرية الإسلامية هي النظرية الوحيدة التي تؤدي إلى السعادة الحقيقية على الأرض، بما ارتضاه الله ﷻ للناس من مبادئ ونظم وضحها القرآن الكريم والسنة المطهرة، وبإتباعها يضمن الإنسان السعادة في الدارين.

ولذلك يمكن تحديد أهم سمات الإنسان الصالح الذي تنشده النظرية التربوية الإسلامية، كما يلي:

- سمات الإنسان المؤمن الصالح الذي يربيه الإسلام:

مواصفات الإنسان الصالح، مبثوثة في القرآن الكريم، لا تكاد تخلو سورة من سور القرآن الكريم من إشارة إلى صفة من صفاته، وقد تميزت التربية الإسلامية بسمات متعددة، أهمها بناء الإنسان الصالح، اعتقاداً وسلوكاً، باتباع التوجيهات التي توصل المسلم إلى مرتبة الإنسان الصالح، ومن أهم الصفات الحسنة التي يجب على المسلم أن يتحلى بها ما يلي:

1- صورة الإنسان الصالح، إنسانٌ عابدٌ، على المنهج الإسلامي الصحيح للعبادة، والعبادة هي منهاج حياته كلها، وهي الصورة التي تطالعنا منه في كل لحظة من لحظات حياته، أي أنه لا يكون عبداً إلا لله، وأنه في كل عمل يعمله، وكل سلوك يسلكه، وكل فكرة تخطر في باله، متصل بالله ﷻ، مراعٍ له متوجهٌ إليه .

2- ملامح التقوى والخشوع والحياء تظهر على وجهه: **﴿تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾**(الفتح، الآية: 29)، **﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾**(الحجرات، الآية:13)، فالمسلم شخص تشع التقوى من وجهه، ويبدو في قسماته الخشوع، ويتسم في حركاته وفي حديثه بالهدوء والوداعة والحياء، وهو مع ذلك قوي. والإنسان الصالح الذي اعتاد على السجود لله تعالى، حيث أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، في هذه الحالة تظهر تغيرات على الوجه يستطيع المؤمن أن يميز بها المؤمن كثير السجود لله تعالى، ولذلك قال تعالى عن هؤلاء: "سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ" .

3- الإنسان العابد لله على المنهج الإسلامي الصحيح للعبادة، هو الإنسان المستعلي على الأرباب الزائفة، سواء الأرباب المرهوبة أو الأرباب المرغوبة(قطب،1400هـ،ص13) فالإنسان المؤمن قوي في كل حالاته، مستعلٍ في كل حالاته **﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾**(آل عمران، الآية: 139)، والاستعلاء الحقيقي هو الاعتزاز بالله ﷻ، والاعتزاز بالنفس وصيانتها من كل مَذَلّة لغير الله ﷻ، وكل دنس يصيبها، وهذا الاستعلاء يصاحب الإنسان المؤمن في كل مواقف حياته، في وجه الظلم "الأرباب المرهوبة"، والمغريات والشهوات "الأرباب المرغوبة" والقيم الزائفة، لأنه يملك القيم الحقيقية المستمدة من منهج الله ﷻ (قطب،1981، ص225).

وهكذا ينبغي أن يعرف الإنسان المسلم حقيقة دينه، وحقيقة تاريخه، فلا يقف بدينه موقف المتهم الذي يحاول الدفاع، إنما يقف به دائماً موقف المعتز المطمئن الواثق، المستعلي على تصورات الأرض جميعاً، وعلى نظم الأرض جميعاً، وعلى مذاهب الأرض جميعاً.

4- الحب في الله ﷻ من سمات الإنسان الصالح المؤمن، بل هو إنسان مؤمن بمقدار ما يقدر عليه من الحب، قال الرسول ﷺ: "**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**"(مسلم،1985،ج1، ص74) والمراد بالحب في الله، أي لأجله وبسببه، لا لغرض آخر، وقوله ﷺ: "**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**" (مسلم،1985، ج1، ص67)، ومن حُبه للناس أن يحب لهم الخير ويدعوهم إلى الخير، وأنه حين يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يصنع ذلك لأنه يريد للناس الهدى ويحب لهم الخير، وهو يبذل المال والمعونة من جهده وماله، حين يشعر بآلام الناس فيسرع إلى مساعدتهم امتثالاً لقول الله ﷻ: **﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾** (البقرة، الآية: 177).

5- الإنسان الصالح شخص متوازن، معتدل في سلوكه، وفي فكره، وفي شعوره، متوازن لأن طاقته كلها تعمل وتأخذ نصيبها في الحياة، متوازن لا يغرق في متاع الأرض، ولا يغرق في عالم المادة، فهو يستمتع بطيبات الحياة دون تكالب عليها، وهو على استعداد دائم للتخلي عنها إذا دعا إلى ذلك داعٍ من دواعي الجهاد في سبيل الله ﷻ، متوازن لأن فيه قوة ضابطة موجَّهة مهتدية بمنهج الله ﷻ ودستوره، تقول له افعل هذا ولا تفعل ذاك (قطب،1981، ص229).

وهو الإنسان المتوازن، لأن الله ﷻ يأمر بالاعتدال والقصد، وعدم الإسراف في أي اتجاه، قال ﷻ ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (القصص، الآية: 77) .

كما أن التوازن يأتي من جانب آخر، من ممارسة الحياة على اتساعها، وفي شتى جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فلا ينحصر الإنسان في جانب من الجوانب فيصاب بالشطط وضيق الأفق أو بالإفراط أو التفريط، كما أن التوازن يأتي من الموازنة بين "الخطوط المتقابلة في النفس البشرية" أي الموازنة بين الخوف والرجاء، الواقع والخيال، الحسية والمعنوية، الفردية والجماعية.

6- الإنسان الصالح هو الإنسان ذو الشخصية الإيجابية المتحمل لتبعات أعماله، فهو قوة إيجابية فاعلة في واقع الأرض، فهو بطبيعة إيمانه بالله ﷻ، لا يملك أن يكون سلبياً في الحياة، وطاقته الحيوية التي رباها الإسلام، رباها لتعمل لا لتظل مخزونة بلا انتفاع، تعمل لتعمير الأرض وترقيتها بمقتضى إرادة الله ﷻ، فهو لا يمكن أن يظل خاملا كسولا متواكلا، ينتظر حتى تدفعه الأحداث.

ومن ايجابيته الفعالة أن يقف في وجه الشر، إنما هو يجاهد هذا الشر ما وَسعه الجهاد، وحتى إن غُلب لا يُسْلِم قلبه للشر وإنما يغير المنكر في قلبه، وذلك أضعف الإيمان(قطب،1400، ص14).

فالإنسان المسلم يفترض فيه أن تكون شخصيته إيجابية، مقبلة على الحياة، متفاعلة معها، ولأن الإنسان المسلم مطالب باستيفاء شروط الخلافة في الأرض، والسعي في مناكبها، وذلك بعبادة الله ﷻ وإعمار الأرض، والاستفادة مما فيها من ثروات وخيرات لا يصل إليها إلا بالعمل الجاد.

7- الإنسان المؤمن الصالح شخص اجتماعي، فالرباط الحي موجود دائما بينه وبين الناس، والرباط الحي هو الصلة بالله ﷻ صلة يلتقي عليها جميع الأحياء، وما رُكّب في طبع المؤمن من التعاون على البر والتقوى، يقتضي بطبيعته الاجتماع بالناس، والإسلام يكره العزلة وينفر منها، قال الرسول ﷺ: "**الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ**" (ابن ماجه، 1998، ج2، ص1338)، ومن ثم فهو اجتماعي مصاحب وصول ودود(قطب، 1981، ص231).

هو قدوة في المجتمع، هو الواعي والمدرك لتعاليم دينه وأحكامه، لديه هدف ورسالة في الحياة، لابد من تحقيقهما عن طريق التواصل مع الناس، ومعاملتهم ومبادلتهم بالأخذ والعطاء .

وشخصية المسلم الاجتماعية، التي استنارت بهدي القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، شخصية فريدة، لا تقاس بالشخصية الاجتماعية التي ربتها النظم الوضعية المعاصرة، ولا الشرائع القديمة التي صاغها الفلاسفة والمفكرون .

شخصية اجتماعية راقية، كونتها مجموعة كبيرة من مكارم الأخلاق، المنتشرة في نصوص هذا الدين الحنيف، وجعلت التخلق بها ديناً يثاب عليه المرء، ويحاسب على تركه، فاستطاعت أن تجعل شخصية المسلم الصادق نموذجاً للإنسان الاجتماعي الراقي المهذب التقي النظيف.

وقوام مكونات شخصية المسلم الاجتماعية وقوفه عند حدود الله، في سلوكه الاجتماعي ومعاملته للناس، فمن هذا الأصل الكبير من أصول العقيدة الإسلامية تتفرع الأخلاق الاجتماعية، التي يتحلى بها المسلم التقي المرهف في سلوكه، وعلى هذا الأساس المتين يقيم المسلم الصادق علاقاته الاجتماعية مع الناس.

8- شخص نظيف، نظيف في ثيابه نظيف في سلوكه نظيف في تعامله مع الناس.

ومن باب رفع الإنسان إلى مقام الإنسانية الكريمة، يربي الإسلام المسلمين على الأخلاق الفاضلة التي تنظف المشاعر وتنظف السلوك، وتنفي عن النفس خبثها، وتصونها من التردي إلى مستوى الحيوان، فيفرض النظافة في الأعمال كلها قال الرسول ﷺ: " **إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ** " (مسلم، د.ت، ج3، ص1548)، فإذا كان الأمر أمر عبادة موجهة إلى الله ﷻ فالإسلام يطهرها من الرياء والنفاق، وإن كان أمر معاملات تجرى بين الناس، فقد فرض الإسلام فيها النظام الكامل في كل شيء، ففي التعامل المالي حرم الربا والاحتكار والسرقة وأكل المال، كما لعن الإسراف والترف وكنز المال، وفي التعامل الاجتماعي حرم الغيبة والنميمة، والغمز واللمز والتجسس، كما بغّض في الفرقة والتباغض والتحاسد، وفي التعامل الجنسي حرم الفاحشة بجميع أنواعها، وحرم ما يؤدى إلى الفاحشة من خلوة أو تبرج أو اختلاط بغير موجب، في كل شيء هناك أخلاق، وهذا هو اللائق بالإنسان .

وحين يكرم الإسلام الإنسان على هذا النحو، وينظف مشاعره وسلوكه على هذه الصورة، فإنه يعطيه ما أعطاه من حقوق وضمانات، فتكون في مكانها الطبيعي، تكملة للتكريم، وتأكيداً له .

9- هو شخص مسلم أمره إلى الله ﷻ، يؤدي واجبه في الأرض، ويتوكل على الله ﷻ في السماء، هو الإنسان المترابط، لأنه يقوم بكل نشاطه السياسي والاقتصادي والاجتماعي والفكري والعلمي والخلقي والروحي، على قاعدة موحدة هي قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ**﴾ (الأنعام، الآية: 162)، لا على قواعد متعددة ومتضاربة .

من خلال ما سبق تتضح معالم النظرية التربوية الإسلامية، حيث إن التصور الإسلامي في التربية تجاوز التخبط الذي أصاب النظريات الغربية، لأنه ينطلق من أسس وأصول محكمة وفهم شامل حول الكون والإنسان والمجتمع، بني على وحي من الله ﷻ، الذي خلق الإنسان ويعلم حقيقته وجوهره، وهو يتعامل مع الإنسان على بصيرة، بمكوناته كلها، دون إغفال إحداها لصالح الأخرى، لأن ذلك الإغفال هو مدخل الخلل في الكيان البشري، وانعدام التوازن فيه، وبالتالي إفلات الزمام تماماً من قبضة المربين، الذين يتولون تنشئة الإنسان، وبالتالي تعرّضه للدمار والانتكاس.

كما أن النظرية التربوية الإسلامية من حيث أسسها ومبادئها العامة أسهمت بشكل كبير في صياغة نظرة الإنسان إلى نفسه، ومن ثم إلى الكون والحياة والمصير .

كما يتضح من خلال سبق أن الغاية من التربية الإسلامية هي تحقيق العبودية لله ﷻ، والتي هي الحكمة من خلق الإنسان، وتتعلق بها نجاته، وسعادته الأبدية، كما قال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات، الآية: 56).

الفصل الثامن
التطبيقات التربوية لآراء محمد قطب في المدرسة التربوية المعاصرة

أولاً : الأهداف والغايات

ثانياً : المنهج

ثالثاً : المعلم

رابعاً : المتعلم

الخاتمة

النتائج

التوصيات

تمهيد:

تبين من خلال هذه الدراسة، أن الآراء التربوية التي نادى بها محمد قطب مشتقة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهذه المصادر هي المرجع الأساسي للتربية الإسلامية.

وفي هذا الفصل الأخير يقدم الباحث مجموعة من التطبيقات التربوية للآراء التي قدمها محمد قطب من خلال كتاباته، للاستفادة منها في المدرسة التربوية المعاصرة، وذلك لتحديد خطوات عملية تطبيقية لتعليم النشء وتربيته، وفقاً لأهداف التربية الإسلامية، ومن ثم يختم الباحث بعرض مجموعة من النتائج التي توصلت إليها الدراسة، والتوصيات التي يخلص إليها الباحث.

أولاً: الأهداف والغايات:

لقد اهتم محمد قطب بتوضيح مجموعة من الأهداف التربوية، للمراحل العمرية المختلفة، وللفئات المختلفة، ذكوراً وإناثاً، لكل منهم ما يناسبه من الأهداف والوسائل والمناهج، وكل منهم يحتاج إلى معلم متخصص حسب الفئة والسن والجنس، حيث تضمنت كتاباته الأهداف التالية:

1- لقد كانت المدرسة في المجتمع الإسلامي الأول تقام داخل المسجد، ولهذا دلالته الخاصة في منهج التربية الإسلامية، فلا فرق بين المدرسة والمسجد، في الأصل كلاهما يقوم بالتربية وبالتعليم، وإذا كانت معطيات العصر تختلف بحيث أخذت المدرسة صورة خاصة لها في نظامها ومرافقها وعدد طلابها، مما لا يستوعبه المسجد، ولكن هذا الفصل بين المسجد والمدرسة لا يفرق بينهما في الأهداف والمنهج، إنما يؤدي كل منهما دوره على طريقته، بحيث يكون تكامل والتقاء بين المسجد والمدرسة في الغاية والأهداف.

2- في المجتمع المسلم يقتضى أن تكون المدرسة إسلامية الهوية، تربي الطلاب ليكونوا مسلمين صالحين، وأن تتمشى مع التربية الإسلامية التي بدأها الطفل في البيت، بحيث يكون بينهما تكامل.

3- المدرسة محضن إسلامي شامل، مهنتها الأولى هي تنشئة الأطفال في جو إسلامي، وتعريفهم بحقائق دينهم، وتعويدهم على عادات الإسلام، وأخلاقه المستمدة من الكتاب والسنة، إلى جانب تعليمهم العلم الضروري لهم، من لغات وعلوم إنسانية وطبيعية، وتدريبات عملية ويدوية وبدنية.

4- يفترض على المدرسة الإسلامية أن تمارس شعائر العبادة بصورة جماعية في وقتها، بحيث إن جاء وقت الصلاة، يؤديها المدرسون والطلاب في جماعة، وليلتقي المدرس والطالب في الصلاة، وهذا له نتيجة ايجابية، بأن يربط بين قلوبهم، ويكون تأثيرهم في نفوس الطلاب أقوى وأعمق.

5- يجب أن تكون أخلاقيات الإسلام هي قاعدة التعامل في المدرسة بين المدرسين والتلاميذ، لتكون المدرسة صورة حقيقية مصغرة للمجتمع الإسلامي الكبير، في العلاقات الإنسانية الإيجابية.

6- المدرسة يجب أن لا تكون لتحفيظ المعلومات للامتحان فيها آخر العام، بل يجب أن تكون المدرسة مكانا لطبع التلاميذ بالطابع الإسلامي، إلى جانب تعليمهم العلوم، وبذلك تكون مهمة المدرسة أوسع بكثير من مجرد تلقين العلوم، بل مهمتها تكوين الشخصية الإسلامية المميزة الايجابية.
7- يرى قطب أن المدرسة الإسلامية هي "معمل التفريخ" الذي ينشئ الأجيال المسلمة، التي تعرف دينها، وتعرف خصائصه، وتعيشه وتمارسه في عالم الواقع.
8- غاية التربية عند محمد قطب تركز على أهمية تحقيق مرضاة الله عز وجل، وهذا يتفق مع غاية الوجود الإنساني، وهو عبادة الله وحده لا شريك له.

ثانياً: المنهج:

لقد اهتم محمد قطب بتوضيح منهج التربية الإسلامية الشامل لكافة فئات المجتمع المسلم، وشرائحه، ويمكن تلخيص أفكاره في هذا الجانب بالنقاط التالية:
1- وظيفة المدرسة أن تربي الطالب على منهج تربوي إسلامي مؤصل، وأن يكون للمدرسين خبرة ودراية بهذا المنهج .
2- منهج التربية الإسلامية يحتاج أن يكون المدرس الذي يقوم بالتربية على مقتضاه متشبعاً به، مؤمناً بما جاء فيه، يطبقه بإخلاص، وهذا من أصول المنهج الإسلامي.
3- يجب أن ينطلق المنهاج المدرسي من منطلقات إسلامية، بحيث يكون منهجاً إسلامياً .
4- مناهج الدراسة لا بد أن تكون عملية ونظرية في آن واحد.
5- منهج التربية الإسلامية للفرد المسلم يتعهده بالرعاية والتقويم، منذ مولده إلى نضوجه، في البيت والشارع والمدرسة والمجتمع، وكل عامل من هذه العوامل يعطيه دفعة إلى الأمام، وتتكاتف جميعها بشكل متناسق لتنشئ منه إنساناً صالحاً، هو الإنسان المسلم الذي يقوم بدوره المنوط به.
6- منهج التربية الإسلامية له طريقته الخاصة في تربية الدوافع والميول والاستعدادات الفسيولوجية والفطرية للفرد، فهو لا يكبتها، لأنها موهبة ربانية، ولا يبددها، فهي طاقات يمكن أن تستخدم للخير كما تستخدم للشر، والإسلام إنما يوجهها وجهتها الصحيحة، وجهة الخير التي تنفع صاحبها في الدنيا والآخرة، وتنفع الناس.

ثالثاً: المعلم:

لقد وضع محمد قطب قواعد أساسية لما ينبغي أن يكون عليه المربي المسلم في كافة ميادين ووسائط التربية، ويمكن الاستفادة منها في المدرسة التربوية المعاصرة :
1- المعلم ينبغي أن يكون متخصصاً في التربية، وبكفاءة عالية، بحيث يغطي ويكمل النقص الحاصل في تربية الطفل في البيت.

2- المدرسة الإسلامية تقوم على مدرس مسلم، يمارس الإسلام حقيقة في واقع الحياة، ويطبقه في سلوكه، وتعامله، ومظهره، وسائر أمور حياته.

3- المعلم يجب أن يكون على دراية بمبادئ الإسلام، وقيمه وأخلاقه ومفاهيمه.

4- المعلم يجب أن يكون على دراية بمنهج التربية الإسلامية، إلى جانب تخصصه العلمي في المادة التي يدرّسها.

5- من الالتزام بأخلاق الإسلام أن تكون المعلمات والمربيات ملتزمات باللباس الإسلامي، غير متبرجات، لكي تكون المعلمة هي القدوة العملية للطالبات، وليكون هناك تطابق بين منهج التربية، وبين السلوك والمظهر الشخصي.

رابعاً: المتعلم:

أما فيما يتعلق بالمتعلم، فيمكن الاستفادة من آراء محمد قطب التالية :

1- يجب الاهتمام ببناء المتعلم بناءً شاملاً، يشمل الجانب الروحي، والجسمي، والعقلي.

2- غرس مفاهيم ومبادئ وأصول العقيدة الإسلامية الوسطية الصحيحة في نفس المتعلم، بعيداً عن الغلو والتطرف الفكري.

3- يجب الاهتمام بالمتعلم، وتوجيهه وتعديل سلوكه، كما كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم في تربيته للصحابة الكرام.

4- ضرورة فهم أن تحصيل المتعلم على العلم لخدمة المسلمين، ورفعة الأمة الإسلامية ونهضتها.

5- الاجتهاد في تحصيل العلم وتطبيقه، والاستفادة منه في كل مجال يمكن توظيفه فيه، لخدمة الأمة الإسلامية والنهوض بالمجتمع.

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة، يتضح أن كتابات الأستاذ محمد قطب حافلة بالآراء التربوية، وقد عالجت فصول هذه الدراسة مجموعة من القضايا التربوية التي تناولها محمد قطب، وكان له فيها رأي واضح، حيث ألقت الدراسة الضوء على أهم الآراء التربوية لمحمد قطب من خلال كتاباته، وبدأت بدراسة السيرة الذاتية له، ومنابع فكره والعوامل المؤثرة في فكره، ثم تحدثت الدراسة عن خصائص التربية الإسلامية، التي بينها محمد قطب، ثم انتقل للحديث عن مجالات التأصيل التربوي والذي حظي باهتمام واسع عنده، ثم تطرق البحث إلى الكفايات الأساسية للمربي، من وجهة نظر محمد قطب، ثم بيان معالم النظرية التربوية الإسلامية التي تتضح معالمها من كتابات محمد قطب.

وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج والتوصيات التي جاءت على النحو التالي:

أولاً: نتائج الدراسة:

1- البيئة التي عاش ونشأ فيها محمد قطب، بكافة جوانبها أثرت في بناء شخصيته، وفي تشكيل فكره، ويمكن إجمالها بثلاث مراحل رئيسية، **الأولى:** تأثره بشقيقه سيد قطب، **والثانية:** نشاطه ومحنته التي انتهت بسجنه، **والثالثة:** مرحة انتقاله إلى السعودية ومكوثه فيها، وكانت تلك الأخيرة تتويجاً لما قبلها، حيث بلغ فيها ذروة النشاط الدعوي والفكري والأكاديمي، وكلها تصب في خدمة الإسلام وأهدافه وغاياته.

2- محمد قطب تخرج من قسم اللغة الإنجليزية، إلا أنه برع في مجال الفكر الإسلامي والمذاهب الفكرية المعاصرة، التي كانت موضع اهتمامه قبل دراسته الجامعية لأسباب متعددة ومتداخلة .

3- لاحظ الباحث أن جميع مؤلفات وأعمال محمد قطب ونتاجه الفكري، تركز على نقد للغرب وحضارته ومناهجه، وهو يقدم الحلول لهذه المشكلات التي انتشر كثير منها في بلاد المسلمين.

4- تشكلت الآراء التربوية للأستاذ محمد قطب من خلال عدة عوامل، أولها حصوله على دبلوم التربية وعلم النفس، حيث مارس التربية نظرياً، ثم اشتغاله في سلك التعليم لعدة سنوات في التعليم المتوسط، فمارس التربية عملياً وتطبيقياً، ثم عمله في التعليم الأكاديمي الجامعي وهذا وفر له حصيلة الاحتكاك المباشر بفئة الشباب، التي تعتبر من أهم المراحل لتربية الجيل المسلم.

5- أكد محمد قطب على أهمية التربية الإسلامية لتحقيق نهضة ورقي الأمة الإسلامية، وذلك بالعمل على بناء الشخصية الإسلامية، التي تبذل كل جهدها لتطبيق الإسلام الحقيقي في الحياة، من خلال التربية السليمة، وغرس المبادئ والقيم الإسلامية.

6- يبين محمد قطب أن الإسلام دين الفطرة، مزيته أنه يساير الفطرة، ويطابقها مطابقة كاملة، ويتناول هذه الفطرة في دقة بالغة، ويوضح محمد قطب طريقة الإسلام في تربية النفس البشرية، أنه يشملها كلها من جميع جوانبها في آن واحد.

7- يعتبر محمد قطب أن خصائص التربية الإسلامية، هي أبرز سمات الإنسان الصالح، الذي يسعى المنهج الإسلامي لتحقيقه في واقع الأرض.

8- جميع خصائص التربية الإسلامية لا تتم ولا تتحقق إلا بتحقيقها سمة الاستسلام والعبودية لله ﷻ، وحسن الصلة بالله ﷻ.

9- أوضح محمد قطب المفهوم الصحيح للعبادة، وبيّن أن العبادة في الإسلام، تشمل كل الأفعال والأعمال التي يقوم بها الإنسان في حياته، وأن حياة الإنسان تعتبر كلها عبادة .

10- يدعو محمد قطب إلى التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، بهدف التصدي للغزو الفكري، والتغريب الذي تتعرض له الأمة، لذلك دعا إلى التأصيل الإسلامي لتلك العلوم، وتنقيتها من كل ما يتعارض مع المبادئ والأفكار الإسلامية.

11- التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، وخاصة التربية، هي حاجة مُلحة للأمة الإسلامية، وينبغي أن تضع هذا الأمر في حسابها، وتوجّه له من الاهتمام ما هو جدير به، وإلا فسيظل الغزو الفكري في الوقت الحاضر يُفسد عقول الدارسين، ويبث فيها تبعية مريضة للغرب.

12- من خلال البحث والتحليل في كتابات محمد قطب، تمكن الباحث من الوقوف على مجموعة من الكفايات والسمات الأساسية التي يجب أن يتصف بها المربي المسلم، والتي تمثلت في شخص النبي ﷺ، هذه الكفايات يحتاجها المربي، ليبني علاقة تفاعلية ومثمرة، والمربي الذي يمتلك قدراً كبيراً من الكفايات التربوية، يكون تأثيره فاعلاً على طلابه.

13- تتضح معالم النظرية التربوية الإسلامية في أنها تنطلق من أسس وأصول محكمة، وفهم شامل حول الكون والإنسان والمجتمع، كما أن النظرية التربوية الإسلامية، من حيث أسسها ومبادئها العامة، أسهمت بشكل كبير في صياغة نظرة الإنسان إلى نفسه، ومن ثم إلى الكون والحياة والمصير.

14- الإنسان المسلم يؤمن بالغيب، ويؤمن بقدر الله، وفى نفس الوقت هو ذو عقلية علمية تعتمد على المشاهدة والملاحظة والتجربة، ولم يجد العقل المسلم أي تعارض بين العلم والغيب.

ثانياً : توصيات الدراسة:

من خلال دراسة الآراء التربوية لمحمد قطب، وتناول أهم القضايا التربوية التي تعرض لها في كتاباته، يقدم الباحث التوصيات التالية للاستفادة منها:

1- العناية بمؤلفات الأستاذ محمد قطب، والاستفادة منها، وذلك بإبراز آرائه التربوية بشكل أوسع، مع التركيز على الآراء التي ما زالت حاضرة في واقع الأمة، وما تواجهه من مخاطر.

2- يجب أن تهتم وسائل الإعلام بالعلماء وتبين دورهم الرائد في قيادة وتوجيه الأمة، وذلك لتعريف الأجيال بهؤلاء العلماء الأجلاء، والتأسي بهم في الفكر والسلوك، لأن الأمة بحاجة إلى علماء من أمثال محمد قطب، الذي كان الشباب يتنافسون على محاضراته لحضورها، مما أسهم في تشكيل الوعي الفكري للشباب المسلم.

3- أن تركز التربية الإسلامية على تصحيح المفاهيم الخاطئة لدى أبناء الأمة الإسلامية، مثل مفهوم لا إله إلا الله، ومفهوم العبادة وغيرهما، فالإسلام منهج حياة متكامل، وليس مجرد أداء لبعض الشعائر التعبدية، ويمكن أن يتم ذلك عن طريق إعادة صياغة المناهج التعليمية المختلفة، بحيث تركز على تصحيح تلك المفاهيم.

4- ضرورة التصدي للغزو الفكري والثقافي، من خلال إصلاح المناهج الدراسية، والعمل على توجيهها توجيهاً إسلامياً، وإزالة ما يتعارض فيها مع المبادئ الإسلامية.

5- إعادة صياغة المناهج العلمية وخاصة الإنسانية، مثل مناهج التاريخ، والاجتماع، والاقتصاد بحيث يتم استبعاد الآراء والأفكار المتعارضة مع المبادئ والثوابت الإسلامية.

6- استخدام وسائل الإعلام للتوعية بخطورة الغزو الفكري الثقافي وآثاره .

7- بالرغم من أن محمد قطب لم يكن أزهرياً، ولم يدرس اللغة العربية أو الشريعة أو التاريخ، إلا أنه أظهر نبوغاً كبيراً في الدراسات الإسلامية، لذا يقترح الباحث فتح الباب أمام الجميع في مجال الدراسات الإسلامية دون حكرها على الأزهريين أو بعض التخصصات الشرعية.

8- يجب أن يكون المربي مثقفاً من جميع النواحي، الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وذلك من خلال اطلاعه على أحدث ما توصل إليه العلم الحديث، بالإضافة إلى تطوير إمكاناته وقدراته في استخدام أحدث الوسائل التكنولوجية كالإنترنت.

9- التأكيد على أن المرجعية الإسلامية للمنهاج التربوي المعاصر، من المصادر الثابتة، القرآن والسنة، وآراء علماء المسلمين.

10- يجب أن يوجه المربون اهتمامهم التربوي بكافة الشرائح العمرية، سواءٌ في مؤسساتنا التعليمية المختلفة، أو المجتمع بشكل عام.

11- ضرورة التعرف إلى التوجيه التربوي النبوي، ومعرفة الأساليب التربوية التي استخدمها النبي ﷺ، في المجالات المتعددة، والتي يمكن استخدامها لإيجاد العديد من الحلول لبعض المشكلات التعليمية والتربوية المعاصرة التي تواجه المربي المسلم.

12- ضرورة التزام الآباء والمربين بالقدوة الحسنة في الأقوال والأعمال، وأن يتحلوا بالأخلاق الفاضلة، ليكونوا خير قدوة حسنة لأبنائهم، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم.

ثالثاً : مقترحات الدراسة :

في ضوء نتائج الدراسة، يمكن الخروج بعدة مقترحات منها :

1- يقترح الباحث إجراء المزيد من الدراسات العلمية، لفكر الأستاذ، محمد قطب، بحيث يتم التركيز على الموضوعات الفكرية، والتربوية، والنفسية، والأدبية التي اهتم بها محمد قطب، وذلك للاستفادة منها في كافة المجالات .

2- دراسة وسائل التربية الإسلامية كما بينها محمد قطب، وتطبيقاتها المعاصرة .

3- يقترح الباحث إجراء دراسة تبرز دور الأستاذ محمد قطب في إحياء فكر التأصيل الإسلامي للعلوم الإجتماعية .

4- إجراء المزيد من الدراسات التربوية التحليلية لكتابات محمد قطب، لاستنباط المزيد من المضامين والقيم والآراء التربوية، وتطبيقاتها التربوية .

5- إجراء المزيد من الدراسات التربوية لعلماء آخرين، معاصرين أو قدامى، والخروج بنتائج، تسهم في معالجة المشكلات التربوية المعاصرة .

6- دراسة فكر الشهيد سيد قطب، ومدى تأثر محمد قطب بفكر الشهيد سيد قطب .

المصادر و المراجع

أولاً: المصادر

1. أحمد ابن حنبل، أحمد(2001): **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، الطبعة الأولى، تحقيق (شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد) مؤسسة الرسالة، بيروت .
2. الألباني، محمد ناصر الدين (ب.ت): **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، مكتبة المعارف، الرياض.
3. البخاري، محمد بن إسماعيل(1999): **صحيح البخاري**، مكتبة الإيمان، المنصورة.
4. الترمذي، محمد بن عيسى (1998): **الجامع الصحيح**، الطبعة الثانية، تحقيق(بشار معروف)، دار الجيل، بيروت.
5. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم(1994): **مجموع فتاوى ابن تيمية**، دار المنار، القاهرة.
6. الغزالي، أبو حامد محمد(1982): **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة، بيروت.
7. ابن فارس، أحمد بن زكريا القزويني(1979): **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق(عبد السلام هارون) دار الفكر، بيروت.
8. ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني(1998): **سنن ابن ماجه**، تحقيق(بشار عواد معروف)، دار الجيل، بيروت.
9. مسلم، أبو الحسن بن الحجاج(1985): **صحيح مسلم** ، تحقيق (محمد فؤاد عبد الباقي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت .
10. ابن منظور، جمال الدين بن محمد(1994): **لسان العرب**، دار صادر، بيروت.

ثانياً: المراجع

11. الأهواني، احمد فؤاد (1980): **التربية في الإسلام** ، دار المعارف ، القاهرة.
12. البنا، حسن(1984): **كتاب العقائد**، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، الكويت.
13. التوم، بشير حاج (1981): **تأصيل تربية المعلم** ، مكتبة المنارة ، مكة المكرمة.
14. الحازمي، خالد بن حامد (2000): **أصول التربية الإسلامية** ، دار عالم الكتب، الرياض.
15. الخالدي، صلاح عبد الفتاح (1994): **سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد**، الطبعة الثانية، دار القلم، دمشق.
16. الخالدي، صلاح عبد الفتاح(2000): **سلسلة أعلام المسلمين**، دار القلم، دمشق.
17. خليل، عماد الدين (1987): **في النقد الإسلامي المعاصر**، مؤسسة الرسالة ، بيروت.
18. خياط، محمد جميل(1424): **النظرية التربوية في الإسلام**، الطبعة الثانية، مطابع الصفا، مكة المكرمة.

19. الدبو، إبراهيم فاضل(1987): **منهج ابن خلدون في التربية والتعليم**، سلسلة المنهجية الإسلامية(2)، الجزء الثالث، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بيروت.
20. أبودف، محمود خليل(2007): **مقدمة في التربية الإسلامية**، الجامعة الإسلامية، غزة.
21. الدويش، محمد بن عبدالله(1420): **مقالات في التربية**، دار طيبة، الرياض.
22. الربيع، هادي مشعان، وطارق الدليمي(2009): **معلّم القرن الحادي والعشرين أسس إعداده وتأهيله**، مكتبة المجمع العربي للنشر والتوزيع، عمان.
23. السحار، سعيد جودة(2003): **موسوعة أعلام الفكر العربي**، مكتبة مصر، القاهرة.
24. الشرقاوي، حسن(1983): **نحو تربية إسلامية**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.
25. الشريف، محمد بن شاكر(2006): **نحو تربية إسلامية راشدة من الطفولة حتى البلوغ**، مجلة البيان، الرياض.
26. الشلهوب،فؤاد عبد العزيز(1417):**المعلّم الأول قدوة لكل معلم ومعلمة**، دار القاسم، الرياض.
27. الصاوي، محمد وجيه(1999): **دراسات في الفكر التربوي**، مكتبة الفلاح، الكويت.
28. عبدالعال، حسن إبراهيم(1985): **فن التعليم عند بدر الدين بن جماعة**، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض.
29. عبد المعطي، يوسف(1998): **تربية المسلم في عالم معاصر(منطلقات للتطوير)**، الطبعة الثانية، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت.
30. عزام، عبدالله(د.ت): **عملاق الفكر الإسلامي الشهيد سيد قطب**، مركز الشهيد عزام الإعلامي، بيشاور، باكستان.
31. العسلي، باسمة(1991): **بناء الشخصية الإسلامية المعاصرة**، دار الفكر، بيروت.
32. العودة، سلمان بن فهد (2007): **بناء الفرد وأثره في تكوين الأمم والحضارات**، مؤسسة الإسلام اليوم، الرياض.
33. عويضة، كامل(1996): **علم النفس بين الشخصية والفكر**، دار الكتب العلمية، بيروت.
34. القاضي، سعيد إسماعيل(2004): **التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة**، الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة.
35. القرضاوي، يوسف(1989): **الخصائص العامة للإسلام**، الطبعة السابعة، مؤسسة الرسالة، بيروت.
36. القرضاوي، يوسف(2002): **ابن القرية والكتّاب ملامح سيرة ومسيرة**، دار الشروق، القاهرة.
37. قطب، سيد(2002): **مشاهد القيامة في القرآن**، الطبعة الرابعة عشر، دار الشروق، القاهرة.
38. قطب، محمد(1981): **منهج التربية الإسلامية ج1**، دار الشروق، القاهرة.
39. قطب، محمد(1983): **في النفس والمجتمع**، الطبعة السابعة، دار الشروق، بيروت.

40.قطب، محمد(1983): **مذاهب فكرية معاصرة**، دار الشروق، بيروت.
41.قطب، محمد(1983): **منهج الفن الإسلامي**، الطبعة السادسة، دار الشروق، بيروت.
42.قطب، محمد(1989): **الإنسان بين المادية والإسلام**، الطبعة العاشرة، دار الشروق، القاهرة.
43.قطب، محمد(1992): **منهج التربية الإسلامية ج2**، الطبعة العاشرة، دار الشروق، القاهرة.
44.قطب، محمد(1993): **دراسات في النفس الإنسانية**، الطبعة العاشرة، دار الشروق، القاهرة.
45.قطب، محمد(1994): **مفاهيم ينبغي أن تصحح**، الطبعة الثامنة، دار الشروق، بيروت .
46.قطب، محمد(1997): **واقعنا المعاصر**، دار الشروق، القاهرة.
47.قطب، محمد(1998): **حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية**، دار الشروق، القاهرة.
48.قطب، محمد(2000): **جاهلية القرن العشرين**، الطبعة التاسعة، دار الشروق، القاهرة.
49.قطب، محمد(2002): **لا يأتون بمثله**، دار الشروق، القاهرة.
50.قطب، محمد(2003): **قبسات من الرسول**، الطبعة الخامسة عشر، دار الشروق، القاهرة.
51.قطب، محمد(2005): **ركائز الإيمان**، الطبعة الثانية، دار الشروق، القاهرة.
52.قطب،سيد(2002):**خصائص التصور الإسلامي**، الطبعة الخامسة عشر،دار الشروق، القاهرة.
53.الكيلاني، إبراهيم، وآخرون(1991): **دراسات في الفكر العربي الإسلامي**، الطبعة الثالثة، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان.
54.المجذوب، محمد(1992): **علماء ومفكرون عرفتهم**، الطبعة الرابعة، دار الشواف، الرياض.
55.مجمع اللغة العربية(2004): **المعجم الوسيط**، الطبعة الرابعة، دار الشروق الدولية، القاهرة.
56.مدكور، علي احمد(1997): **نظريات المناهج التربوية**، دار الفكر العربي، القاهرة.
57.مصطفى، إبراهيم وآخرون(د.ت): **المعجم الوسيط** ، مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة، القاهرة.
58.النحلاوي، عبدالرحمن(1979): **أصول التربية الإسلامية وأساليبها**، دار الفكر، دمشق.
59.النحوي، عدنان علي رضا(1420): **التربية في الإسلام النظرية والتطبيق**، دار النحوي، الرياض.
60.النشمي، عجيل جاسم(1995): **سمات التربية الإسلامية وطرقها**، إدارة البحوث والمعلومات، جامعة الكويت، الكويت.
61.النغيمشي، عبد العزيز(1424): **علم النفس الدعوي**، الطبعة الثانية، دار السلام، الرياض.
62.النقيب، عبد الرحمن، وبدرية الميمان(2002): **تأصيل المفاهيم التربوية ضرورة أولية للإصلاح التربوي**، دار النشر للجامعات، القاهرة.
63.وزارة التربية والتعليم السعودية(1427): **دليل مفاهيم الإشراف التربوي**، الإدارة العامة للإشراف التربوي، مطابع الجسر، الرياض.

64.يالجن، مقداد(1996): **أساسيات التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون،** سلسلة كتاب تربيتنا، دار عالم الكتب، الرياض.

ثالثاً: الرسائل الجامعية

65.أحمد، طيبة بنت واجي(1425): نماذج من الآراء التربوية للشيخ محمد بن عثيمين، **رسالة ماجستير**، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

66.الحارثي، عبد الله ردة(1993): فاعلية المشرف التربوي في تطوير كفايات معلمي المواد الاجتماعية بالمرحلة المتوسطة من وجهة نظر المعلمين بمنطقة الطائف التعليمية، **رسالة ماجستير**، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

67.الحامد، زهرة بنت محمد(1425): الآراء التربوية عند الشيخ عبدالله محمد الخليفي **رسالة ماجستير**، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

68.دبابش، منال موسى(2008): منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في التربية من خلال السيرة النبوية، **رسالة ماجستير**، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزة.

69.الربيع، علي بن سليمان(1408): ابن عبد البر وآراؤه التربوية، **رسالة ماجستير**، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

70.الشامي، إياد محمد صالح (1426): الشيخ الألباني منهجه وآراؤه في معالجة بعض المشكلات التربوية المعاصرة، **رسالة ماجستير**، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزة.

71.الصيفي، فلسطين زياد(2008): المضامين التربوية في كتابات فتحي يكن، **رسالة ماجستير** كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزة.

72.العتيبي، محمد بن سفر(1418هـ): بعض الآراء التربوية للشيخ عبدالله عبد الغني خياط، **رسالة ماجستير**، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

73.القرشي، نايف بن محمد(2009): التربية الجماعية في الإسلام، دراسة تأصيلية، **رسالة ماجستير**، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

74.الهرمة، محمد سالم(1996): برنامج مقترح لتنمية بعض الكفايات اللازمة لمعلمي اللغة العربية بالجماهيرية الليبية، **رسالة دكتوراه**، جامعة الفاتح، طرابلس.

رابعاً: الدوريات – المؤتمرات

75.أبودف، محمود خليل(2003): "معالم الفكر التربوي عند سيد قطب من خلال تفسيره في ظلال القرآن"، **مجلة الجامعة الإسلامية**، المجلد 11، العدد2، الجامعة الإسلامية، غزة .

76.أبودف، محمود خليل(2006): "بعض الممارسات التربوية المستنبطة من خلال السنة النبوية"، **مؤتمر العلوم التربوية بين الأصالة والمعاصرة**، جامعة اليرموك، الأردن.

77.أبودف، محمود خليل، وختام يوسف الوصيفي(2007): "جودة التعليم في التصور الإسلامي مفاهيم وتطبيقات" **المؤتمر التربوي الثالث الجودة في التعليم الفلسطيني مدخل للتميز**، الجامعة الإسلامية، غزة .

78.رجب، إبراهيم(1995): "التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية معالم على الطريق" **مجلة إسلامية المعرفة**، مجلد1، عدد3، المعهد العالمي للفكر الإسلامي،بيروت.

79.سلامة، سالم أحمد(٢٠٠١): "أساليب النبي صلى الله عليه وسلم في تصحيح الخطأ عند الصحابة"، **مجلة البحوث والدراسات التربوية الفلسطينية**، العدد 6، غزة .

80.الصبيح، عبدالله بن ناصر(1419): "التأصيل الإسلامي لعلم النفس" **مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية**، العدد 22، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

81.عبدالله، عبد الرحمن صالح(1406): "النظرية العامة للتربية رؤية إسلامية"، **مؤتمر نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة**، عمان.

82.آل عمرو، محمد بن عبدالله(1420): "التأصيل الإسلامي لفلسفة التربية، نحو توجيه إسلامي للعلوم التربوية"، **المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل**(العلوم الإنسانية والإدارية)،المجلد الثالث، العدد الأول، جامعة الملك فيصل، الرياض.

83.العنزي، بشرى بنت خلف(1428): "تطوير كفايات المعلم في ضوء معايير الجودة في التعليم العام"، **مؤتمر الجودة في التعليم العام**، الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية (جستن)، القصيم، الرياض.

84.العياصرة، محمد عبد الكريم(2007): "معالم النظرية التربوية في الإسلام"، **مجلة الدراسات النفسية والتربوية**، العدد الأول، جامعة السلطان قابوس، مسقط.

85.قطب، محمد(1400): "النظرية التربوية الإسلامية"، **ندوة الخبراء التربويين**، مكة المكرمة.

86.المبارك، محمد(1977): "نحو صياغة إسلامية لعلم الاجتماع"، **مجلة المسلم المعاصر**، العدد12،ص44، القاهرة.

87.يالجن، مقداد(1990): "معالم بناء نظرية التربية الإسلامية" **مؤتمر نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة**، عمان، الأردن.

خامساً: مواقع الإنترنت

88.إبراهيم، ناجح(د.ت): **حوار مع رائد الفلسفة الإسلامية أ.د مصطفى حلمي**، موقع الجماعة الإسلامية

http://www.egyig.com/Public/articles/interview/11/56984869.shtml

89.العودة، سلمان بن فهد(2000/10/29)، **من سلسلة طفولة قلب، تجربة الشيخ سلمان العودة مع القراءة**، موقع الإسلام اليوم .

http://www.islamtoday.net/salman/artshow-78-122048.htm

90.سليمان، محمد(2002/5/17): **محمد قطب نموذجاً**، مجلة العصر .

http://www.alasr.ws/index.cfm?method=home.con&contentID=2332

91.حبيب، كمال(2002/7/20): **محمد قطب:الحركة الإسلامية تحتاج لمزيد من التربية**، موقع إسلام ويب .

http://www.islamweb.net/media/index.php?page=article&lang=A&id=17624

92.روشة، خالد(2008/1/17): خصائص التربية في مدرسة النبوة، موقع مداد .

http://www.midad.me/arts/view/aut/12888

93.عبدالعال،علي(2009/11/1): **محمد قطب خزانة الإسلاميين الفكرية**، موقع إسلام أون لاين.

http://islamyoon.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1254573658518&pagename=Islamyoun/IYALayout

سادساً: المحاضرات الصوتية

94.قطب، محمد(د.ت): **أزمة الفكر**.

95.قطب، محمد(د.ت): **دور المربي في إعداد الأمة**.

96.قطب، محمد(د.ت): **محاضرة ترجمة لحياة سيد قطب**.

97.قطب، محمد(د.ت): **المذاهب الفكرية المعاصرة** .

